

معيد الأفغانى

اسواق العرب

في الجاهلية والإسلام

سعيد الأفغاني

أسواق العرب

في الجاهلية والإسلام

دار الفكر بدمشق

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

مطابع دار المنيرة بدمشق

١١٠٤١

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقدم الطبعة الثانية من كتابي (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام)
منقحة مزيداً فيها فوائد عزيزة غزيرة ، آملاً أن يكون لي نصيب
- ولو ضئيلاً - في سد فجوة من الفجوات في تاريخنا الحبيب . والحق
أن الطبعة الأولى كأنها لم تكن إذ لم يطبع لبيع إلا ثلاثمائة نسخة
استنفدت دمشق حينئذ كلها تقريباً .

ووددت لو استطعت الإشراف على هذه الطبعة ، ولا أظن الدار
التي ستشر الكتاب إلا بأدلة جهدها في أن تفضل هذه الطبعة سابقتها
صحة وجمالاً .

ولا يسعني - في هذه المناسبة - إلا شكر العلماء والادباء من العرب
والمستشرقين الذين استقبلوا الطبعة الأولى من الكتاب استقبالاً ما كنت
أطمح ببعضه ، حامداً لهم عنايتهم ببعوثه وثناءهم على صاحبه ، مقدراً
حسن ظنهم واقتراحاتهم المشكورة أحسن تقدير ؛ وأخص بالذكر
صديقي العلامة المرحوم المستشرق سالم الكرنكوي (فريتز كرنكو) فقد
لقيت من نبذه في خدمة العلم ما أتمنى أن نتطلى به جميعاً .

هذا وقد أقيمت المقدمة على حالها وإن رغب إليّ بعض المستشرقين
في حذفها لأنها تفتح العيون على حملة منظمة علينا ، متعددة الميادين ، ولهم هم
أنفسهم دور فاجع في أحد ميادينها ؛ أبقيتها لأنها تؤرخ نواحي اجتماعية

من الفنون الجميلة . ، و « كان الاقبال على معرض الصناعات فوق ما كان يرجى وذلك لتعطش الجمهور لمثل هذه المظاهر الفنية والصناعية واهتمامه بالنهضة الاقتصادية . وقد زار المعرض نيف واربعون ألفاً في خلال ثمانية الايام (٨ - ١٥ حزيران) التي ظلت ابوابه مفتحة فيها ، منهم ثلاثة عشر ألف سيدة . ، و « كانت نتائج المعرض مرضية محسوسة ، شعر بها من عرضوا مصنوعاتهم في القاعتين الخاصتين بالنفائس والاعلاق النفيسة ^(١) . »

والمعرض الشامي الثالث كان للصناعات الوطنية ، أقيم في صرح الجامعة السورية ، في شهر آب سنة ١٩٢٩ وعرض فيه مصنوعات المناسج على اختلافها والمصابغ والمطابع والمطاحن والمزاييت والمصابن عدا النفائس الشامية من القطع الخشبية والنحاسية والمصوغات ، هذا الى ما اشتهرت به دمشق من عمل (السكاكر) والمربيات والزجاج .. الخ وكان الاقبال على هذا المعرض أكثر من سابقه لشموله أكثر صناعات الشام واشتراك مدن سورية الشمالية . وقد تجلّت فيه مواهب العرب في سورية واستعدادهم للاسهام في الصناعات العالمية . وقوي الأمل في أحفاد من أقاموا بأيديهم وفكرهم وجهودهم ، المجد الصناعي لقرطبة وبغداد ودمشق ومصر ، يوم لم تكن صناعة إلا صناعتنا ولا حضارة إلا ماتنعم به الانسانية على يدنا وبمسعانا .

وفي ربيع هذا العام (١٩٣٦ م) قامت الاستعدادات على قدم وساق لإنشاء معرض عام يمثل ذكاء العربي وتقدمه في جميع المناحي . وقد وافق هذا التأهب كليباً من الزمان وحرباً من العدو ، وفقرأ

(١) انظر التقرير الخامس بأعمال المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ ص ٣٨

عاماً ومصيبة شاملة ، فكان الناس مشغولين بذوات أنفسهم مما سواها ،
فالسبأ شحيحة ما تبض بقطرة ، والارض مجذبة ما تهتز عن خضرة ،
والموارد ناضبة لا تسعف ، وأجزاء البلاد يُزجى فيها السموم وتبث بينها
العقارب ، حتى خبطتها فتنة مياء تنكر فيها الساحلي للداخلي ، ونجهم
العربي للعربي ، رغم الدم الصارخ في عروقها من الفرقة ، الداعي لها
الى الإلفة والاتحاد . وغدّى هذا الشر أناس أقيموا ليهدوا الناس الى
الخير والاخوة والمحبة والسلام ، فكانوا دعاة للشر وعمالاً على الإفساد
والتفريق والشقاء . وجعلوا من الدين الذي أنزله الله ليزيد الاواصر
قوة والوئائج لمة ، ويفيض على القريبى والرحم محبة ورحمة ، وتعاوناً
وعطفاً ... جعلوا من هذا الدين وسائل مافلة تستغل سذاجة العامي
الغفل ، وتموه عليه السم بالدم ، ليسعى الى حتفه بظلفه ويقتل نفسه
وأخاه معاً .

بهذا اشتغل الناس يومئذ وحق لهم الشغل والتفكير في هذه القطيعة
المجرمة ، إذ متى عاش رأس بلا جسم وهل استغنى قلب عن وريد
وشريان ، وأين شرع الله للجارين من جنس واحد أن يعملوا على
شقائها معاً ، ويسعيا الى التعص السعي الحثيث ، ويزجا بأعقابها وذراعيها
من بعدهما في العذاب الاليم والانقراض المحتم . ثم يُعلان في أبدانها
سلاحاً دسه العدو في أيديها وهو يتربص بكليها الشر ليلسود دارهما
وحده لا شريك له (١) .

في غمرة هذه النزوات الطائشة ، وفي شدة مقاومة المقيد الذي شعر
أنه إنما يساق الى الموت وهو أشد ما يكون تعشفاً للحياة وتمسكاً

(١) أما الآن في سنة ١٩٦٠ فقد أزال الله الأجنبي نزال بزواله أكثر ما بذر من اسباب
القطيعة وعاش الإخوان كل في داره جيراناً متحابين .

بجبالها ، قام « معرض دمشق وسوقها » وأعلن في أقطار الشرق موعد افتتاحه ! فاعجب ! إن كنت عاجباً لهذه الامة الكريمة التي تنبض عروقتها قوة غريبة وحيوية عنيفة ، إنما لم تشغلها مصيبة عن واجب : فما أهاب بها الداعي حتى هبت هبة واحدة تنظم معرضها وتمده بكل ما في بقاء الوطن من تحفة فريدة في بابها . وزحفت صناعات الشام تتسل في المعرض للعالمين ، وازدهى هذا المعرض بعبقريه الوطن تتجلى في الفكر الحصب واليد الصناع .

* * *

افتتح المعرض مساء الاحد الحادي والثلاثين من حزيران سنة ١٩٣٦ م ، في مدرسة التجهيز الجديدة ، حيث أجمل بقعة في دمشق وأنزهها وأحفلها بآثار العرب في القديم والحديث : فصروح الجامعة السورية الحديثة وبناء دار الآثار ونزل « نخوام » عن يمين بردى .. الى جانب القباب الاثرية والمآذن الشاهقة ، تلك تقفك على نشاط العربي ابن العصر العشرين وهذه تذكرك بعنفوان مجده في القديم .

ومن غريب الاتفاق أن تقوم معارض دمشق الثلاثة ، في الجمع العلمي العربي (كان) ، والجامعة السورية ومدرسة التجهيز : أكبر المعاهد العلمية وأعودها بالخير على البلاد ، لتثير في الناس أثرين مزدوجين ، يرتبطان أشد الارتباط ، ولا ينفكان مرتبطين أبداً او يفنيا معاً : عبقرية الفكر وعبقرية اليد . لا تقوم حضارة على علم وحده ولا على صناعة وحدها ، ولا بد من الاثنين معاً . وقد فهمنا هذه الظاهرة وأخذنا في العمل لتحقيقها ، وقطعنا في هذا أسواطاً نسأل الله أن يرعاها بعنايته حتى نبلغ بها الغاية .

* * *

وهناك اتفاق آخر فطن له كثيرون ، وعجبوا له العجب كله وهو افتتاح المعرض في ليلة ذكرى المولد النبوي ، في الليلة التي يستعيد فيها المسلمون ذكرى ما قدموا للانسانية من نظم وحضارة وعدل وسعادة ، في الليلة التي ولد في مثلها قبل اربعة عشر قرناً ، خير طفل حملته الارض ، وكان له يد ومنة على كل من نعم بسعادة وشمل برحمة وتمتع بعدل واغتبط بعرفان .

افتتح معرض دمشق وسوقها في مساء الليلة التي يقول فيها المسلم والعربي غير المسلم : كان منا هادي افاض الرحمة على الانسان والحيوان والجماد ... فتفاءل الناس خيراً وأيقنوا أنهم لابد بادئون تاريخهم من جديد وقد ولد ليلة المولد هذا المعرض ، وهو فاتحة مباركة في تاريخ بعثنا الحديث إن شاء الله .

فإننا كما شرعنا نصل حلقات السلسلة التي انقطعت ، بجهادنا للحرية والحق ، والعدل والنور ، افتتحنا ليلتنا هذه برصل حلقة مجدنا الصاعقة والتجاري . وإن الانسانية تنتظر على أحر من الجمر ، وبفارغ الصبر ، الشعب الذي نعمت في ظلاله ليتبوا مكانه من جديد ويقوم برسائله في هذا العالم الذي ملئ اليوم رذيلة وعسفاً ومادية . وإن انتعاش الشعب العربي انتعاش للخير والانسانية ، ونصرته نصره للعدل والعمران ، وما كانت الانسانية لتنسى الذين كانت على عهدهم حقائق ملموسة فأصبحت اليوم طلاءً ودهاناً ، بل الانسانية اليوم - إذا دققنا في حقيقة أعمال من يدعون حمايتها - شقاء باسم السعادة ، وظلم باسم الرحمة ، ووحشية باسم الحضارة ، ولصوصية باسم الحق ، ودناءة وحطة وإماتة ضمير وخذلان خلق وبهيمية ... باسم التمدن ..

كنت في هذا الجور من الغبطة والذكرى والتأثر ، لما عرضت في ذهني حلقات تاريخنا وأين انقطعت كل حلقة ومنى عهدنا بوصولها . فكان أول ما جال في خاطري وأنا في معرض دمشق وسوقها : أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، وكيف كانت تزخر بالناس من تجار وصناع ، وأدباء وشعراء وخطباء ، وساسة وأشراف ...

عجبت لهذه الذكرى وقد أعاد هذا المعرض لنا أسواقنا - مع مراعاة الفارق بين الزمانين - وذكرت أن المجمع العلمي بدمشق - وكان إذ ذاك اسماً على مسمى - سيقوم بمهرجان للعتبي في آخر أسبوع من تموز ، وقد اختار لهذا المهرجات مكان المعرض وزمانه ، لتم لنا صورة عن أسواق العرب ومحافلهم فيها . فكملت بهذا أداة هذه السوق العربية الكبرى بما سيلقى فيها من أدب وشعر وعلم ، وبمن سيؤمها من العلماء والادباء من المشرق والمغرب : عرباً وأجانب ومستشرقين . وأصبح من كان يتمنى أن ينعم بمراى عكاظ في الجاهلية يستطيع أن يشهد عكاظ العرب في القرن العشرين ، فينظر كيف انقلب الزمن وكما قطعت الحضارة بين العكاظين من أسواط .

ولعل القارئ أحسن بما قدمت مقدار الحاجة الى بحث يعرض لأسواق العرب وما كانت عليه في الجاهلية والاسلام ، وما قامت به من عمل في خير العرب ولغتهم ، ليقف على شأنها في تاريخنا ويستطيع أن يفاضل بين رسالتها قديماً ورسالة المعارض حديثاً . وما زالت هذه الأسواق تقتعد الذروة من اهتمام الامم منذ كان اليونان وأولمبيهم وأعيادهم . وقد رغب إليّ من أَرْضى رأيه أن أسد هذه الثلمة في المكتبة العربية فعكفت على أمّات المصادر - وهي في موضوعنا هذا جسد شحيحة - أنقب فيها وأفليها لاخلص منها بكل ما يقيدني في بحثي حتى تمت لي مادة

هذا الكتاب الذي تنحصر بحوثه بين عهد الجاهلية والقرن الثاني للهجرة .
ولعل الله ييسر لي في المستقبل أن أصل هذا البحث عصراً فصراً في
أمصار العرب حتى عصرنا الحاضر .

ومن مارس التنقيب في مصادرونا العربية ، القديمة منها خاصة ، واطلع
على ماترخر به من كتوز مبعثرة هنا وهناك ، لاجتماعها جامعة ما ،
عرف مقدار العنت والنصب اللذين يتعرض لهما الباحث ، ولا سيما في
موضوع كهذا لم يعالج بعد . وأنا أعني القارئ من وصف مألقت
من عناء فما أريد أن أمن عليه وحسي أن أكون في وجداني قد أبلغت
نفسى عذرها .

وقد مهدت للكلام على الاسواق ببحوث رأيتها لازمة ، وثيقة
العلاقة بموضوعي كبيع الجاهلية ورباها وأسببت في الكلام على قريش
لأنهم في الحقيقة هم عنوان الفريق التاجر من العرب وحرصت كل الحرص
أن أنقل القارئ إلى جو تلك الاسواق فيراها كما هي .

سيكون في هذه البحوث أدب جم وتاريخ كثير كما فيها صناعة
وتجارة ، وستعرض فيها عادات العرب في أسواقها ومجالسها الادبية
وبلاغتها النثرية والشعرية ، حتى النحو سيكون له بعض النصيب لأن
إحدى الاسواق كانت تقصد من أجل مادة يستعين بها النحوي في تنظيم
قواعده وتبويب فصوله .

وبعض هذه الحوادث والاخبار والاشعار التي سأعرضها - وإن كان
مظنة أنه مصنوع - قد اجتهد صانعه أن يقلد فيحسن التقليد ويجاكي
الأصل فيحكم الحكاية ، فإن شككنا في نسبة الخبر لم نشك أبداً فيما يدل عليه
أو يستخلص منه . وذكرت من هذه الاحداث هنات جوزت لنفسى
نقلها في هذا الكتاب مع تصريحها بما يجتشم منه ، لأنها لا تتم الصورة

إلا بها ولأني أحرص على أن يتمثل القارىء حالة الاسواق تمثلاً صادقاً
صحيحاً كاملاً على قدر الامكان .

وقد عنيت بشرح ما يشكل من غريب أو معنى مغلق ، لأكون
قد بلغت جهدي واستفرغت وسعي في الاجتهاد لأن يكون هذا العمل
أقرب من كمال وأبعد من نقص . وأنا أشكر لمن أطلعني على عيب
أو نهني لإصلاح ، فما يزال الانسان بحاجة الى من يذبه ويصلح عمله .
والله المستعان ومنه الرضى والمثوبة .

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ هـ و ٢ حزيران سنة ١٩٣٦ م .

سعيد الروفغاني

الباب الأول

شؤون العرب التجارية

بين الجاهلية والإسلام

تجارة العرب

لبلاذ العرب موقع جغرافي متوسط ، بين بلاد أعظم الدول وأقدم الحضارات . فإلى شمالها الشرقي بلاد فارس وإلى شمالها الغربي بلاد الروم ومصر ، وإلى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة وفي جنوبها البحر الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند .

ولا نكون إلى الغلو إذا قلنا إن معظم تجارات العالم منذ القديم حتى القرون الوسطى هي بين هذه البلاد التي عددنا . فالدولتان العظيمتان اللتان تنازعتا النفوذ والسيادة في العالم ، وهما فارس والروم ، كانتا على علاقات تجارية وسياسية مع بلاد العرب في الشمال والجنوب . وقل نحواً من ذلك في علاقة الحبشة والهند مع اليمن وعمان والبحرين ، وإن كانت علاقة أضيق حدوداً .

وكان للمواصلات التجارية في جزيرة العرب طريقان أحدهما شرقي يصل عمان بالعراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس برأثم يجوز غرب العراق إلى البادية حتى ينتهي به المطاف في أسواق الشام ،

يمر التجار فيه على أسواق اليمن والعراق وتدمر وسورية ويبيعون في كل قطر ما لا يكون فيه ويأخذون منه إلى غيره ما يروج ثمنه .
والطريق الثاني وهو الأهم غربي يصل اليمن بالشام مجتازاً بلاد اليمن والحجاز ناقلاً أيضاً بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام وبضائع الشام إلى اليمن حيث تصدر إلى الحبشة وإلى الهند في البحر .

وقد أطمع هذا الموقع الجغرافي لبلاد العرب كثيراً من الفاتحين فغزاها الاسكندر فارتد عنها في غير طائل ، وطمع فيها قديماً ملوك الفرس وبابل ونيوى ومصر . والغريب أنها احتفظت بمكاتها هذه حتى العصر الأخير إذ بسط الانجليز شرقي الجزيرة وغربها فملكوا « عدن » ميناء اليمن الطبيعي ^(١) حيث ترسو السفن من الحبشة ومن الهند وملكوا العقبة ^(٢) « أيلة » محط رحال القوافل العربية في القديم وأول الثغور الرومانية التي يحلها تجار العرب ، فهازت إنجلترا بمناطق نفوذ على هذين الخطين التجاريين ضمناً لطريق الهند وتجارتهما .

كان من المعقول أن يمارس كثير من العرب التجارة رجالاً

(١) وبه يسمى البحر فيقال بحر عدن - انظر طبقات الامم لصاعد: ص ٧١

(٢) كان ذلك قبل أن يستقل شرق الاردن باسم المملكة الاردنية الهاشمية

ونساء ، وخاصة الذين تقع بلادهم قريبة من إحدى هاتين الطريقين ،
ومن لم يتاجر منهم أفاد من التجارة بالواسطة فعمل في هذه القوافل إما
دليلاً وإما سائقاً وإما منتظماً في جملة حماتها الذين يؤجرون أنفسهم
وسلاحهم ودوابهم فيها .

ولم يبعد اسطرابون حين قال : « العرب تجار وسماسرة ،
و « قوم تجارة وبيع وشراء ولذلك لم يكونوا أمة حرب لا بالبر
ولا بالبحر ، »^(١)

وقد شغلت دول العرب القديمة كتدمر وسبأ والمعينين ،
المراكز الممتازة في تجارة الشرق حتى ذكرتهم التوراة ووصفت
ثروتهم وتجارتهن . وحمل أهل تدمر في القديم إلى مصر وجنوب أوربة
صادرات بلاد العرب والعراق والهند وكانت النفائس التي يحملها
التدمريون من بلاد الشرق أثمن ما يتغالى به الملوك القياصرة .

توسط تدمر بين الدولتين الفارسية والرومانية ، بين العراق
والشام وجزيرة العرب جعلها محطة القوافل جميعاً بين هذه الاقطار
منذ أقدم العصور ، فازدهرت تجارتها وعظم غناها واشتهرت أسواق

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٦٤/٢

حتى أصبحت « قبلة التجار من الهند والفرس (وجزيرة العرب)
والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ...

وكانت روما التي خضع ليرها أغلب العالم القديم تهاب قبائل
تدمر وتتودد اليها وتقدم لها الهدايا وتوفد اليها الوفود ... وعرفت
تدمر كيف تستثمر في ظروف كثيرة منافسة الدولة الفارسية والدولة
الرومانية لمصلحتها التجارية ،^(١)

ولما ازدهرت الدولة المعينية في اليمن تعاطى أهلها التجارة
وساعدتهم عليها امتداد نفوذهم حتى شواطئ البحر المتوسط ومواني
خليج العجم .

أما سبأ فليس مكان غناها وتجارها بالمجهول فقد ذكرت التوراة
أن ملكة سبأ قدمت الى سليمان (١٢٠) وزنة ذهب وأطياباً كثيرة
جداً وحجارة كريمة ،^(٢) وحسبك هذا دليلاً على وفرة ماله وخيراتهما .
والسبثيون قديماً أغنى العرب ثروة وأوسعهم تجارة ، يحملون ما يأتيهم
من بضائع الحبشة والهند إلى مصر والشام والعراق فسطوا بذلك

(١) انظر (تاريخ اللغات السامية) لإسرائيل ولفنسون ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) انظر سفر الملوك الاول من العهد القديم : الإصحاح العاشر

تقوذهم التجاري واستأثروا بالتجارة بين تلك الاقطار المذكورة .

جاء في تاريخ العرب الأدبي (١) (نيكلسون) :^(١)

« قال مولر : قامت السفن منذ زمن بعيد تمخر عباب المياه بين
مواني بلاد العرب الشرقية والهند ، محملة بالبضائع وكانت منتجاته
الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة (كالقردة
والطواويس) تنقل الى ساحل عمان ، ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد
كانت لهم دراية بالخليج الفارسي حيث كانوا يسمون شطر مصر
يبيعون فراعتها وأمرأها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة في
البحر الاحمر سبباً في تفضيل الطريق البري للتجارة بين اليمن
وسورية ، وكانت القوافل تقوم من « شبوت » في حضرموت وتذهب
الى مأرب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالاً الى مكربة (مكة فيما بعد)
وتظل في طريقها من بتراحتى غزة المطلة على البحر الابيض المتوسط ،
وظل رخاء السبئيين قائماً حتى أخذت التجارة الهندية تهجر البر وتسلك
عبر البحر على طول شواطئ حضرموت وخلال مضيق باب المندب .
وكانت نتيجة هذا التغير - الذي يظهر أنه حدث في القرن الاول

للميلاد - أن أخذت قوتهم تتضعع شيئاً فشيئاً ،
وحل محل هؤلاء ، الحميريون الذين جعلوا عرب الحجاز تحت
سيطرتهم فاستخدموهم في نقل تجارتهم إلى أن تخلص الحجازيون منهم
وصاروا هم نقلة التجارة في الجزيرة قبل البعثة .

قام اليمنيون في القديم إذاً بنقل المتاجرين بلاد العرب والبلاد
المجاورة وظل ذلك دأبهم على اختلاف دولهم في الأزمان التي تقدمت
القرن السادس الميلادي ، فاستأثروا بتجارة الجزيرة مع غيرها من
الممالك ، يحملون التمر والزيب والأدم والبخور والحجارة الكريمة
والمنسوجات من مواطنها ثم يستبدلون بها بضائع أخرى ، مع
ما يصنعون هم أنفسهم من الأطياب والعطور التي يتخذونها في بلادهم
ويبيعونها في أسواق العالم القديم : آسية وإفريقية وأوربة . فكانوا
حيناً غير قصير مشرفين على تجارة العالم كله .

وقد نشأت مع الزمن وسط هذه الطريق التي كثيراً ما سلكوها
قبل الميلاد ، محطتان تجاريتان عظيمتان هما مكة والمدينة ^(١) . وعظم

(١) وقبل هذا الزمن ازدهرت تباء وأبة (العقبة) وبلغ شمالي الحجاز
فكانت محط القوافل الكبرى ومراكز ممتازة للتجارات وبيوت المال ، منها
ينسرق العالم الروماني والبيروثاني معظم ما يحتاج إليه .

أمرهما وصار أهلها يشاركون في الاتجار قبائل اليمن . فلما كانت القرن السادس انتقلت التجارة من أيدي اليمنيين بالتدريج ، الى قريش القبيلة المكية التي ارتفع أمرها وقويت ونشطت وبدأت تحمل محل الأولين في الاستئثار بتجارة جزيرة العرب ، ولا سيما عند اضطراب الأمن وتعذر المرور على الأحباش والأنباط ، وكان وقوع الحروب والأزمات والمنافسات بين فارس والروم من أعظم العوامل في نشأة التجارة المكية وازدهارها . إلا ما كان من تجارة فارس ، فإنها بقيت في أيدي عرب الحيرة وهم يمانون .

كانت أقطار العرب غير متساوية في الخصائص والمرافق ، فبينما نجد نجداً أرضاً قاحلة رملية لا زراعة لأهلها ، نجد في اليمن مزارع خصيبة تفيض بالخير الواسع . ونجد بعض مدن الحجاز كمكة تشبه نجداً في جديها وبعضاً آخر فيه مزارع ونخيل كالمدينة والطائف وإن لم تكونا بدرجة اليمن ، قال الألوسي : « وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر فكانت تجاراتهم كثيرة ومعاشهم وافرة ، لما في بلادهم من الخصب والرخاء والذخائر المتنوعة والمعادن الجيدة وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى . وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة لما إن الغالب على أرضهم الرمال فكانت بلادهم دون

بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة . « على أن لطيء
ومنازلها أواسط نجد شهرة في الاتجار شمالي جزيرة العرب هذا عدا
أخلاقاً من أمم شتى تتسرب تجارهم الى الجزيرة ، وأكثر هؤلاء هم
الأنباط فقد بقوا حتى بعد ظهور الاسلام يجلبون الزيت من الشام
الى المدينة .

ولا بد لنا من التنبيه على حدة : الى العنصرين التجاريين اللذين
عملوا في بلاد العرب وهما الأنباط واليهود ، فقد كان الأولون
يختلفون بين بلاد الشام والحجاز والعراق في الجاهلية . وكان أكثر
ما يحملون من بضائع على ما علمت الزيت والدرمك ، دقيق الحواري^(١) ،
يحملونها من الشام الى الحجاز والى العراق ويرجعون من هذين القطرين
بالأدم والتمر وغيرهما من الحاصلات ، فكانوا يشاركون القوافل
العربية في تجارتها وقيمون لأنفسهم أسواقاً في البلاد العربية ذاتها ،
فابن سعد يذكر أن هاشماً في بعض أسفاره الى المدينة « نزل
بسوق النبط فصادف سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها .^(٢) ولما

(١) الحواري : ثياب الدقيق وكل ما حوّر أي بيّض من طعام .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٥ ، وانظر شرح المواهب ج ٣ ص ٢٣

كانت الفتوحات والغزوات قام الأنباط التجار بمهمة نقل الأخبار بين الشام والحجاز^(١).

وأما اليهود فقد كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة وصيت بعيد كأبي رافع الخيرى الذى أرسل بضاعته بوساطة القوافل إلى الشام واستورد منها الأقمشة المختلفة . ويمكن أن يقال إن تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال الحجاز^(٢).

لكن شأن اليهود فاق شأن الأنباط لاستيطانهم في جزيرة العرب فاستفحل أمرهم وزاحموا السكان الأصليين على مرافقهم وكانت لهم خبرة في الزراعة والتجارة وتنمية المال فاستغنوا وبنوا لأنفسهم القرى والمزارع والحصون ، وأشهر مراكزهم العمة في المدينة وخيبر .

وبما تجدر ملاحظته أنهم بعد أن شاركهم في مغائهم التجارية

(١) ومن هؤلاء الأنباط التجار علم الرسول بتجمع الروم على الحدود فأخذ أهله وأخفى جهته في الغزوة المشهورة غزوة تبوك - انظر شرح الزرقاني للمواهب ٦٣/٣

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٨

أهل يثرب وخاف اليهود هذه المزاخرة وكانوا عاجزين عن التغلب على
اليثريين قوة وعنوة ، لجؤوا الى الايقاع بين الحيين الأوس والخزرج
فلما وقعت العداوة واتصلت الحروب جعل اليهود يضرمون نارها
كلما خمدت ، فشغلوا بعضاً ببعض وانصرفوا هم الى تجارتهم وإنماء
ثرواتهم . فلما هاجر المسلمون الى المدينة وأسلم أهلها ، بغى اليهود
العوائل لهم وصاروا يحرضون عليهم المشركين من قبائل العرب
وينقضون عهودهم للنبي ، ويطعنون المسلمون من خلفهم ، إزاء ذلك
رأى النبي ضرورة التخلص منهم فأجلى بني قينقاع ثم بني النضير
فحطوا بأذرعات من أرض الشام ثم تخلص من بني قريظة ^(١) أيضاً ،
فخلت المدينة وما حولها من جماعاتهم وتحولت تجارتها الى أيدي
أهلها من العرب .

لا بدع في أن تكون التجارة من أول أسباب المعاش للحجازيين
فعكفوا عليها وتمادحوا بكسب المال وأخذوا يضربون في الأرض
يبتغون الرزق من هذه المهنة ، فعرفوا قبل الاسلام بكثير ، كثيراً
من مدن الشام كبصرى وغزة وأيلة والمشارف ، ومدن العراق

(١) انظر أسباب جلاء هذه القبائل اليهودية في كتب السيرة النبوية .

واليمن وحتى مصر فقد رووا أن نفراً من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس وأهدوا له هدايا^(١) وذكروا أن ابن جدعان أتى مصر يضاعف فباعها ورجع إلى عكاظ .

ولم يحاول اقتزاع تجارتهم هذه منهم أحد، إلا ما ذكرنا من أمر الحبشة التي أرادت الاستيلاء على مكة نفسها ، المركز التجاري العظيم في جزيرة العرب . وقد رُبعهم ما يشتره العالم الروماني من طيوب بلاد العرب والفرس والصين بقيمة مئة مليون من الدراهم ... وكانت صيدون (صيدا) من أشهر الأسواق العطرية^(٢) .

« ووصل المكيون قبيل الاسلام — عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغاً منتهاه — إلى درجة عظيمة في التجارة ، وكان على تجارة مكة اعتماد الروم في كثير من شؤونهم ، حتى فيما يترفعون به — كالحرير — وحتى استظهر بعض مؤرخي الإفرنج أنه كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للشؤون التجارية والتجسس على أحوال العرب ، كذلك كان فيها أحايث ينظرون في مصالح قومهم التجارية^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد

(٢) مجلة الشرق (السنة ٣٥ ص ٣٢٤)

(٣) فجر الاسلام ص ١٥

واشتهر كل قطر بما يصنع أو يصدر من متاع ، فالسيوف
والبرود لليمن قال الأصمعي : « أربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون
إلا في اليمن : الورد والكندر والخطير^(١) والعقيق ، وقالوا
« برود اليمن ويربط الشام وأردية مصر^(٢) » ،

ولعل ما ذكره الثعالبي من غنى الحجاز في الاسلام ، صحيح الى حد
بعيد فيما كان عليه من قبل ، قال^(٣) : « وكان يحمل من مكة والمدينة
والحجاز كل عام الى السلطان من العنبر^(٤) ثمانون رطلاً ومن المتاع
أربعة آلاف ثوب ومن الزيب ثلاثمائة راحلة ، وكانت من أعجب
ما يأتي النجاشي من مكة الأدم^(٥) »

(١) الكندر: ضرب من العلك نافع لقطع البلغم جداً « القاموس » - أما
الخطر فنبات يختضب به .

(٢) ثمار القلوب ، ص ٤٢٤ - هذا وقد يجد الباحث في مطاوي الاخبار
كثيراً من الاشارات العارضة لصنوف البضائع والحاصلات التي عرف بها كل
قطر من مثل قول ابن عساكر في ترجمة طلحة : « روى ابن سعد أن رسول
الله ﷺ لما ارتحل الى المدينة لقيه طلحة جائياً من الشام في غير ، فكسا
رسول الله وأبا بكر من ثياب الشام ، وخبره أن من بالمدينة من المسلمين
استبطؤوه .. الخ - تهذيب ابن عساكر ٧٣/ ٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢٦

(٤) مدح الاعشى سلامة ذافائش فأعطاه كرسياً مدبوغة بماء عنبراً ،
فباعها الاعشى بثلاثمائة ناقة حمراء - الاغانى ٩/ ١٢٥ طبعة دار الكتب .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٣

ويذكر آخرون أن مكة أصبحت أكبر سوق للرقيق^(١)
هذا وهناك أيضاً بلدان اختصت بضرب من العروض أو
الصناعة فتقصد لما عرفت به كالطائف فإنه يحمل إليها آدم فيديها
فيها، قال الهمداني : « الطائف مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ
يدبغ بها الألب الطائفية المعروفة^(٢) ، ثم يصدر عنها إلى الحبشة
وغيرها ، وكهجر والبحرين حيث التمر الجيد المنقطع النظير ، وكالشاء
ومشارفها حيث يحمل الزيت والزيب والخمر وغيرها .
وبما ضمن استمرار الحركة التجارية الداخلية والخارجية في جزير
العرب ، اختلاف أقطارها هذا الاختلاف في المحصول الصاد
والوارد وما أحسن قول الهمداني في ذلك :
« ولولا أن الله عز وجل خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى
كل إقليم من الأقاليم بشيء منه غيرهم ، لبطلت التجارات وذهبت
الصناعات ، ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب
الشراء والبيع والاخذ والعطاء . إلا أن الله أعطى كل صقع في
كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا .

(١) مجلة الشرق . السنة ٣٥ ص ٨٣ فما بعد

(٢) الإكليل ج ٨ ص ١٢٠

ويستمتع قوم بأمّعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : « نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا »^(١) ، وقال الله تعالى : « وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا »^(٢) اهـ

★ ★ ★

مما يجب أن يقف عليه النظر والتأمل إشارات عارضة في صدد جدل القرآن الكريم لمشركي مكة ، فإنّ المتأمل ليجد فيها دلالات بعيدة على عظم ما شغلت أمور التجارة من أفكارهم وخواطرهم ، وذلك عند مثل قول الله : « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنَّ تُمُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »^(٣) ، فالمفسرون يذكرون في سبب نزول الآية أن المشركين قالوا : « لم لا يوحى إليه ربه أثمان السلع فنشتريها حين ترخص ونبيعها حين تغلو فتزداد أموالنا .. »

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣٢

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٠ . كتاب البلدان « ليدن » ص ٢٥١

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٨٨ وانظر الكلام عليها في : لباب النقول

في اسباب النزول للسيوطي وتفسير الحازن وغيرهما .

هذا ولم يخفف الإسلام كثيراً من شغف العرب بالتجارة^(١) فقد استمروا فيه على ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإذا استثنينا فترة الفتوح التي شغلتهم كانت أحداثهم التجارية في الإسلام امتداداً لأحداثهم في الجاهلية مع مراعاة الظروف التي تغيرت كل التغير وشغل القرشيون بالجهاد فكان منهم عمال ومنهم قواد ومنهم قضاة الخ ... وخير ما يدلنا على بقاء ولوع القوم بالتجارة آية الجمعة :

كان المسلمون يجهزون العير إلى الشام - كما في الجاهلية - فتذهب بأموالهم ومتاعهم فتباع هناك ثم تحمل إلى الحجاز فتأتي المدينة ، وكانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق فرحاً بها ، فذكر المفسرون أن دحية بن خليفة الكلبي رجع مرة بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة على منبر مسجد المدينة ، فاستقبلها الناس كعادتهم

(١) جاء في الفائق للزحشري : « قال قيس بن أبي غرزة : كنا نسهر السامرة على عهد رسول الله ﷺ ، فأثاها ونحن بالبيع ، فسأنا باسم هو أحسن فقال : « يا معشر التجار » فاستمعنا إليه فقال : « إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشربوه بالصدقة » اهـ

فلعل (السامرة) كانت تطلق على صنف من مزاويل بعض أعمال التجارة الصغيرة كما تطلق لهذا ، ولكن الرسول كان من خلقه أن يخاطب الناس بما يحبون .

بالفرح والطبول والتصفيق ، وخشي المصلون أن يسبقوا الى العير
فيفوتهم الربح فتركوا الرسول يخطب وبادروا اليها في البقيع ولم يبق
مع الرسول إلا اثنا عشر رجلاً فأنزل الله تعالى في ذلك :
« وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
خَائِفًا » .^(١)

وفي القرآن الكريم إشارة الى فاصل تاريخي في حياة مكة
التجارية ، وذلك حين نزل قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .^(٢)

فلما حرم دخول مكة على المشركين سنة تسع للهجرة خشي
الناس الفقر بسبب انقطاع تجارة المشركين عنهم في المواسم ، فوعدهم
الله بغنى عن غير طريق التجارة ، فكان العوض - على ما ذكر المفسرون -
في المغنم والفتوح العاجلة .

(١) سورة الجمعة ، الآية ١١

(٢) سورة التوبة ٩ الآية ٢٩

كان لا بد من أن تدخل أحوال العرب التجارية في طور جديد فاهتم الاسلام بأمر تجارتها وشرع لهم فيها ما يحتاجون إليه ، وطفح الحديث الشريف بأحكام البيع والشراء والاحتكار والديون والربا الخ... وعني الخلفاء بعد الرسول عناية خاصة بالتجارة بعد أن هدأت مشاغل الفتوح أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، ولنلاحظ أن فترة الفتوح نفسها لم تكن لتخلو من الاتجار حتى من عمال الخليفة أنفسهم ، وهذا خير ما يفسر لنا حرص القوم على حرقهم ، واشتد عمر على عماله فلم يقبل منهم الاشتغال بالتجارة أبداً وصار يؤخذ كل من فشا لهم غنى في قومهم فيدقق عليهم فإن اعتذروا بتجارة تجروها فربحوا منها صادرهم ولم يلق لعذرهم بالاً ، وكأنه يقول لهم: بعثكم عمالاً ولم أبعثكم تجاراً .

ومن حسن الاتفاق أن الخلفاء الثلاثة الأولين كانوا تجاراً ، فأبو بكر وعثمان كانا بزازين ، وعمر تجر في الجاهلية واستغنى في غزوة ، وكان مبرطشاً [يكتري للناس الإبل والحمر يأخذ عليه جُعلاً]^(١) أما علي فلم نعرف أنه تجر وقد ظهر الإسلام وهو صبي ومع هذا فقد

(١) انظر مادة برطش في (تاج العروس)

كان على علم من التجارة وأحوالها لأنها مهنة قومه جميعاً ولما ولي الخلافة لم يكن يبجل خطر التجارة وقيمتها . ومن الطريف حقاً أن ننقل بهذه المناسبة مرسوماً أصدره إلى عامله الأشر في التجار والصناع فإنه يدل على إحاطته بأسرار التجار وأخلاقهم ويعلمنا من جهة ثانية منزلة هذه الطبقة بين بقية الطبقات وما كان يعلق عليها من مهام ، قال من كلام له للأشر :

ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً ،
المقيم منهم والمضطرب بماله والمتفرق يده ، فإنهم مواد المنافع
وأسياب المرافق وجلابها من المباع والمطارح ، في برك وبحرك ،
وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها .
فإنهم سلّم لا تخاف بائقته وصلاح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً
فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك
باب مضرّة للعامة وعيب على الولاية ، فامنع من الاحتكار فإن
رسول الله ﷺ منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين
عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف

حكمة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه من غير إسراف^(١) .

* * *

ولنا أن نستأنس بشيء آخر له خطره في الدلالة على ما شغلت
التجارة من حياة العرب وأفكارهم واهتمامهم ، وذلك هو اللغة
والأشعار والأمثال فإنها تكشف لنا الى حد بعيد ما كان عليه القوم
من عادات وأحوال ؛ وأول ما نلاحظ في هذا الباب غنى اللغة
بالألفاظ التي تتعلق بالسفر وما إليها من حط وترحال ونزول على
الماء ووصف لدواب السفر وضروب سيرها ولسنا مبالغين اذا قلنا
إن أكثر القصائد في الجاهلية والإسلام يفتحها صاحبها بذكر رحلته
وما لاقى فيها هو وراحلته من التعب والشقاء والضيق والعطش
والجوع ، عدا ما هناك من ألفاظ كثيرة تتعلق بالبيع والشراء والصفقة
الرابحة والخاسرة . ولما كانت الخلافة ، لم يجد العرب لفظاً يدلون به
على بذل الطاعة للخليفة غير المبايعة^(٢) فاشتقوا لهذه الحال المستجدة

(١) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٣٩

(٢) اتباعاً للقرآن الكريم حين عبر بهذه الكلمة التجارية عن معاهدة الصعابة
رسول الله يوم الحديبية على الثبات وعدم الفرار بقوله : « إن الذين يبايعونك =

كلمة من كلمات التجارة التي كانت الشغل الشاغل لهم . ونظرة واحدة الى مادة « باع » مثلاً في اللسان أو التاج توضح لنا الموضع التي استعيرت لها هذه الكلمة لتشبه أحوالاً مختلفة بحال من حالات البيع والشراء فقالوا مثلاً :

« بايعه بالخلافة » ، وأخذ منه البيعة ، وباعه من السلطان اذا سعى به إليه ... الخ .

وكذلك اذا نظرنا الى مادتي « سام » و « سوق » وأمثال قولهم : نفقت السوق اذا راجت ، وانحملت اذا كسدت . وبعته تاجراً بناجز وبدأ بيد عدا أفاظ أخرى سيمر بعضها بك حين الكلام على بيوع الجاهلية .

وهذا القالي قد عقد في أماليه فصلاً في « ما يقال في وصف الرجل لا يملك شيئاً »^(١) ، من مثل قولهم : ماله سبَد ولا لبَد ، ومطلباً

- لما يبايعون الله .. « سورة الفتح ١٨/١٠ » وسميت البيعة ببيعة الرضوان وهناك أيضاً بيعة النساء : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا ... فبايعهن واستغفر لهن الله . » سورة المتحنة ٦٠/١٢

آخر فيما يقال « لمن يصلح المال على يديه »^(١) ، كقولهم : هو ترعية مال ، يحجن مال .. الخ . واقرأ ان شئت الفصل الذي كتبه في « دعاء العرب »^(٢) ، فستجد جملاً كثيرة في حرمان من يدعون عليه من ضروب المال .

أما الأمثال التي تتعلق بأمورهم التجارية وأحوالهم فيها فكثيرة وإليك طائفة منها تمثل لنا شيئاً من تجاربهم . أحوالهم في أسفارهم :
عند الصباح يحمد القوم السرى - لا تدرك الراحة إلا بالتعب -
قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها - أن ترد المساء بماء أكيس -
لا ير حل رحلك من ليس معك - إن يدم أظلك فقد نقب^(٣) خفي - إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى^(٤) .. الخ .

وأكثر من هذا ما أرسلوه في المال نفسه وفي السعي للرزق وفي الربح والخسارة والبيع والشراء فإنهم يستعيرون ألفاظها لكثير من أحوالهم كما في هذه الأمثلة :

الحمد مغنم والذم مغرم - خير مالك ما نفعتك - لم يضع من مالك

(١) ج ٢ ص ٣٢٢ (٢) أمالي القاضي النوادر ص ٧٥، ٥٥

(٣) الأظل : ما تحت منسم البعير ، وأخفاقه قوائمه ، والمعنى : أشكو من مثل ما تشكو .

(٤) الذي يجدي في سيره حتى ينقطع أخيراً عن أصحابه في السفر ، الظهر : الدابة

ما وعظك - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - من العجز تُتجت الفاقة -
كلب طواف خير من أسد رابض - حظ جزيل بين شدي ضيغم -
افتح صدرك تعلم عَجْرَكَ^(١) - لا ترسل الساق الا ممسكاً ساقاً - كستبضع
التمر إلى هجر - ما عنده خير ولا ميسر - سواء هو والعُدْم - البضاعة
تيسر الحاجة ومن اشترى فقد اشتوى - إن الجواد عينه فراره - أعطاه
اللقاء غير الوفاء - أحشفاً وسوء كيلة - أخسر صفقة من شيخ مهو^(٢) -
صفقة لم يشهد لها حاطب النخ^(٣) .

أما الحث على السفر في طلب المال فقد استفاض في أشعارهم
جاهليين وإسلاميين ولست بحاجة إلى أن أشير إلى ما قالوا في فوائد
المال من حكم وما يصون المال من حسب ويوجب من هبة فأمره
معروف ، وما أكثر ما قالوا في هذا الموضوع من مثل قول عروة
ابن الورد :

(١) العَجْرَة : العقدة وشبهها ، والعَجْر : العيوب

(٢) هو من عبد القيس اشترى عار الفسور من إباضي (وكانت إباضة تعتبر

به) يرددون ضرب بصفته المثل وسيأتيك خبرها في أحداث عكاظ .

(٣) حاطب بن أبي بلتعة كان حازماً فظناً في أمور البيع ، فباع بعض

أهله في غيبته ببيعة عثبن فيها ، فضرب هذا المثل لكل أمر يُبرم دون

حضور ماهر فيه - انظر مجمع الأمثال للبدياني ٢٦٦/١

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وقوله :

دعيني أطوِّف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لذي الحق محمل
وقول الآخرين :

سأُعمل نصّ العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان،
سأُكسب مالاً أو أموت ببلدة يقل بها قطر الدموع على قبري ،
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح ،
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يساراً وتموت فتعذرا الخ
ويذكر المشتغلون باللغات القديمة السامية وغيرها قضية الكلمات
الأجنبية الأصل في اللغة العربية ، وقد أدام بحشهم الى ان اللغة
الفارسية والحبشية والآرامية كانت لغات العلائق التجارية أيضاً
فإن تجار مكة مثلاً كانوا يتجرون مع الآراميين في دمشق ، ومع
الفرس في الحيرة والمدائن ، ومع سبأ وحمير في اليمن ، وقوافل هذه
الأقوام كانت تجتاز جزيرة العرب من جهة الى أخرى^(١) ، ويعدد

(١) ص ١٤٢ من سلسلة محاضرات (التطور النعوي للغة العربية) ألّفها

سنة ١٩٢٩ بالجامعة المصرية الاستاذ (برجستراسر) أستاذ اللغات السامية بجامعة
ميونخ بألمانيا .

هؤلاء الباحثون هذه الكلمات فإذا في أولها كلمات تجارية وهي أسماء البضائع التي يجلبها التجار من بلاد الفرس من مثل : الصنوج والصولجان والفيل والجاموس والمسك وخصوصاً أنواع النسيج كالديباج والاستبرق والإبريسم والطيلسان .. الخ^(١) .

ولا ريب في أن اختلاط القوافل والتجار العرب منذ الزمن الأقدم بعرب الشام وغسيرهم سرب إلى اللغة العربية كثيراً من الكلمات اليونانية التجارية والحضارية ، حتى أتى عهد الجاهلية وكانت هذه الكلمات قد تعربت وصقلها الاستعمال الطويل ، وقد عد أحد الباحثين عشرات منها لا يظن لأول نظرة عجمتها مثل :

إقليد (مفتاح) وإقليم وإكسبر وبرج وبيطار وبوص (حرير أبيض) وتوف وجزية ودرهم ودكان ودمقس ودينار وزبرجد وزنار وسرق (شقة حرير) وسفود وسفين وسندس وسير (قدة جلد) وسيمياء وطاوس وفرصة وفص وفندق وقارب وقالب وقربوس وقرنفل وقصدير وقلس (حبل السفينة) وفقم وقميص وقنب وقنينة وكركي وكوب وكورة وكبس ولص ومرجان ومصطبة ومنجنيق ومنديل وناقورة وقاموس ونقرس ونوتي وياقوت ويانسون (آنسو)^(٢) .

(١) المصدر السابق ص ١٤٣

(٢) سرد هذه الكلمات بهذا الترتيب المحمدي بشدلي حوزي ، انظر بحثه

ب عنوان (بعض اصطلاحات يونانية في لغة العربية) في مجلة مجمع اللغة العربية ٢٣٠/٣

بل مالنا لا نعتمد إلى القرآن الكريم نفسه وفيه على ذلك أوضح الأدلة : يقرب لهم المعاني بما تفيض به حياتهم ويضرب لهم الأمثال على الضلالة والهدى والمؤمنين والكافرين من التجارة نفسها، فهو يقول في المؤمنين المطيعين الذين أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة : **إِنَّهُمْ يَرْتَجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ^(١)** ، ويشبه الذين شغلتهم الضلالة عن الهدى بالخاسر في تجارته فيقول :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ^(٢) ، « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ^(٣) ، « بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ^(٤) .

ومدح آخرين سعوا في مرضاة الله فقال : **« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ^(٥) ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا**

(١) سورة فاطر ٢٩/٣٥ (٢) سورة البقرة ١٦/٢

(٣) سورة البقرة ٨٦/٢ (٤) سورة البقرة ٩٠/٢

(٥) سورة البقرة ٢١٧/٢

بِيعِعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(١) ،
ولأن التجارة والبيع أهم ما يشغل العرب لم يذكر الله غيرهما
من المشاغل حين أثنى على أناس لا يغفلون عن ذكره فقال : « رِجَالٌ
لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢) » .
وقال في تأنيب الذين اشتغلوا بالتجارة عن الصلاة : « إِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا^(٣) » ،
ولما أراد تشويق قوم الى الايمان قال :
« ... هَلْ أَدْلُكُمُ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ
الْأَلِيمِ ، تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ...^(٤) » ،
وكثيراً ما تتكرر كلمات التجارة والربح والخسران في القرآن .
وأحسب أن هذا القدر كاف في بيان الحيز الذي شغله التجارة
من حياة العرب في جاهليتهم واسلامهم حتى ان صعصعة بن صوحان
لم يذكر للعرب من الحرف غيرها . جاء في أمالي القاضي : « قال معاوية
لصعصعة بن صوحان : « صف لي الناس » فقال : « خلق الناس

(١) سورة التوبة ٩/١١٢ (٢) سورة النور ٢٤/٣٧

(٣) سورة الجمعة ٦٢/١١ (٤) سورة الصف ٦١/١٠، ١١

أخياراً : فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ، وطائفة خطباء ، وطائفة للباس والنجدة ، ورجرجة بين ذلك يكدرون الماء ويغلون السعر ويضيقون الطريق ^(١) .

ولعلك تتساءل بعد هذا قائل : إن التجارة تستلزم إلماماً بقيود وحسابات والعرب أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب فكيف كان ذلك ؟ والجواب أن هذا الحكم على العرب حكم على مجموعهم لا على جميعهم ^(٢) :

(١) ج ١ ص ٢٥٧ والاضيف الاخلاط . والرجرجة شرار الناس وذلهم

(٢) ومع هذا فقد كان العرب وتجارهم خاصة نقلة ثقافة تاريخية سياسية ،

جاء في طبقات الامم لصاعد (ص ٦٩) : قال ابو محمد الهمداني : ليس يوصل الى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم ، وذلك أن من سكن بمكة من العماليق وجرهم وآل السبيدع بن هوة وخزاعة أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعنة العانية وأخبار أهل الكتاب . وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد أبي كرب ويختصر حروا على الأعاجم وأخبارهم وأيام حمير ومسيرها في البلاد ، وعندهم صار أكثر ما رواه عبيد بن شربة ومحمد بن السائب الكلبي والميم ابن عدي ، وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خير بأخبار الروم وبني اسرائيل واليونانيين ، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإباد فغنه أتت أخبار طسم وجديس ، ومن وقع من ولد نصر من الأزدي بعمان فغنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشيء من أخبار فارس . ومن وقع بجبلي طيء فغنه أتت أخبار آل أذينة والجرامقة ، ومن سكن باليمن فإنه علم أخبار الامم جميعاً : =

فمنهم من كان يقرأ ويكتب ويحسب، وقد تعلم القرشيون الكتابة منذ القديم في الحيرة والأنبار، وكذلك فعل أهل الطائف. وسترى في أحداث عكاظ أن عمرو بن الشريد دعا فيها بصحيفة وكاتب وسجل على نفسه صكاً أشبه بسند التملك (طابو) الذي نألفه اليوم. كان هناك إذن صحف وكتاب وصكوك عند العرب وعند اليهود؛ بل إننا لنجد في آيات سورة البقرة الأخيرة ما يجعلنا نذهب إلى معرفة العرب بتقييد المعاملات التجارية، وليس من المعقول أن يخاطبهم الله بشيء لا يألونه من الإملاء والكتابة بالعدل وإشهاد الشهود في قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» .. الخ .»^(١)

= لأنه كان في دارمملكة حمير وفي ظل الملوك السيادة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال. ولم يكن ملك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها. هـ أ هـ .

وإذا تجاوزت عن جانب المبالغة في هذا الكلام بقي لك أن العرب لم تقتصر فـائدتهم في ترحالهم على الانحياز، بل كانوا يستفيدون من رقي أهل الحضارات المجاورة ويحملون عنهم آثاراً من تقدمهم وثقافتهم.

وفوق هذا كله كان لهؤلاء العرب فوي الملكة التجارية الراقية
اهتمام بما حولهم من الاقطار التي يتاجرون فيها ومراقبة لما يجري هناك
من أحداث ، دفعهم إلى ذلك طبيعة التجارة وما تتطلب من درس
والإلمام بالأسواق وأمنها وأحوال المسيطرين على شعوبها ، وأنت تعرف
ذلك من الحرب التي كانت بين الفرس والروم في مشارف الشام قبل
الهجرة بست سنين وكيف كان مشركو مكة فرحين بانتصار الفرس
إذا كانوا مثلهم غير ذوي كتاب ، وقد شتموا بهزيمة الروم إذا كانوا
كالمسلمين أتباع كتاب سماوي ، وقد سجل القرآن الكريم هذه
الظاهرة ظاهرة اهتمام المكين بما يجري حولهم من شؤون الفرس
والروم في الآية الكريمة أول سورة الروم :

« غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ . فِي بَضْعِ سِنِينَ ، اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ
يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ،
وَأَدْنَى الْأَرْضِ : بَصْرَى وَأَنْدَرَعَاتُ وَهُمَا سِوَقَانُ مِنْ
أَسْوَاقِ الْعَرَبِ .

والتجار منذ القديم نقلة ثقافة من حيث لا يشعرون^(١) فيجب

(١) فذكروا : أنت قصص لا فوتين نقلت إلى أوروبا على السنة التجارة

والمسافرين . انظر (مجلة الرسالة : السنة الخامسة ص ١٠٣٥)

أن يحسب حسابهم فيما يكون بين الشعوب من تمازج وتفاعل ، وليس العرب يبدع بين الشعوب ، فقد أفادوا من اتجارهم واختلاطهم بالرومان والفرس وخضعوا لما يخضع له غيرهم من آثار الاختلاط وكثرة العلائق حتى إنا لنرى أسماء رومانية ^(٢) وفارسية تخللت لغتهم . ولنا أن نعد انتشار النصرانية في الشام والمجوسية في العراق واليمن أثراً من آثار التجارة فقد ذكروا ان « تنصر العباد بالحيرة لكثرة ترددهم الى بلاد الروم للتجارة » ^(٣) .

وستعلم بعد قليل أن العرب وقرشاً خاصة أحسنوا العلائق مع دولتي فارس والروم إذ كانت تجاراتهم الى بلاد تحت سيطرة هاتين الدولتين أو نفوذهما ، فالشام ومصر ولايتان رومانيتان ، والحبشة على علائق خاصة بالرومان . والعراق واليمن تحت سيطرة الفرس ، والعرب تتاجر صيفاً الى مصر والشام والعراق وشتاء الى اليمن والحبشة . هذا مجمل ما أردت أن أعرض له من بيان اهتمام العرب في التجارة

(٢) في كتاب (أمثال الضبي وأمرار الحكماء - طبع الجوائب) ما يفيد

أن (دختوس) من أسماء العرب انظر ص ٦

(٣) تاريخ ملوك الحيرة للأعظمي ص ١٤٠

ولم أقصد فيه إلى شيء من التطويل لأن الكتاب ليس في تاريخ تجارة العرب وإنما هو في أسواقها والتجارة أحدمواضيع الاسواق ، وحسبها هذه الإلمامة الموجزة نهد بها قبيل الشروع في الموضوع لتتم لنا الصورة التي نريد أن يتمثلها القارىء مستوفاة في غير نقص ولا زيادة .

بيوع الجاهلية

ألف العرب في جاهليتهم أنماطاً خاصة من البيع يتخذونها في أسواقهم ، وهي في جملتها مما يثير استغرابنا ودهشتنا لأن أكثرها مما يُغبن فيه البائع أو المبتاع . وتصور لنا تلك البيوع ما كان عليه تفكير فريق منهم . ولا بد من التنبيه إلى أنها لم تكن تتخذ في جميع الأسواق ، بل منها ما يمتاز به سوق من سوق وجماعة من جماعة ، وإليك ما عثرت عليه من بيوعهم :

١ - الرمي بالحصاة (أو الفاء الحجرية) :

ذكروا لهذا البيع صوراً كثيرة تجري في سوق دومة الجندل منها :

١ - أن يقول أحد المتبايعين للآخر : « ارم هذه الحصاة ، فعلى

أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم . »^(١)

٢ - أن يقول البائع : اذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع

« منك بكذا . فيجعل الرمي بالحصاة نفسه بيعاً . »^(٢) ، أو يعترض

القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول « أي شاة أصابتها فهي لك بكذا . »

(١) بلوغ الأرب للألوسي . (٢) شرح مسلم ٣٥٥/٦

٣ - أن يقول : « بعثك من السلع ما تقع عليه حصاتك ، أو بعثك من الأرض الى حيث تنتهي حصاتك »^(١) .

٤ - أن يقبض المشتري على كف من حصى ويقول : « لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع »^(٢) .

٥ - أن يبيعه سلعة ويقبض على كف من حصى ويقول : « لي بكل حصة درهم »^(٣) .

٦ - أن يقول للمشتري : « بعثك على أنك بالخيار إلى أن أرمي بهذه الحصة فإذا نبذتها وجب البيع »^(٤) .

٧ - « أن يجتمع نفر منهم على السلعة يساوون بها صاحبها فأبهم رضي ألقى حجره .

وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجلدون بدأ من أن يشتركوأ وهم كارهون ، وربما (اتفقوا)^(٥) فألقوا الحجارة جميعاً (اذا كانوا عدداً على أمرينهم)^(٦) فيؤكسون صاحب السلعة اذا تظاهروا عليه .

(١) لسان العرب وتاج العروس . (٢) بلوغ الأرب

(٣) المصدر السابق وشرح مسلم

(٤) الزيادة عن كتاب الخبر لمحمد بن حبيب ص ٢٦٤ وقد طبع سنة

١٩٤٢ بعد صدور الطبعة الاولى لكتابنا هذا بست سنين . ولا شك أن المرزوقي قد نقل عبارته .

اتفرد بهذه الصورة الأخيرة المرزوقي في كتابه « الأزمنة
والأمكنة »، (٢ : ١٦٢) نقلاً عن محمد بن حبيب فيما أظن ، وسمّاها
إلقاء الحجارة بدلاً من رمي الحصاة ونص على شيوعها في سوق
دومة الجندل .

أقرب هذه الصور الى الرضى أن يكون رمي الحصاة إيذاناً
بوجوب البيع وانقطاع الخيار . أما بقية الصور فهي من بيع الغرر
وهي إلى القمار أقرب وبه أشبه ، وقد عد الاسلام هذه البيوع فاسدة
كلها لما فيها من الجهالة والضرر بالبائع او المشتري .

٢ - المنازعة :

ولهم في هذا النوع من البيوع ثلاث صور :

١ - أن تقول : « انبذ إلي الثوب او أنبذه اليك وقد وجب البيع
بكذا وكذا » ، " فيكون النبذ إيذاناً بالبيع وقطعاً للخيار .

٢ - أن يرمي الرجل الى الرجل ثوبه وينبذ الآخر اليه ثوبه ولم
ينظر واحد منها إلى ثوب صاحبه فيكون ذلك بيعاً عن غير نظر
ولا تراض^(١)

(١) القاموس المحيط : مادة (نبذ) (٢) شرح مسلم ٣٥٦/٦

٣ - نبذ الحصاة وقد تقدم

يقال في هذا البيع ما قيل في رمي الحصاة وقد نهى الاسلام عنه وأبطله .

٣ - المهرصة :

وهي على أوجه ثلاثة :

١ - أن يأتي البائع بثوب مطوي ، أو في ظلمة فيامسه المستام فيقول له صاحب الثوب : « بعته بكذا بشرط أن يقوم المسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته . » " فلا يقبل المشتري الثوب لا ليلاً ولا نهاراً .

٢ - أن يجعل المتبايعان اللبس نفسه يعا بغير صيغة ، كما تقدم في المنابذة ورمي الحصاة .

٣ - أن يجعل اللبس شرطاً في قطع خيار المجلس وغيره .
وقد ألحق الاسلام هذه الصور بسابقتها وأبطلها ونهى عنها فقد جاء في صحيح مسلم : « نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين : الملامسة والمنابذة ^(٢) » .

(١) المصدر السابق

(٢) وانظر أيضاً تفسير الوصول ١ / ٦٢ ، ٦٣

وذكر الألوسي مع الملامسة الإيماء والهمة (وهي الكلام
الخطي وكل كلام معه بحج) وعلل اتخاذهم لها بخوف الحلف والكذب .
وهو طريف في الأقوال غريب .

ثم اطلعنا في كتاب المحبر لمحمد بن حبيب على هذا النص في
الكلام على سوق المشقر :

« وكان بيعهم فيها الملامسة والهمة : أما الملامسة [فهي]
الإيماء : يوميء بعضهم الى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى
يتراضوا إيماءً ، وأما الهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم
المشتري أنه قد بدا له ^(١) .

٤ - المعاوضة :

أو بيع السنين وهو أن يبيع ثمر الشجرة عامين أو ثلاثة أو
أكثر . وقد أبطله الاسلام لأنه من الغرر فهو بيع معدوم ومجهول
وغير مقدور على تسليمه وغير مملوك ^(٢) .

٥ - المزانة :

هي بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً . وكذا كل

(١) المحبر ص ٢٦٥ (طبعة حيدرآباد ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢)

(٢) شرح مسلم ٦ / ٣٦٨

ثم يبيع على شجر بثمر كيلاً وقد روى صاحب القاموس : « أنه كل جزاف لا يعلم كيله ولا عدده ولا وزنه يبيع بمسمى من مكيل وموزون ومعدود ، أو يبيع معلوم بمجهول من جنسه ، أو يبيع مجهول بمجهول من جنسه ، أو هي بيع المغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن . ، اهـ . والمزابنة المدافعة وسمي هذا البيع مزابنة لأن أحد المتبايعين إذا ندم زين صاحبه عما عقد عليه . وسيله في نهى الإسلام عنه سليل ما تقدمه لما فيه من الغرر ^(١) .

٦ - المحاقلة :

هي في الزرع على نحو المزابنة في التمر فيباع الزرع القائم بالحلب كيلاً . وقد نهى الرسول عن المحاقلة كما نهى عن المزابنة ^(١) .

٧ - المخابرة :

وهي - وإن كانت بالزراعة ألصق لأنها معاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثلث ونحوه من الأجزاء المعلومة - تتعلق بموضوعنا لأن أحد أعلام العربية فسرها تفسيراً يجعلها بهذا الباب أشبه . جاء في شرح مسلم للنووي : قيل إن المخابرة مشتقة من الخبيرة وهي النصيب وقال أبو عبيدة : هي النصيب من سمك أو لحم

(١) وانظر تفسير الوصول ٥٨/١

يقال : تخبروا خبيرة إذا اشتروا شاة فذبجوها وتقاسموا لحمها . وقال ابن الأعرابي : هي مأخوذة من (خير) لأن أول هذه المعاملة كان فيها اهـ . والذي يظهر أن ابن الأعرابي يشير إلى المزارعة لا إلى الاشتراك بالشاة الذي فسر المخابرة به أبو عبيدة ، لأن لأهل خير أرضين وعلماً بالزراعة .

٨ - حمل الحبل :

كان يباع يتبايعه أهل الجاهلية : كان الرجل منهم يبتاع الجزور إلى أن تُنتج الناقة وأحياناً إلى أن تُنتج التي في بطنها فإذا نُتجت حملها . فالحمل الأول يراد به ما في بطن النوق من الحمل ، والثاني حمل الذي في بطون النوق .

فهو رسول الله ﷺ عن هذا البيع . « وإنما نهي عنه لمعنيين : (أحدهما) أنه غرورٌ وبيع شيء لم يخلق بعد ، وهو أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير أن تكون أمه فهو بيع نتاج النتاج . (والثاني) : أن يبيعه إلى أجل ينتج فيه الحمل الذي في بطن الناقة وهو أجل مجهول ولا يصح ،^(١) والحيلة بالتحريك جمع حابل .

(١) انظر شرح مسلم ٦ : ٣٥٩ ، والنهاية لابن الأثير : مادة (حمل)

٩ - التصرية :

كان من عادة بعض العرب إذا أراد بيع شاة او ناقة امتنع من حلبها أياماً فيحتفل اللبن في ضرعها فيعظم . فإذا كان ذلك منها عرضها للبيع فيظن المشتري أن كثرة لبنها واحتفال ضرعها عادة مستمرة لها فلا يلبث أن يتبين خطأه بعد شرائها . والتصرية الجمع ، يقال صرى الماء في الحوض إذا جمعه . جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ « لا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر .^(١) »

١٠ - السراز :

لم أجد هذا الضرب من البيع في جميع المصادر التي بيدي ، لم يذكره أحد غير محمد بن حبيب بقوله : « وكان يبيعهم بها (أي بعكاظ) السراز ، فإذا وجب البيع - عند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء ولا يريد له الشركة في الربح .^(٢) »

وقد رجعت في هذه الكلمة إلى المعاجم التي في يدي وهي :

(١) شرح مسلم ٦ : ٣٦٠ ، البخاري (ليدن) ٣٤ كتاب البيوع رقم ٢٧

(٢) انظر كتاب المهر ص ٢٦٧ . وقد عزوناه في الطبعة الاولى الى

المرزوقي ولم يكن طبع كتاب المهر ، فلما طبع تبين ان المرزوقي نقل عبارته ولم يعزها .

الصحاح ، تاج العروس (شرح القاموس) ، لسان العرب ،
المجمل لابن فارس (نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية)
الجمهرة لابن دريد ، الفائق ، أساس البلاغة ، النهاية لابن الأثير ،
المصباح ، فلم أجد أحداً تعرض لهذا الضرب من البيوع ثم تحريت
في شروح الحديث وكتب الفقه مظنة أن أجد فيها تعرضاً له في صدد
كلامهم عن البيوع الفاسدة أو المنهي عنها فلم أظفر . إلا ما وجدت في
كتاب (المغرب في ترتيب المغرب) للمطرزي ، وعنه نقل صاحب
محيط المحيط ^(١) .

قال المطرزي :

« وفي المنتقى : بيع السرار ان تقول : أخرج يدي ويدك ،
فإن أخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا ، وإن أخرجت خاتمتك قبلي
فبكذا ، فإن أخرجاهما أو لم يخرجهما جميعاً عاداً في الإخراج ؟ » ^(٢) .

(١) لم أطلع في الطبعة الأولى إلا على محيط المحيط ، والفضل في تنبيهي إلى
كتاب المطرزي الأب (بويج) من بيروت فقد تفضل وكتب لي به .
(٢) أرسل إلى الأستاذ كرنكو المستشرق المعروف عقب صدور الطبعة
الأولى يقول : ولأرجع إلى بيع السرار في عكاظ وأظن أن أمر البيع والشراء
كان مرأ لا اجتماع القبائل التي بينهم عداوات ودماء في هذه السوق . وعلى هذا
تدل قصة طريف العنبري التي ذكرتموها وقد كانوا يتلثمون عند حضور السوق
مخافة أن يراهم عدوهم وهذا رأيي والله أعلم - اهـ وما زال النص على
صورة هذا النوع من البيع يعوزنا ، أما التلثم الذي ألمع إليه المستشرق الفقيه فلا
علاقة له بنوع هذا البيع .

١١ - التامز :

وهو البيع العام المعروف لجميع الناس بادين وحاضرين ، وذلك إذا كانت المبادلة يداً بيد وقالوا : يبع السوق تاجزاً بناجز أي حاضراً بحاضر .

١٢ - المجلس :

نص عليه محمد بن حبيب في كتابه المحبر (ص ٢٦٦) فقال في الكلام على سوق صنعاء : « وكان يبيعهم بها المجلس جس الأيدي » ولعله نوع من يبع الملامسة المتقدم .

* * *

جرى العرب في جاهليتهم على ما علمت من أنواع البيع التي تعرض أحد المتبايعين للغبن والضرر بلا مسوغ ، فلما أكرمهم الله بالاسلام رفع عنهم ضيم الجاهلية ونهاهم عن بيع الغرر بجميع صوره وأشكاله ليكون لكل من المتبايعين محض الاختيار فلا يتم بيع إلا إذا كان واضحاً معلوماً للمتبايعين ، وبالرضى الكامل . ولقد تبع الاسلام معاملات الجاهلين فأبطل كل مانعه غش وضرر كما في بيع حبّل الحبلّة وفي التصرية . وشرع لهم في التجارة والبيوع ما ضمن خير الناس جميعاً بأنعمهم ومشتريهم ورفع عنهم الحيف الذي كان يحيق بهم مما اعتادوه في جاهليتهم .

لم يقتصر الجاهليون في تجارتهم على ما قدمنا من ييوع فاسدة وعادات ضارة . فلهم الى ذلك مساوىء لا تقل قبحاً عما تقدمها : فمنها النَجَش وهو ان تواطىء رجلاً اذا اراد بيعاً أن تمدحـه ، أو أن يريد الإنسان أن يبيع يياعة فتساومه بها بـشـن كثير لينظر إليك ناظر فيقع فيها وكذلك في الاشياء كلها ^(١) .

ومن عاداتهم المَكْس وهي دراھم كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية ويقال للعشار أيضاً صاحب المَكْس . والمكس لغة النقص ، والمماكسة في البيع انتقاص الثمن وانحطاطه ^(٢) .

ولعل ذلك يكون بعد الاتفاق على ثمن معين قال الشاعر :
أفي كل أسواق العراق إتاوةً وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم
وظاهر أن المقصود بالمكس أشبه بالضرائب التي تجبها حكومات اليوم على البضائع .

وقد امتد تحكم تجار العرب إلى القوت الضروري فكانوا يحتكرونها على الفقراء فيتلقون الركبان ويشترون منهم الطعام وربما باعوه في مكانه قبل أن يبلغ السوق وقيل أن ينقلوه . ومنهم من كان يشتري ويبيع لحساب أهل البادية فبلحق بهؤلاء الضرر البالغ لجهلهم أمور التجارة ولأنهم في كل حال مغلوبون على أمرهم ، بعيدون عما

(١) ، (٢) المخصص والقاموس .

يباع ويشترى لهم ، ولعلمهم إن حضروا البيع رفعوا عن أنفسهم بعض الحيف . فلما كان الاسلام نهى عن جميع هذه المفاسد جملة فقد جاء في صحيح البخاري ^(١) : قال رسول الله ﷺ :

« لا تلقوا الركبان ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا تناجشوا ، ولا يبع حاضر لباد ^(٢) ، ولا تُصرّوا الغنم . ومن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إن رضىها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر . » وقد فسر ابن عباس قوله (لا يبع حاضر لباد) بقوله : لا يكن له سمساراً .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه ويقبضه » قال ابن عمر : « وكنا نشترى الطعام من الركبان جزافاً (أي بلا كيل ولا وزن ولا تقدير) فنهانا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى نتقله من مكانه . »

ثم شرع لهم السهولة في المعاملة والتيسير في البيع كما في حديث : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعها وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعها . »

وهناك مبيعات خاصة لأهل الجاهلية حرمها الاسلام وحرم

(١) طبع ليدن ٣٤ كتاب البيوع ٢٧

(٢) للحديث زيادة من رواية جابر : دعوا الناس يوزق الله بعضهم من بعض

ثمها ، أهمها الخمر ، فسيأتي ان الخمر من أهم ما كان يتجر به العرب وقد
اشتهرت مدن معينة في الجاهلية بخمرها الطيب اللذيذ ، ولا مندوحة
عن ذكر غزوة وأذرعاء وأندرين وهجر والحيرة .. وغيرهن من
البلدان التي تحمل خمرها قوافل العرب التجارية وقد قال الشاعر :

إذا ذقت فاما قلت طعم مُدامة

مُعْتَقَةٍ مما يجيء به التَّجَرُّ^(١)

وهي مورد تجاري عظيم لم يكن يستغني عنه العرب ، فلما حرم
الله على المسلمين الخمر حرم أيضاً ثمنها حسماً للداء ، فلا يجوز بيعها
ولا شراؤها كما نهى عن ثمن بقية المحرمات ففي صحيح البخاري :
« نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن . »
و « أن رسول الله ﷺ حرم بيع الخمر والميتة والخنزير
والأصنام^(٢) » وعن عائشة قالت : « لما نزلت آخر البقرة قرأهن النبي
في المسجد ثم حرم التجارة في الخمر . »

لكن التجارة الممقوتة جداً ، التي يصم عاراً بعض أهل الجاهلية هي
البغاء : كانوا يؤجرون إماءهم للرجال ويأخذون هم ما يكتسب
لهم جواديتهم من هذا الكسب المرذول . واستمرت هذه العادة حتى

جاء الاسلام وكانت الهجرة . ذكر المفسرون أن لعبد الله بن أبي بن سلول جاريتين يقال لهما مُسَيِّكَة ومُعَاذَة ، وكان يكرههما على الزنى لضريبة يأخذها منهما (وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية) . فلما جاء الاسلام قالت مُعَاذَة لمسيكة : « إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين : فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه ، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه . » لكن عبد الله هذا قال لهما : « ارجعا فازنيا . » فقالتا : « والله لا نفعل ، قد جاء الاسلام وحرم الزنى . » فأتا رسول الله ﷺ وشكنا إليه أمرهما فأنزل الله هذه الآية :

« وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ »^(١) .

ربا الجاهلية

لست هنا بصدد بيان الربا وأنواعه ومضاره على التجارة والعمران والأخلاق ، وما يعقب من خراب البيوت وتقويض الأسر وققدان الثروة والشقاء والدمار ، فذلك معروف أمره ، مستوفى شرحه في مظانه من كتب الحديث والتفسير ، عدا ما يعاين الناس في حياتهم من شروعه على المرايين أنفسهم قبل غيرهم ، فحوادثه نشاهدها في كل يوم بالعشرات . وإنما أريد الإشارة الى ما استفاض منه في الجاهلية حتى أتى الاسلام فاجتته من جذوره .

يرجح أن الذي أشاع الربا في حميرة العرب هم اليهود الطارئون عليها ، الذين اتخذوا من بعض قرأها ومدنها مستعمرات عاجلوا فيها الزراعة فأصابوا منها الغنى ولم يكن لعرب الحجاز فيها كبير نصيب . فكان العربي إذا أعوزه المال اقترض ورهن عند داتته درعه أو ثيابه أو سلاحه ، وأحياناً تشتد به الحاجة ويشتط الدائن فيرهن ولده

إلا أن الربا لم يقتصر على اليهود ، بل مازال ينتشر في مكة والطائف وخيبر ووادي القرى ويثرب حتى ألفه الناس وصاروا يأخذون به ويعطون .

اشتهرت الطائف برباها ولعل هذه الشهرة كانت لمكان اليهود منها فقد جاء في فتوح البلدان للبلاذري (ص ٥٦) أنه « كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية ... »

ويذكر المفسرون « أن أربعة أخوة من ثقيف كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن عوف الثقفي ، وكانوا يرايون ، فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة . فقال بنو المغيرة : « والله مانعني الربا في الاسلام وقد وضعه الله عن المؤمنين . » فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب الى النبي بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيماً فأنزل الله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ .. »^(٨) هذا وقد كانت ثقيف صالحت النبي ﷺ على أن ما لهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع ، وثقيف هم أهل الطائف . ولم تقتصر علائق أهل مكة مع أهل الطائف على المراقبة والتجارة بل كان لأهل مكة أملاك بالطائف يصلحونها ويستغلونها فقد « كان

للعباس أرض بالطائف وكان الزبيب يحمل منها فينبذ بالسقاية للحاج
وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها...
وصارت أرض الطائف مخلافاً من مخالف مكة^(١) ،

وكان بالمدينة - وفيها كثير من اليهود - ربا منتشر، وعرف من
مرايها من أصبح ذا غنى فاحش :

جاء في خزائن الأدب : « كان أحيحة بن الجلاح كثير المال
شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان
له تسع وتسعون بئراً كلها ينضح عليها وكان له .. الخ^(٢) ،

ومن مراجعة كتاب الصلح الذي كتبه رسول الله ﷺ لأهل
نجران فلم أن غير اليهود لهم نصيب يحملونه من أمر الربا هذا ، فقد
شرط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به « ومن أكل منهم ربا من
ذي قبل فذمتي منه بريئة . » ولعل نصارى نجران كانوا قد بلغوا من
التعامل به ، مبلغاً صعب عليهم فيه تنفيذ هذا الشرط ، لما تأصل فيهم من
اعتياده ، حتى استفحل أمره فيهم أيام خلافة عمر بن الخطاب وشاعت
لهم أموال أفادوها منه وخف عمر العاقبة فأجلاهم^(٣)

(١) البلاذري ج ١ ص ٥٦ (٢) خزائن الأدب ٣/٣٣٧ (المطبعة السلفية)

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ١/٦٦

تسرب الربا إلى أهل مكة وتعاملوا به وعُرف رجال منهم من أهل الشرف والرئاسة بتعاطيه كالعباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وعثمان بن عفان^(١) وغيرهم . ومتى انتشرت عادة قبيحة ستر فشوها قبحها فلم يترفع عنها أحد ، وكانت الضرورة والحاجة شر معوان على تعاطيه وبذلك انحصر الغنى في طائفة معينة وعم الفقر من عداهم .

بلغ اليهود في هذا الميدان شوطاً لم يلحقهم فيه لاحق قط ، لما تركز فيهم من الثراء وما حذقوا من حسن التأتي في تدمير أموالهم ، واستغلال الفقر والسذاجة في العرب ، فاعتقدوا الأرضين وبنوا الحصون ثم دأبوا في جمع المال وتنميته وإدائته حتى كثرت الرهائن عندهم واشتطوا في طلبها وافتنوا في تنويعها اقتنائاً شائناً ، فصاروا يرتهنون الأولاد ويطلبون النساء أيضاً ولا يرعون في سبيل المادة حلفاً ولا آصرة : جاء في سيرة ابن هشام (٣٤١ : ٢) أن أبا نائلة سلكان بن سلامة أتى أحد أشراف اليهود وأغنيائهم ، كعب بن الأشرف وكان أخاه من الرضاعة فقال له : « إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك . » فقال كعب : « أترهنوني نساءكم ! »

(١) انظر تفسير الحازن عند قوله « وذروا ما بقي من الربا » من سورة البقرة

قال : « كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ؟ »
قال كعب « أترهنوني أبناءكم ؟ » قال : « لقد أردت أن تفضحنا ، إن
معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن
في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه الوفاء . »

يريد أبو نائلة بقوله : « على مثل رأيي » : تضايقهم من مجيء
الرسول والمسلمين ومزاحمتهم في بلدهم (المدينة) على العيش ، فلينظر
امروء كيف لم يشفع شيء عند كعب في سبيل المادة ، لا مشايعة القوم
له (ظاهراً) في هواه وعداوته لرسول الله ، ولا أخيرة الرضاة ،
لا شيء إلا المال والربح ، المال وحده هو معبود اليهود منذ خلقوا إلى
يوم يعيشون .

هذا الغلو من اليهود في الربا وتعاطيه منذ القديم هو السبب في
تشنيع القرآن الكريم لفعالتهم وتعنيفهم عليها حين يقول :
فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ
لَهُمْ وَبَدَّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَ هُمُ الرِّبَا وَقَدْ
نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ^(١) .

أنى الإسلام وطعمة كثير من الجاهليين وما كلهم من الربا فامتنع
 قسم منهم من الاتجار لأن الربح قد حصل لهم بأخف مؤونة وأيسر
 مشقة : فلا أسفار ولا تعرض لأخطار ولا جهد ولا سعي . وكف
 أكثرهم بطبيعة الحال عن الإقراض بلا فائدة واعتاد المدين إعطاء
 الربا راضياً ، غير واجد فيه غناً ولا شناعة وقال كثير منهم : «سواء
 علينا الزيادة في أرل "بيع بلربح أر عند المحل لأجل التأخير . ، هو "نوا
 بذلك على أنفسهم ورأيا البيع والربا سواء في الزيادة حتى أكذبهم
 الله وعنفهم أشد تنبيه . بقوله : «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَوَلَّوْنَ
 إِلَّا كَمَا يَقْدِمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَالُوا إِنَّمَا بَيْعُ مِثْلِ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (١)
 ولما حرم الإسلام الربا جملة واحدة كان لابد من تشريع
 حاسم للعلاقة بين سبقت اسلام المذايبن بدراي كانت لا يخلو
 من الارتباط بها : كان يعاطى بجزرة وغيرها من شئ من الكرب
 ويقف الناس وراء شبكة جديدة : لم يمتنعوا . فقدم على ما حدث .
 قبل الاسلام إن حل أم أجل أم يقيدهن ؟ باليهنهم أر : ما كان من
 فاسداً حسب هذه النعالم ؟ وإذا كان الامر اثنى فلا بد حينئذ من

غبن - في زعمهم - يلحق الدائن . وقد عرضت قضية من هذا الشكل
فتزل الوحي بالحل القاطع :

ذكر الطبري في تفسيره : أن العباس ورجلاً من بني المغيرة (لعله
خالد بن الوليد المصرح به في تفسير الخازن) كانا شريكين في
الجاهلية ، سلفاً في الربا إلى أناس من ثقيف وهم بنو عمرو بن عمير
فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا . وذكر الخازن أن عثمان
ابن عفان والعباس بن عبد المطلب كانا أسلفاً في التمر فلما كان وقت
الجذاذ قال صاحب التمر لهما : « إن أنتم أخذتما حقكما لم يبق لي
ما يكفي عيالي ، فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرنا النصف وأضعف
لكما ؟ » ففعلا ، فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك رسول الله
ﷺ فتهاهما .

وسواء أكانت الحادثة الأولى أم الثانية سبباً في نزول الآية ، إن
من المعقول أن تتعدد الحوادث على هذا النسق لتفشي المعاملات فيما
سبق على الربا ، وحلول الآجال أجلاً بعد أجل ، وتخير الدائن
والمدين معاً بين إمضاء التعاقد السابق للتحريم ، والاذعان والكف عما
نهى الله عنه ، أي كانت قد نزل قول الله فاصلاً في هذه المسائل
وأشباهاها بهذا التشريع الحاسم الذي لا هوادة فيه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ^(١) » .

فسمع العباس وخالد وعثمان وغيرهم وأطاعوا وأخذوا رؤوس أموالهم . وكتب رسول الله يحيب عتأباً عاملة على مكة بهذه الآية وقال له في آخرها : « إن رضوا وإلا فآذنهم بحرب ^(٢) » .

هذا ما كان من الربا في الجاهلية عامة : يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل : لأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده أوخر عنه . إلا أن هناك ربا خاصاً كان من أثقل الأعباء على المعسرين وهو ربا الأضعاف الذي أشار القرآن الكريم إليه بقوله : « لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً .. الآية ^(٣) » ، وذلك أن الرجل منهم في الجاهلية يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فاذا حل الأجل وكان الذي عليه الدين ضائعاً لا يجد ما يؤدي به دينه قال صاحب المال : « زدني في المال حتى أزيدك في الأجل . » فيقول الآخر : « أخر عني دينك وأزيدك على مالك كذا . » فيفعلان ويكون الدين

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٨، ٢٧٩ (٢) انظر تفسير الطبري

(٣) سورة آل عمران ١٣٠/٣

مئة فيصير الى قابل مئتين مثلاً ، وربما حل الأجل الثاني والذي عليه الدين في إعساره ذاك ، لم يتخلص منه ، فيؤجله الدائن أجلاً ثالثاً ، ويزيد المال عليه وربما فعلوا ذلك مراراً حتى تصير المئة بعد سنين مئات .
وذكر ابن حجر في الزواج ما يفيد أن ربا الجاهلية كن الإساءة فيه بالشهور ، وعلى ذلك يسهل علينا إدراك هذا التضعيف فيه قال : « وربا الذبيحة الذي كان شهوراً في الجاهلية لأن الواحد منهم كان يدفع مائة لغيره الى أجل ، على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً وروس المال باق بحاله . فإذا حل الأجل طالب برأسه ، فإن تمرد عليه الأداء زاده الحاق والأجل . »

ذ تضعيهم في العبر (تنقرد) ، وأما : فهم في السنة فـ
 الابل رد شرحوا ذاء بما أتى :
 « ثم كان الربا : الجاهلية في التضعيف ربي السن : يكرر
 لاجل نذر دين فيأتيه إذا حضر الأجر فقل : (تقدرني أو تزيدني)
 فإذا كان عند شيء يقضيه قضى إلا سوله الى ابن التي فرق ذلك :
 ارباً : ابنة مخاض (وهي التي دخلت في السنة : نية) بجهرا ابنة
 لب زاً وهي التي دخلت في الثالثة) في السنة الثانية : ربيعة (وهي
 التي تبت بها اربابة) ثم جناعة (وهي التي تبت بها اربابة) ثم
 رباعياً : هكذا .. الى فوق ،

بدأت العلائق التي نشأت عن تعامل الجاهلية تضحل بقاياها مع الزمن . وقد تشدد الاسلام بما يرتبط منها بالربا تشدداً حازماً ، وورد فيها من الوعيد والتهديد مالا مجال لبسطه هنا . وكان ختمها ماجهر به رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، في خطبته ببيغة المناثورة التي كانت فاصلة بين آثار الجاهلية وعهد جديد ، والتي يسر فيها أهم الأمور الجسام التي يريد من أمته التمسك بها . وكان في طليعتها دون شك ، الربا فقال فيه :

« ألا وإن كل ربا الجاهلية ووضوع كله ، وأول ربا أبدى به ربا عمي العباس بن عبد المطلب « لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (١) .

المحلون والمحرمون والخمس

كان العرب يعظمون أمكنة خاصة وشهوراً معينة ، لا يسفكون فيها دماً ، ولا يتجاوز بعضهم على بعض حتى يزايلا المكان الحرام ، أو ينقضي الشهر الحرام .

وكان من بعد النظر أن جعلوا أكبر أسواقهم يقام في الأشهر الحرم ، فكانت سوق حباشة وسوق صُحار في رجب ، وحضرموت في ذي القعدة ، وعكاظ ومجنة وذو المجاز في ذي القعدة وذو الحجة ، ومعلوم أن الأشهر الحرم أربعة : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، تضع فيهن العرب سلاحها فلو لقي المرء قاتل أبيه ما وسعه التعرض له بسوء ، حتى إن تلقيهم رجب بالأصم ، كان لأنه لا ينادى فيه : (يا صباحاه) ^(١) ولا (يا فلان) ؛ فينقطع فيه صوت الأسلحة . وكان من أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الشهر الحرام والبلد الحرام . ولهذا سميت العرب حروب قريش وهوازن في عكاظ بحروب الفجار لفجورهم باقتالهم في الشهر الحرام .

ولما ترصدت سرية عبد الله بن جحش غير قريش و كانت تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارتهم فيها عمرو بن الحضرمي ، بنخلة بين مكة والطائف ، وظفرت بالغير وقتلت ابن الحضرمي بعد أن هاب قوم الإقدام على القتل لأنهم كانوا في آخر يوم من رجب ، وأقبلوا على رسول الله ﷺ بالغير وبأسيرين ، امتنع رسول الله ﷺ عن أخذ الخمس وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام^(١) ، وسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيا صنعوا .

وأيقنت قريش أنها وقعت على ما تعيب به محمداً وأصحابه عند العرب عامة لما انتهكوا من حرمة الشهر فجعلت تشيع قولها :
« قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . » وأكثروا من ذلك لما فيه من تهيج العرب وتغيير قلوبها على صاحب الدعوة وتصويرها له في صورة المستحل الذي لا يرعى حرمة للشهر المحرم كما لم يرع من قبل حرمة آلهتهم . وتناست قريش ما كانت صنعت مع النبي وأصحابه من إيذاء وتعنيف حتى اضطروهم إلى الهجرة إلى الحبشة ثم

الى المدينة . ثم تناست ما عاملت به المستضعفين من المسلمين من إقامة في الهاجرة تصهرهم الشمس ، ومن إلقاء الصخور عليهم ، وتهاققتهم على هؤلاء ضرباً وإيلاماً حتى يفتنهم عن دينهم . ثم تنويعهم أساليب العذاب لهم ولأهلهم . فلما أشفق المسلمون من صنيع سرية عبد الله ابن جحش واستطالة السنة قرش فيهم أنزل الله هذه الآية :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ... الآية (١) » .

وقال عبد الله بن جحش يرد على قرش :

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشداً
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به ، والله راء وشاهد ،
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى لله في البيت ساجداً
فإنا وإن عيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسداً
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقداً
دماً وابن عبد الله عثمان يئتنا	ينازعه غل من القد عانداً ^(٢)

(١) سورة البقرة ٢/٢١٧

(٢) ذكر ابن هشام أنها تنسب أيضاً لأبي بكر ، ومما يقل في نسبتها =

قال المرزوقي : « كانت هذه الاسواق منها ما يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها ، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها ، لكنه لا يصل إليها أحد إلا بخفير ولا يرجع إلا بخفير . » ولا يخفى أن الأمن من أوكد الأسباب في انتظام أمور التجارة ، فلولا ما أخرج بائع بضاعة ، ولا تظاهر مشتري بملك نقود . ومن هنا كان لقريش تلك الزعامة التجارية لأنها تسكن الحرم حيث الأمن والسلم ، وحيث لا تحدث أحداً نفسه البغي والعدوان . فكانت تجارات العرب أروج ما تكون حيث يستتب الأمن وتعم الثقة . رعاية هذه الحرم على ما تقدم ليست مطردة على إطلاقها ، بل هي كذلك في الأعم الأغلب ، إذ ان هناك قبائل معدودة لا تعرف لهذه المحرمات حقاً ، فكانت تسفك الدم ولو في الشهر الحرام أو البلد الحرام . علمت قريش أمر هذه القبائل فكانت تسلك في طريقها على القبائل التي تحفظ لها حرمتها فإذا وردت على من لا يرعاها تخفضت بخفير . ونحن مدينون للمرزوقي الذي له الفضل بإطلاعنا على ما لقريش من منزلة سامية في نفوس قبائل العرب وخاصة الذين يكونون على

= فإن فيها الجواب الطبيعي الذي لا يعقل إلا أنهم أجابوا به قريشاً .
واقد : هو ابن عبد الله التميمي الذي رمى ابن الحضرمي فقتله ؛ وعثمان ابن عبد الله : أحد الأسيرين ؛ والغل : ما يشد على العنق . والقدر : السير من جلد .

طريقها ، كما علمنا منه القبائل التي لا تجتاز بها قريش إلا متخفرة .
كانت قريش في خروجها من مكة قاصدة دومة الجندل إذا أخذت
على الحزن لم تتحضر بأحد من العرب حتى ترجع . وذلك أن مضر
عامتهم لا تتعرض لتجار قريش ولا يتهمهم حليف لمضري ، مع
تعظيمهم لقريش ومكانهم من البيت . وكانت مضر تقول : قد قضت
عنا قريش مذمة ما ورثنا أبونا إسماعيل من الدين . وكانوا إذا خرجوا
من الحزن أو على الحزن وردوا مياه كلب ، وكانت كلب حلفاء بني
تميم . فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا في بني أسد . حتى يخرجوا على طيء
فتعطيهم وتدلمهم على ما أرادوا لأن طيئاً حلفاء بني أسد . فإذا أخذوا
طريق العراق تخفروا ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فيجيز
لهم ذلك ربيعة كلها .

هذا هو . نظر أغلب العرب إلى قريش : تعظيم لهم واحترام ،
لمكانهم من البيت ولأنهم سددته والقائمون بأمور الحاج أيام الحج .
أذعنت لهم بذلك العرب وعرفوا لهم حقوقهم لأنهم قوام الدين الذي
دان به العرب قبل الإسلام وهم لهم تبع . وقد استغل القرشيون هذه
المكانة القدسية ، فضربوا في جزيرة العرب شمالاً وجنوباً متاجرين
لا يعرض لهم ولا لأموالهم .

وكانوا بطبيعة الأمر مسيطرين على الاسواق الثلاث الكبرى التي تقوم قريباً من مكة وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز . وفيها يجتمع أكبر حفل من بلاد العرب من جميع أطرافها لوقوع هذه الأسواق في أيام الحج وقريباً من أمكنته .

ويظهر أن قريشاً لم تكتف بما لها من نفوذ في قبائل العرب بل أرادت أن تصبغ نفسها صبغة تمتاز بها منهم في الدين نفسه ، كأنهم طبقة خاصة تتمتع بحقوق ليس لغيرهم أن يتمتع بها ، ورمت من وراء ذلك إلى أن تتمكن هيبتها في نفوس الأعراب الغفل . أقصد بذلك ما يعرف في كتب السير بحديث (الخمس) :

مادة (خمس) في اللغة تفيد الشدة والصلاة في الدين والقتال . تلقت قريش بالخمسة هي وأحلافها من كنانة ، وخزاعة ، وجديلة ، وكلاب وكعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ^(١) . ومن تبعهم في الجاهلية ، وخلاصة هذا الحديث في بدعتهم تلك أنهم قالوا فيما بينهم .

« نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقطان مكة ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له

(١) مادة ١١٨/٢ في معجم اللغة العربية الحديثة . كتاب الخمس من قريش . - الفهرست

لابن النديم ص ٨٠ . وانظر معجمهم أيضاً في (المجلد) لمحمد بن حبيب ص ١٧٨

العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخف العرب بجرمتكم وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فأجمعوا على هذا الرأي وتركوا الوقوف على عرقة والإفاضة منها كما يفعل سائر العرب . وهم مع إقرارهم أن الوقوف بعرة من مشاعر الحج ودين إبراهيم ، ومع أنهم يأمررون العرب عادة بالوقوف والإفاضة ، ابتدعوا لأنفسهم البقاء في الحرم واعتذروا لذلك بقولهم : « نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس . » « لا نفيض إلا من الحرم ، نحن قطين الله فلا نخرج من حرمه »^(١) وجعلوا لأنفسهم حق تمييز غيرهم بما ميزوا به أنفسهم . ثم ترقوا في الامتياز فحرموا على أنفسهم اقتقاط الأقط وسائلة^(٢) السمن مادادوا حرماً ، كما حرموا الاستظلال بغير بيوت الأدم محرمين ، وكما حرموا على أنفسهم أن يدخلوا بيتاً مادادوا محرمين . ثم حظروا على غيرهم الأكل من غير طعام الحرم ، فمن جاء بطعم من غير الحرم ، وكان حياً أو معتمراً حرم عليه الأكل منه . ولم يقتصر تحكيمهم بغيرهم على هذا ،

(١) تيسير الوصول ٣٠٥/١ ، والقطين : الجيران

(٢) سلا السمن طبخه وعالجه ، والأقط : شيء يتخذ من الخيض الغنمي

وأقط الطعام : عمله به . « القاموس »

بل تعداه إلى الثياب فحجروا على كل إنسان من غيرهم الطواف بالبيت
أول ما يقدمون إلا بثياب الخمس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة
ومن طاف في غير ثياب الخمس حرمته عليه بعد الطواف فألقاها ولم
يُنتفع بها قط ^(١) .

وكانت العرب إذ أحرمت لم تدخل البيوت من أبوابها وإنما
تتقب في ظهورها تقصاً فتدخل منه وتخرج ويزعون أن ذلك من البر ،
إلا الحسب فإنه من ممتازوا من بني سثرا العرب بدخول البيوت من
أبوابها وهم محرمون . وجروا سير ذلك حتى في الإسلام وكانوا
يسكنون من غير الحسب أن : من أحدهم محراً من بني ،
فيذكرون أنه : بنما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من باب
مخرج مع قبيصة بن عمار لا يرى قلوباً ولا الله إن قطب رجل
فجر وإنه خرج من الباب ! ! ! : : : حالك على ما حدث :
قال : « رأيتك ليلة فمعت كازلت » : « إني ربيز أحمي » :
له : « إن دني دينك » وروى ما حدث أصحابي اسمرفاعة
له : « خرج من النبي » الباب قلوباً رسول الله ﷺ رفاعه (٢)

(١٠) ط. تفصيلاً وفي من هدا في (المخبر) لعماد بن حبيب ص ١٨٠

(٢) انظر ابواب المقول في أسباب النزول

استغلوا سذاجة من حولهم من الأعراب ليتفردوا بالحرمة والتقدّيس فيأمنوا بعدها على تجارتهم ويستفيدوا من هذا التمويه ثراء وبسطة عيش . فلما جاء الاسلام دكت الامتيازات كلها جملة واحدة ونزل قول الله لقريش :

« ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ^(١) كما نزل قوله تعالى في نسخ إتيان البيوت من ظهورها : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ، وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا » ^(٢) فشعائر الدين بعد هذه الآية يدعن لها الناس جميعاً بلا تمييز .

واستوى في الحج القرشي وغيره بعد أن كانت قريش تنفرد دون جميع الحجاج إذا خرجوا من مكة يوم التروية وترووا من الماء ، فتزل الحُمسُ أطراف الحرم من نَمرة يوم عرفة ، وتنزل الحلة عرفة . وقد أجمع أصحاب السير أن رسول الله ﷺ وقف مع الناس بعرفة في سنته التي دعا فيها قبل الهجرة ولم يقف مع الحُمس في طرف الحرم . فكان هذا مما جلب نظر الناس ، وروى ابن هشام عن جبير ^(٣) بن

(١) سورة البقرة ١٩٩/٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩/٢ وانظر المصدر السابق

(٣) كان جبير هذا من أصحاب التجارات المشهورين ، ولما انقضت بيعة -

مطعم أنه قال : « أضللت بعيراً في يوم عرفة » فخرجت أقصه وأتبعه
بعرفة إذ أبصرت محمداً بعرفة ! فقلت : هذا من المحس ، فما يقفه هاهنا ؟
فعجبت له ^(١) .

تزيد قريش في دينها أو في ابتداعها على الأصح ، علم بعض
الاحتياط ، وما زال الدين - كما عليه الوطنية في أيامنا - مبتلى بمكر
المرتكبين والمحتالين ورواد المنافع . فكان إذا أحدث أحد العرب
حدثاً وخاف على نفسه وجد في حرمة الشهر وحرمة الحرم خير معاذ
يعتصم به من أن يناله القصاص . والظاهر أن أمثال هذه الحوادث
تكررت حتى حلت من حياة العرب الاجتماعية محل العادات المستحكمة
فقد ذكر الأزرقي أنه كان « من سنتهم أن الرجل يحدث الحدث :
يقتل الرجل أو يلطمه أو يضربه فيربط الحاء من الحاء ^(٢) الحرم قلادة
في رقبته ويقول : « أنا ضرورة . » فيقال : « دعوا الضرورة ببهله
وإن رمى بجعره ^(٣) في رحله . » فلا يعرض له أحد . فقال النبي

العقبه وعرفت قريش أمرها وأرسلت تتعقب الثريين ، ووقع في قبضتها سعد
ابن عباد ، أجاره جبير بن مطعم والحارث بن أمية ، إذ كانت سعد يجير لها
قوافلها التجارية كلما مرت بالمدينة .

(١) انظر ج ٢ ص ١٩٤ (٢) الحاء ما على العود من قشر ، بالمد والقصر لغة .

(٣) الجعر ما يمس من العذرة

ﷺ ، لا ضرورة في الاسلام ، وإنه من أحدث حدثاً أخذ
بحدته .^(١) اهـ

إذا أضفت هذه التزييدات الى ما في نفوس العرب من نفرة
للخضوع حتى للدين ، استطعت أن تستسيغ وجود قبائل تستهين
بالحرمت وتجاهل مكان قريش فتراها كغيرها من سائر العرب
دماء وأموالا ، بل تذهب أبعد من ذلك فلا ترعى حرمة شهر ولا
أيام حج . ومن هنا تخوف الناس بعض التخرف من ورود الأسواق
عزلاً ، ولو كانت مراسمها في الأشهر الحرم . فإن كنت علمت أن
عكاظ ومجنة وذا المجز ، الأسواق الكبرى للعرب تقام في الأشهر
الحرم فالم ن الأمن فيها هو أكثر حالها : الاغلب من أيامها وأن
مواقع فيها من أحداث استحدثت فيها حرمتها ، صادر ممن لا يرى لها
حرم . وهم قايمة قلما يقيم المؤرخون لها حساباً .

انقسم العرب إزاء حرمة هذه الأسواق أقساماً ثلاثة :

١ - فأما قسم فقد استحلوا المظالم فيها في أشهر الحج ، ففعلوا
المناكر وأحلوا الحرم وفتكوا وسرقوا ولم يحفظوا للمكان ولا
لشهر ولا لقريش حرمة ما ، فسموا [المحلين] لما استحلوا من الحرم

وهم قبائل من أسد وطىء وبكر بن عبد مناة وقوم من بني عامر بن صعصعة^(١) وأناس من خثعم وقضاعة . وغير هؤلاء أيضاً : ذؤبان وصعاليك وخلعاء ، ممن نفاهم قومهم وتبرؤوا منهم .

٢ - وأما القسم الثاني فأقوام حفظت للمكان قدسه وللشهر حرمة وللقوام على البيت منزلتهم ، فكفت عن الفتك والسرقة وسائر المظالم وأنكرت على المحلين استخفافهم ، ونصبت أنفسهم لنصرة المظلوم وحقن الدماء ومنع الأذى فسموا : [الذادة المحرمين] وهم أغلب العرب .

٣ - والقسم الثالث « أهل هوى شرعه لهم صلصل بن أوس من بني عمرو بن تميم ، فإنه أحل قتال المحلين^(٢) » فيلبسون سلاحهم ليدفعوا عن الناس أذى المحلين من الفريق الآخر . وكان في هؤلاء أيضاً قبائل من طىء وخثعم ، وناس من بني أسد بن خزيمه .

أما سائر العرب ممن لم نعد ، فهم في صف المحرمين : يضرعون أسلحتهم في الأشهر الحرم و « كان الرجل إذا خرج من بيته حاجاً أو داجاً (والداج التاجر في الأشهر الحرم) أهدى وأحرم ثم قد

(١) انظر كتاب الأزمته والأمكنة ١٦٦/٢

(٢) الأزمته والأمكنة ١٦٦/٢

وأشعر^(١) فيكون ذلك أماناً له في المحلين . وكان الداج إذا انفرد وخشي على نفسه ولم يجد هدياً ، قلّد نفسه بقلادة من شعر أو وبر ، وأشعر نفسه بصوفة فياً من بها . وإذا صدر من مكة تقلد من لحاء شجر الحرم . وكان الداج وغيره إذا أمّ البيت وليس له علم بذلك ولا هو في سبيل الحرم أخذ المحلون مامعه . وكانت العرب جميعاً تنزع أسنتها في الأشهر الحرم ، غير المحلين والذين يقاتلونهم ، فإنهم كانوا يقاتلونهم حتى في الأشهر الحرم .^(٢)

خير تلك الطوائف الطائفة الثالثة التي نعتها المرزوقي بأنها أهل هوى : إذ لا يكفي أن يكون الإنسان محرماً يرعى ذمام الشهر والمكان ، كافاً أذاه عن غيره وهو ينظر إلى المحلين يسفكون الدم الحرام وينهبون المال الحرام . ليس من البر أن يترك هؤلاء وائتهاكم بل البر كل البر أن يكون المرء محرماً ثم مدافعاً عن المحرمين شر هؤلاء المعتدين . وبذلك تستأصل شأفتهم ويحسم ضرهم . أما كف

(١) أهدي ساق الهدني وهو ما يهدي إلى الحرم من النعم . وأحرم دخل بالحج . وقلّد : من تقليد الهدني وهو أن يعلق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنه هدني فيكف الناس عنه . وأشعر البدّة (الناقة) إشعاراً جزئياً سنامها حتى يسيل منه الدم فيعلم أنها هدني .
(٢) الأزمنة والأمكنة ١٦٦/٢

اليد والاقتصار عليه بينا العين تنظر مكان المستيحيين ومدى أذاهم في
الآمنين البريثين ، فإنه إن لم يكن إثماً لم يكن براً وإن دان به أكثر
العرب، ولعل خير ما يثل هؤلاء كلمة الزبير بن عبد المطلب أحد الحمس
وكان شاعراً خطيباً سيداً جواداً :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزّة حتى يموتوا
ثيابهم شمّال أو عباء بها دنس كما دنس الحميت^(١)
ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت
ويقطع نخرة المختال عنا رفاق الحد ضربته صموت
بكف مجرب لا عيب فيه إذا لقي الكريهة يستميت^(٢)
بقي أمر ، وهو أي الحرمتين العرب أكثر رعاية لها : أشهر أم
الحرم ؟ فإن المرء يحب أن يعرف الواقع ليستطيع أن يتمم فكرته
عن مفاضلتهم بين الحرمتين ، ومن يتتبع ما وراء الحوادث يعرف أن
العرب أوعى لحرمة الحرم منها لحرمة الشهر ، ولنا على ذلك أدلة :

١ - منها أن حرمة الحرم لا تكلفهم إلا رعاية مكان محدود مدة
إقامتهم فيه هي سورة لهم وقل أن حفظ التاريخ انتهى كالحرم -

(١) ص ٧٢ رسائل الجاحظ (جمع السندوي) ، الحميت : الزق الصغير ،
وعاء السن متّين بالرؤب - القاموس

الحرم . وليس كذلك حرمة الشهر فإن أمد رعايتها طويل جداً وهو ثلث السنة فيجب عليهم أن يكفوا عن الاعتداء مدة أربعة أشهر في أي بقعة كانوا وهو قيد صعب على طبيعة العربي النفور من القيود .

٢ — كثير من القبائل انتهكت حرمة الشهر ولم تجرؤ على انتهاك حرمة الحرم على حين أن ثأرها وشرفها — وأنت تعلم قيمتها عندهم — كانوا يتقاضونها غرض النظر عن حرمة الحرم . كان من هؤلاء القبائل قريش نفسها . فسيمر بك في حرب الفجار التي كانت بين قريش وأحلافها من جهة وهوازن وقيس وأحلافها من جهة أخرى ، أن القوم اقتتلوا بعكاظ في الشهر الحرام فاستووا جميعاً في انتهاك حرمة مع أن قريشاً هي القيمة على دين العرب بحكم مكانها من البيت .

إلا أن قريشاً لما انسلت من عكاظ حين أتاها نبا اعتداء أحد أحلافها على هوازني ، خوفاً من هوازن التي كانت تكاثرة في السوق ، علمت هوازن بالأمر فاتبعت قريشاً فاقتلوا حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم فامسكت عنهم هوازن رعاية لحرمة . فهم جميعاً يرون للحرم من الرعاية مالا يرون للشهر .

٣ — للعرب أساطير تقص العقاب الشديد الذي نزل بمن لم يبال

حق الحرم ، وليس لهم في قوتها أساطير تعاقب من انتهاك حرمة الشهر . واقرأ إن شئت حديث إساف ونائلة^(١) اللذين مسخا صنمين لأنها لم يحفظا للبيت حرمة ، واقرأ إن شئت الأحداث التي تروى سيرة ابن هشام (١ : ١٨ فما بعد) في ذلك والأشعار ، وكلها متضافرة في بيان تعظيم حرمة البيت والعقاب الشديد الذي حل بمن أراداتها كها .
٤ — أمر النسيء وهو تلاعب محض بالتقاليد التي تخص الشهر ، ولم يؤثر لهم مثله ولا قريب منه فيما يخص الحرم . جاء في أمالي القالي :
[أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة فقال : « أنا الذي لا أعاب ولا يرد لي قضاء . » فيقولون له : « أنسنا شهراً ، أي آخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر . »
وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم) لا تمكنهم الإغارة فيها . لأن معاشهم كان من الإغارة : فيحل لهم (نعيم بن ثعلبة) المحرم ويحرم عليهم (بدلاً منه)

(١) في كتاب الأصنام للكلبي : أن إساف رجل من جرهم يقال له إساف ابن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم وكانت يتعشقا في أرض "يمن" ، فصبا فدخلتا الكعبة ، فوجدتا غفلة من الناس وخلوة من البيت ، ففجرا بها فيه ، فمسخا . فأصبحوا فوجدوهما بمسوخين فوضعهما ليتعظ بهما الناس . فلما طال مكثها وعبدت الأصنام عبداً معها . اهـ . ثم صارت قريش تنحر عندهما النسائك

صَفْرًا ، فَإِذَا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْمُحَرَّمَ وَأَحْلَاهُمْ صَفْرًا ،
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضِلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ .. الْآيَةُ ^(١) » ،

وقال الشاعر :

أَلَسْنَا النَّاسِثِينَ عَلَى مَعْدٍ شُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا ^(٢)
هَذَا وَقَدْ وَفَّرَ فِي قُفُوسِ الْعَرَبِ أَنْ مَكَّةَ لَا تَقْرَفُ فِيهَا بَغْيًا وَلَا
ظُلْمًا ، لَا يَبْغِي فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَجَتْهُ وَلَا يَرِيدُهَا مَلِكٌ يَسْتَحِلُّ حَرَمَهَا
إِلَّا هَلَكَ مَكَانَهُ ^(٣) . ، وَذَهَبَ الزُّرْقَانِيُّ إِلَى أَنَّهَا سَمِيَتْ (بَكَّةَ) لِأَنَّهَا تَبْكُ
(تَدْقُ) أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ .

فَلِلْحَرَمِ فِي صُدُورِهِمْ رَهْبَةٌ لَا يَدَانِيهِ فِيهَا غَيْرُهُ .
رَأَيْتُ أَنَّ اسْمَ الْحَرَمِ الَّذِي تَضَافُ إِلَيْهِ قَرِيشٌ ، كَانَ خَيْرَ حَارِسٍ
لِتِجَارَتِهَا وَغَيْرِهَا . تَسِيرُ بِفَضْلِهِ أَمْنَةٌ مَطْمَئِنَّةٌ ، تَتَمَتَّعُ بِالرَّعَايَةِ وَالْحَرَمَةِ
إِلَى الْيَمَنِ وَإِلَى الْعِرَاقِ وَإِلَى الشَّامِ .

وَقَدْ ذَكَرَ النَّيْسَابُورِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيلَافِ)

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ ٣٨/٩

(٢) ١ : ١ طَبْعُ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ وَانْظُرْ مَرْوَجَ الذَّهَبِ لِلْمَسْعُودِيِّ ١/٣٦٧

(٣) مَرْوَجُ الْمَوَاقِبِ ١ لِلزُّرْقَانِيِّ ١/٩٢

أن أشراف مكة لما كانوا يرتحلون للتجارة في الشتاء والصيف كانوا
« يأتون لأنفسهم ولأهل بلادهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والثياب .
وإن ملوك النواحي كانوا يعظموهم ويقولون : هؤلاء جيران بيت
الله وقطآن حرمه ؛ فلا يجترئ عليهم أحد . » وظاهر أن المقصود
بملوك النواحي أمراء العرب في اليمن والعراق والشام . فإن هؤلاء
هم الذين يعظمون البيت ؛ لا قيصر وكسرى .

هذا مكان قريش من العرب في الأعم الأغلب ، ولا حكم للنادر .
ولو لم يكن ذلك مستتباً لقريش ما كان هناك من معنى لسعي هاشم في
طرق أبواب الأسواق الخارجية يفتحها لقبيله ، بينما تجارته المحلية غير
آمنة . فهو وإخوته ما شرعوا بمفاوضاتهم التجارية مع دول الرومان
والفرس واليمن والحبيشة إلا وقد فرغوا من الاطمئنان إلى الطرق
الموصلة إلى هذه الممالك .

الباب الثاني

أحداث قريش التجارية

- | | |
|----------------|-----------------|
| ج — حرب الفجار | أ — قريش التجار |
| د — حلف الفضول | ب — إيلاف قريش |

١- قريش التجار

- ١ -

في سبب تسمية هذه القبيلة قريشاً أقوال ماثورة في كتب السيرة والأدب تبلغ العشرين عدداً . أما القَرَش في اللغة فهو الجمع وإليك زبدة هذه الأقوال :

١ - سمو قريشاً لتجمعهم إلى الحرم بعسد تفرقهم في البلاد ، وذلك حين غلب على مكة^(١) قصي بن كلاب الذي سمي مجعاً لذلك ، وقال فيه الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

٢ - أو لأنهم كانوا أهل تجارة وتكسب وضرب في البلاد ابتغاء الرزق ، يتقرشون البياعات فيشترونها ولم يكونوا أهل زرع

(١) أكبر محطة تجارية داخل جزيرة العرب قبل الإسلام ، لوقوعها وسط إحدى الطريقين التجاريين الكبيرين للجزيرة كما مر بك أول هذا الكتاب ، ثم لاتصالها بنجد والعراق ثم الفرس بطرق القوافل ، ومبناؤها جدة يصلها بالبحر الأحمر وإن كانت رحلات قريش البحرية هي إلى الحبشة فقط عن طريق اليمن .

وضرع : من قولهم فلان يتقرش المال أي يجمعه .

٣ - أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها : فمن كان محتاجاً أغنوه ومن كان عارياً كسوه ، ومن كان معدماً واسوه ، ومن كان طريداً آووه ، ومن كان خائفاً حموه ، ومن كان ضالاً هدوه الخ ..
٤ - أو لأن أباهم النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرش .

٥ - أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قرش أي شديد .
٦ - أو لأن قصياً كان يقال له القرشي .

٧ - أو سميت القبيلة بمصغر الفرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ^(١) .

٨ - أو سميت بقرش بن يخلد بن غالب بن فهر وكانت

(١) نسبو هذا القول إلى ابن عباس . جاء في خزائن الأدب ١ : ١٨٩ (السلفية) :
(سأل عمرو بن العاص عبد الله بن عباس : بم سميت قرش ؟ قال : « دابة في البحر تسمى قرشاً ، لا تدع دابة إلا أكلتها ، ودواب البحر كلها تخافها . »
قال المشرخ بن عمرو الحميري :

وقرش هي التي تسكن البع - ر بها سميت قرش قرشاً) اهـ
وكان هذا البيت تعريف لغوي منظوم كما تنظم المتن ، وزاد آخرون بعده :
قال المشرخ بن عمرو الحميري :

تأكل الفئ والسبع ولا تسسرك فيه لذي جناحين ربشا
هكذا في البلاد ماث قرش يأكلون البلاد أكلاً كمبشا
انظر حواشي الكشف للزمخشري عند الكلام على سورة «إيلاف قرش»

صاحب غيرهم أو دليلها ، فكانوا يقولون : قدمت غير قریش ،
خرجت غير قریش^(١) .

فهذه ثمانية وجوه في هذا الاسم . وكل وجه منها معه شفيح من
معنى أو مناسبة ، يفتد به إلى القبول .

إلا أن منها جميعاً قولين يظفران على التمهيد ؛ أما الأول فهو
أنه أطلق على النضر بن كندة ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن
لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهناك مذهب آخر له شأنه من حيث
روايته الثقات ، يرمي إلى أن هذا اللقب طاق على حفيدة « فهر بن مالك
ابن النضر » نقله صاحب المصباح عز السبيل و شارح القاموس عز ابن
الكافي وقال : « إنه مرجع في هذا الشأن . » ، وذكر أيضاً في سيرة
ابن هشام . ونحز إذا دققنا في صيغة الرواية عند ابن هشام وصاحب
المصباح وجدنا مبنية بالمجهول : « ويقال . » وبهذا نعلم أن الراويين
ضعفاهما فكفنا بذلك المؤونة^(٢) . قور الشاعر :

(١) انظر مادة قریش في سور راحة تاج لغروس وفي لسان العرب
وخزانة الأدب ١ : ١٨٩ (السليبة) .

(٢) ومع ذلك فقد قال في العقد الفريد (٢ : ٢٠٣) : « إنما جمع تميمي
إلى مكة بني فهر بن مالك ، نجد قریش كلها مبر بن مالك ، مما دونه قریش
وما فوقه عرب . »

وجاء في خزانة الأدب ١ : ١٩٠ : « قال عبد الملك بن مروان : سمعت
أن قصياً كان يقال له القرشي ، لم يسم قرشي قبلاً . »

أبوكم قُصِيَّ كان يدعى مجتمعاً به جمع الله القبائل من فهر^(١)
المتقدم الذكر لا يمنع أن يكون ولد النضر جميعاً من قريش والنص
على فهر لا يخرج إخوته وأولاد عمه من القرشية .

ولا بد من التنبيه هنا على حجة قوية ولعلها قاطعة ، جاءت في
سيرة ابن هشام وهي كفيلة بالفوز بطمانينة الباحث ، فقد ذكر بيتاً
لجrir في مدح هشام بن عبد الملك يعني فيه برة بنت مرّ أخت تميم بن
مر وهي أم النضر هذا ، وذلك قوله :

فما الأم التي ولدت قريشاً بمُقرّة النجار ولا عقيم
وما قرم بأنجب من أيكم وما خال بأكرم من تميم^(٢)
وجرير من تميم .

وأما الثاني ففي بيان السبب في هذه التسمية وأي التفاسير هو الأرجح :
يستبعد الذم أن تكون دابة البحر هي التي أوحى هذا الاسم
ولو روي هذا القول عن ابن عباس : لبعد العرب حول مكة عن
البحر وجهلهم حيوانه . ففي هذا الشرح تكلف ظاهر كالذي في اشتقاقه
من الجمل القرّيش . . الذي لا يجد المرء غيره مذنباً يرتضيه هو أن

(١) البيت لحذاق بن غنم العدوي انظر طبعة لجنة التأليف للنقد الفريد ٣/٣١٢

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٩٠ ، والإقراف : أن تكون الأم عربية
والأب غير عربي ، والقرم : السيد والفعل .

تكون (قريش) من القرش بمعنى الجمع ، لما كانوا يتعاطون من التجارة وجمع^(١) المال إذ كانوا معروفين بذلك عند العرب عامة . ذكر ابن هشام أن القرش : التجارة والاكتساب ، وأن القروش (أيضاً) التجارة والاكتساب وأتى على ذلك بشاهد من كلام العرب . لكن الجاحظ أزال اللبس في ذلك وأحسن الإيضاح حين قال في صدد كلامه عنهم :

« وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : « لله در الديار ، لقريش التجار » وليس فوقهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتيمي لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينسبون إليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقرش .^(٢) »
وقد تقدم الدليل آنفاً على أن النضر هو قريش ولا داعي لتسميته بذلك إلا معنى التجارة والكسب .

وقريش في الأصل طبقتان : قريش البطاح وقريش الظواهر^(٣)

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ١ / ٣٦٩ حيث يقول : « وأخذت قريش الأيلاف من الملوك .. وتقرشت ، والتقرش : الجمع ، ومنه قول ابن حازم البشكري : إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم » .

(٢) رسائل الجاحظ ص ١٥٦

(٣) عدة المسعودي في قريش البطاح : بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني =

أما قريش البطاح فهم الذين نزلوا بطحاء مكة وبطنها وهم سادة القرشيين ، فيهم بنو هاشم وبنو أمية ومنازلهم الشعب بين أخشي مكة^(١) وهم صباة قريش وصميمها وساداتها وأغنياؤها ، اختطوا منازلهم في البطحاء ونزلوها .

وأما قريش الظواهر فهم الذين لم تسعهم الأباطح فنزلوا أعلى مكة خارج الشعب ، فانتشروا حولها في ظواهرها وهم دون أولئك شرفاً وغنى وشأناً . قال في لسان العرب : « وقريش البطاح أكرم وأشرف من قريش الظواهر . » واستشهد لذلك بقول الشاعر^(٢)

فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر
ويقول الفرزدق في مباحاته جريراً :

تنح عن البطحاء إن قديمها لنا ، والجبال الراسيات الفوارع^(٣)

= عبد العزى ، وبني زهرة وبني غزوم وبني تيم بن مرة وبني جمح وبني سهم وبني عدي وبني عتيك بن عامر بن لؤي .

وعد في قريش الظواهر : بني محارب وأخارث بن فهر ، وبني الادرم بن غالب بن فهر وبني هصيص بن عامر بن لؤي ، - الصفحة السابقة ، والعمدة

١٨٤/٢ والمخير ص ١٦٧

(١) أخشبا مكة جبلاها : أبو قيس والذي يقابله

(٢) هو ذكوان مولى عبد الدار يقوله للضحاك بن قيس الفهري . انظر

مروج الذهب للمسعودي ٣٦٩/١

(٣) شرح شواهد المغني ص ٣

وقول الكميث :

فحلتَ معتلج البطا ح وحلٌ غيرك بالظواهر^(١)
وهناك قرشيون استوطنوا الطائف وغيرها حيث اتخذوا
الأموال والمزارع فلم ينسبوا إلى ظواهر ولا إلى بطاح . روى صاحب
تاج العروس أن « في قریش من ليس بأبطحية ولا ظاهرية . »

* * *

أول بانٍ لمجد قریش وموطد لنفوذها هو قصي بن كلاب ، إذ
استنقذ أمر مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب
شديدة وجمع أشتات قومه فأنزلهم حول الحرم وملك أمرهم فكان
أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه . فكانت إليه
الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع

(١) انظر لسان العرب وتاج العروس مادتي : بطح ، ظهر .

والكميث يخاطب هنا هشام بن عبد الملك ، وقبل هذا البيت :

يا بن العقائل للعقا	تل والجحاجة الاخير
إن الخلافة والإلا	ف برعم ذي حسد وواغر
دافا من الشرف التلي	د إليك بالرفد الموافر

فحلت ...

مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها .. فسمته قريش مجمعاً لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره الخ ..^(١)

فأنت ترى أن قصياً مكن دعائم قريش ونظم أمورهم ثم جعل من داره التي اتخذها لنفسه وجعل بابها إلى الكعبة مجلس شورى لقريش ودار حكومة معاً وسماها دار الندوة . وكانت قريش بعده لا تقضي أمراً إلا فيها ، فيها ينظمون غيرهم إلى الشام أو اليمن فلا تخرج غير إلا منها ولا يقدمون إلا نزلوا فيها ، ويتفاوضون في أمر تجارتهم وحربهم وسلمهم . وفيها كان معظم المؤامرات التي اتسمروا بالنبي وأصحابه في بدء الدعوة ، وكانت لهم محكمة يلجأ إليها المتخاصمون ويقضي فيها شيوخهم المقدمون . ولا ريب أن أمور التجارة القرشية بعد الذي صنع قصي لهم اطرء تقدمها وازدهارها فأتسعت ونمت .

وأراد قصي تثبيت هبة قريش في نفوس العرب ففرض عليهم

خرجاً يخرجونه في كل موسم من أموالهم ، فإذا كان الحج قال قصي :
« يا معشر قريش : إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وإن
الحجاج ضيف الله وأهله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة
فاجعلوا لهم طعاماً وشرباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم ، فكانوا
يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً يدفعونه إليه فيصنعه طعاماً
للناس أيام منى فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد^(١) من الحجاج
وأهل مكة . وهذه هي الرفادة .

امتدت أيام قصي حتى كبر فعهد الى ولده عبد الدار باللواء
والسقاية والرفادة ، لأنه لم يشرف في حياته وكان بكره ، فقد بطأ
به عمله عن أن يلحق بأخيه عبد مناف الذي بلغ في الشرف والسيادة
شأواً بعيداً ، فخص قصي عبد الدار بذلك جبراً له حتى يلحق بأخيه .
ثم تنازع على الشرف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف وتحزب لكل
من الفريقين أقوام وأفضى النزاع الى الاستعداد للحرب ، وتعاهد عند
الكعبة بنو عبد الدار وحلفاءهم على النصر فسموا الأحلاف ،
وتعاقد بنو عبد مناف وغمسوا أيديهم في جفنة مملوءة طيباً فسموا
المطيبين ، ثم كان سعى بين الفريقين انفرج عن صلح بينهما على أن

يكون لبني عبد مناف السقاية والرفادة وأن يكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار . فتحاجز الناس على ذلك حتى أتى الاسلام وهم عليه .

ازدهر مجد قريش التجاري وبلغ أوجه في الحقيقة ، بهاشم بن عبد مناف ؛ لأن تجارة قريش قبله لم تكن تعدو مكة ، وإنما كان يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب .^(١) حتى جاء هاشم ففتح في وجوههم ما فتح . كانت لهاشم دون إخوته الرفادة والسقاية فقام بأمرهما إذ كان أخوه عبد شمس رجلاً سفاراً مقللاً ذا عيال . وهاشم موسر طماح بعيد النظر ، وقد ضرب القرشيون على عهده في الأرض ناكثوا الأسفار التجارية . ومن الغريب أن أولاد عبد مناف كلهم حليفو أسفار طوحتهم الغربية فمات كل بناحية : أما هاشم فمات بغزة من أرض الشام فسميت به غزة هاشم ، وأما أخوه المطلب فمات بردمان من أرض اليمن ، وأما أخوه نوفل فمات بسلیمان من أرض العراق ، وعبد شمس مات بمكة .

اضطلع هاشم بأعباء الأمور وأكثر من الأسفار وهو أول من

عقد المعاهدات التجارية لقريش (كما سيأتي قريباً عند الكلام على الإيلاف) فشمّر الأموال وارتفع له ذكر نابه بين قومه واستفاضت له مكارم سار بها الركبان ^(١) قال ابن سعد :

« كان اسم هاشم عمراً فأصابته قريشاً سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له فحملة في الغرائر ^(٢) على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك الإبل ثم أمر الطهاة فطبخوا . ثم كفاً القدور على الجفان فأشبع أهل مكة . فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم فسمي بذلك هاشماً وقال ابن الزبير في ذلك :

عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

وقال وهب بن عبد قصي في ذلك :

تحمل هاشم ما ضاق عنه	وأغيا أن يقوم به ابن يرض
أتاهم بالغرائر متآفات	من أرض الشام بالبر النقيض
فأوسع أهل مكة من هشيم	وشاب الخبز باللحم الغريض
فظل القوم بين مكالات	من الشيزاء حائر هايفيض ^(٣) اهـ

(١) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٤٣ طبعة ليدن

(٢) (٣) الطبقات ١ : ٤٤ ، الغرائر جمع غرارة وهي : الجوارق

(العدل) . متآفات : ممتلئات . الغريض : الطري . والشيزاء ممدود شيزى :

وهو الخشب الاسود يعمل منه القصاع . والحائر : الودك (الدهن) .

والظاهر ان هاشماً لقي مجداً وعزاً ومكاته لم يحظ ببعضها أحد ،
فأثار بذلك حسد الأقران له لما اقطعوا دون بلوغ شأوه وأورثوا
هذا الحسد أبناءهم من بعدهم ، ولم يشفع لهاشم ما قدم لقومه من
خير وما رفع لهم من ذكر وما وطد لهم من تجارات ؛ فإن ابن سبعم
يروى لنا بعد ما تقدم من صنع هاشم ، اول ما زرع الشر بين بني أمية
وبني هاشم قال : « فحسد هاشماً أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه ، فشتم به
ناس من قريش فغضب وقال من هاشم ودعاه الى المنافرة ، فكره
هاشم ذلك لسنة وقدره ، فلم تدعه قريش وأحفظوه . فقال لأمية :
فإني أنا فرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها بطن مكة ، والجلاء
عن مكة عشر سنين ؛ فرضي أمية بذلك وجعلا بينها الكاهن
الجزاعي . فنفر هاشماً عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من
حضره وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه اول
عداوة وقعت بين هاشم وأميه . » ^(١)

جري بنو قصي على سنة أبيهم في إطعام الحاج إلا أن هاشماً

امتاز منهم جميعاً فسار بهذه السنة الى شوط بعيد لم يبلغه احد قبله ولا بعده ، ولا غرو فقد كان من الغنى بالمكان المشهور وأسعفه في التجارة حظ قلما أتبع لغيره . وعلى يده وأيدي إخوته فتحت لقريش أسواق في بلاد الروم وفارس والحبشة ، فصنع للحاج مالم يصنعه أحد . ونحن عارضون لك من ذلك ما وصفه ابن ابي الحديد ومنهوك خاصة على شرف هاشم وكال مروءته في حرصه على ألا يطعم الحاج إلا ما حل كسبه :

كان يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب قريشاً فيقول : يا معشر قريش أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها أنساباً وأقربها أرحاماً ، يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ منكم جارة من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد : فارب هذه البنية ، لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعد ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل . وأسألكم بجرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله

لكرامة زوار بيت الله ومعوتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظمأ ولم يقطع فيه
رحم ولم يغتصب ، فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله
أحوالها وتأتي به إلى هاشم فيضعه في دار الندوة لضياقة الحاج ^(١) . اهـ .
والمرء - وإن حدثته نفسه فيما روى ابن أبي الحديد - موقن أن
هاشماً في الغاية من النبل والشرف وتحري الطيب من المكاسب . كان
إذا جمع الأموال من قريش يأمر بجياض ^(٢) من أدم فتجعل في موضع
زمزم ثم يستقى فيها الماء من آبار مكة فيشر به الحاج وكان يطعمهم
أول ما يطعم ، قبل التروية يوم ، بمكة وبمبنى وجمع ^(٣) وعرفة . وكان
يثردهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويجعل لهم الماء
فيسقون بمبنى - والماء يومئذ قليل - في حياض من الأدم إلى أن يصدروا
من منى فتقطع الضياقة ويتفرق الناس لبلادهم .

لم تكن أمور قريش وخدمة الحجيج لتصرف هاشماً عن تجاراته
وأسفاره بل كان بين هذا وذاك يقود قوافل قريش إلى الشام وقد
تزوج قبيل وفاته في إحدى هذه الرحلات . والفضل لابن سعد في
وقوفنا على بعض تفاصيل للغير التي خرج بها هاشم ، كما له الفضل في

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٤٥٤

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ (٣) المزدلفة

معرفتنا ممارسة المرأة العربية للتجارة ومشاركة الرجال في الجاهلية بالخروج الى الاسواق والاتجار فيها قال :

« خرج هاشم في غير لقريش ، فيها تجارات . وكان طريقهم على المدينة ، فتزلوا بسوق النبط فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها . فباعوا واشتروا ونظروا الى امرأة على موضع مشرف من السوق ، فرأى امرأة تأمر بما يشتري ويبيع لها ، فرأى امرأة حازمة جلدة ، مع جمال . فسأل هاشم عنها : أأيم هي أم ذات زوج ؟ فقيل له : « أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمراً ومعبداً ، ثم فارقها . » وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها يدها ، فإذا كرهت رجلاً فارقته . وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه ، فزوجته نفسها ودخل بها وصنع طعاماً ودعا من هناك من اصحاب العير الذين كانوا معه وكانوا أربعين رجلاً من قريش فيهم رجال من بني عبد مناف ومخزوم وسهم ، ودعا من الخزرج رجالاً وأقام بأصحابه أياماً . وعلقت [منه] سلمى بعبد المطلب فولدته وفي رأسه شيبة فسمي شيبة . وخرج هاشم في أصحابه الى الشام حتى بلغ غزة فاشتكى فأقاموا عليه حتى مات فدفنوه بغزة

ورجعوا بتركته الى ولده .^(١)

ذكر ياقوت أن قبر هاشم بغزة حيث مات ، وأنها لذلك يقال لها
غزة هاشم وروى لمطروود الخزاعي في رثائه :

مات الندى في الشام لما أن ثوى فيه بغزة هاشم لايبعد
قال ياقوت : « مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة
وذلك الثبت وقيل عشرون . » وفي النفس من هذا التقدير شيء لأن
ما حفلت به حياة هاشم وما تم لقومه على يديه يندر أن يكمل لابن
خمس وعشرين .

قام بأمر قريش بعد هاشم أخوه الأصغر المطلب بن عبد مناف
وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش إنما تسميه الفيض
لسماحته^(٢) وفضله وقد ضم إليه ابن أخيه شيبة بن هاشم في أحد
أسفاره فدخل به مكة مردفاً إياه على بعيره فظنت قريش انه غلامه
فقالوا : عبد المطلب ، فقال المطلب : ويحكم إنه شيبة ابن أخي : هاشم ،
قدمت به من المدينة . ولما خرج المطلب في رحلة له الى اليمن مات
بردمان ، وكان آخر من مات من بني عبد مناف : نوفل الذي تقدم
أنه مات بسلهان من أرض العراق ، فذكرهم مطروود بن كعب الخزاعي
في رثائه فقال :

(١) الطبقات : ١ : ٤٥ (٢) ابن هشام : ١ : ١٢٨

أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات
ميت برد مات وميت بسد جان وميت بين غزات^(١) .. الخ
ثم انتهت السقاية والرفادة من بعده إلى عبد المطلب بن هاشم
فأدار أمور قومه وأهم ما صنع لهم حفر بئر زمزم . وقد كان في قريش
ذا هبة ومكانة .

وفي أيامه هددت مكة وتعرضت مكاتها التجارية للهبوط ،
إذ قصدتها أبرهة « يريد بلا شك الاستيلاء على مكة ومفاتيح
تجارتها »^(٢) ، فاعتصمت قريش في شعف الجبال وفي الشعاب تخوفاً من معرة
الجيش وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة مع نفر من قريش يستعدي رب
البيت على الأحباش بما لا غرض لنا بذكره هنا ، إلا أننا لا نرى مندوحة

(١) ومن الغريب الطريف أنه أصاب أولاد العباس بن عبد المطلب
ما أصاب إخوة هاشم هؤلاء حتى قالوا : أبعد قبور إخوة على الأرض قبور
أولاد العباس : فعبد الله بن عباس الجبر دفن في الطائف ، والفضل بن عباس
رديف رسول الله ﷺ مات في طاعون عمواس بالشام أيام عمر ، وعبيد الله بن
عباس الجواد مات بالمدينة ، وقثم بن عباس شبيه النبي ﷺ مات بسمرقند زمن
معاوية ، وعبد الرحمن بن عباس قتل بإفريقية زمن عمر . اهـ ملخصاً عن النوادر
للقالي ص ١٩٧

(٢) تاريخ العرب الأدي للامثاذ رينولد نيكلسون ترجمة محمد حسن

حبشي في الرسالة عدد ١٨٩ : ٦٤

عن التعرض للتقدمة التي قدم بها أنيس (سائس فيل أبرهة) ، عبد
المطلب إلى أبرهة إذ قال له : « أيها الملك ! هذا سيد قريش يسألك
يستأذن عليك وهو صاحب غير مكة ، يطعم الناس بالسهم والوحوش
في رؤوس الجبال . »^(١) ، وكان أبرهة أخذ لعبد المطلب مئتي بعير أصابها
خارج مكة فأتاه يستردها . وإذا كان مئتا بعير مما يملك مثل عبد
المطلب وأضفت إلى ذلك ما يذكر الرواة من أن عبد المطلب أمهر
امراته ، فاطمة بنت عمرو مئة ناقة ومئة رطل من الذهب^(٢) ، وهو لم
يشتهر بكثرة الأسفار كما اشتهر غيره من القرشيين ، أمكنك أن
تتصور الغنى الذي تمتع به هذا البطن من العرب .

وعبد المطلب هذا هو الذي رأس وفد قريش الذي ذهب إلى
سيف بن ذي يزن ليهنئه بالملك وبالظفر . وقد لقي الوفد ورئيسه خاصة
من إجلال الملك وإكرامه ما تجد تفصيله في العقد الفريد (١٧٥ : ١)

(١) المصدر السابق . هذا وقد كان أبرهة بنى بيتاً مقدساً باليمن ليصرف الناس
عن قصد الكعبة والحج إليها ، فلما رأى اليمنيين وسائر العرب لا تنصرف عن الحج إلى مكة
والطواف بكعبتها غاظه ذلك وعزم على هدمها . والحافظ له على ذلك - فيما
أرى - تجاري قبل كل شيء . إذ في إقامة الحج في اليمن ونقل أسواق العرب
الكبرى إليها ما يجلب الحياة والانتعاش والنشاط للحركة الاقتصادية باليمن ،
وذلك بالطبع يستتبع عمرانها وتقدمها وغناها .

(٢) إنسان العيون ٤٨/١

فارجع إليه ثمة ، وكان قيل ذلك قد وفد الى معد يكرب حين ملك
على اليمن^(١) . وينسب إلى عبد المطلب هذه الآيات يذكر فيها حرمة
البيت ويعرض لجيش أبرهة :

نحن آل الله في ذمته لم نزل فيها على عهد قدم
إن لليت لرباً مانعاً من يرد فيه ياثم يُخترم
لم نزل لله فينا حرمة يدفع الله بها عنا النقم^(٢)
ثم أفضى الأمر من بعده إلى أصغر أولاده العباس بن عبد المطلب
ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثماني سنين . وبقي الأمر في يده حتى
جاء الاسلام .

ومن تمام الوصف أن تختصر هنا عن العقد الفريد توزيع
(الوظائف الرسمية) على بطون قريش ، في هذه الجمهورية التجارية في
مكة ، التي شبهها « لامنس » بجمهوريتي البندقية وقرطاجة ، لسيطرة
المالين من أرباب التجارة وأصحاب رؤوس الأموال^(٣) :

(١) مروج الذهب ١٠/٢

(٢) هذا وقد جاء في فهرست ابن النديم ص ٧ « أنه كان في خزانة المأمون
كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم ، فيه ذكر حق عبد المطلب
ابن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وذل ؟ صنعاء ،
عليه ألف درهم كيلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه ؛ شهد الله والمملكان . »

(٣) مجلة المشرق سنة ١٩٢٦ ص ٥٢٩

قال ابن عبد ربه ^(١)

« من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وأسد وتميم ومخزوم وعدي وجمع وسهم :

١ - فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب : يسقي الحبيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام .

٢ - ومن بني أمية : أبو سفيان بن حرب : كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حيت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه .

٣ - ومن بني نوفل : الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة .

٤ - ومن بني عبد الدار : عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسداة مع الحجابة والندوة .

٥ - ومن بني أسد : يزيد بن زمعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة . وذلك أن قريشاً لا تجتمع على أمر حتى يعرضوه عليه فإن وافقه والاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً .

(١) العقد الفريد ٣/٣١٣ فما بعد (مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ)

٦ - ومن بني نيم : أبو بكر الصديق . وكانت إليه في الجاهلية الأَشْناق وهي الديات والمغرم . فكان اذا احتمل شيئاً من الدماء فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه .

٧ - ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة ، فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .

٨ - ومن بني عدي : عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية . وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به .

٩ - ومن بني جُمح : صفوان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأُزلام يستقسم لهم بها إذا أرادوا أمراً من أمورهم العامة .

١٠ - ومن بني سهم : الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية وهي السقاية والعمارة^(١) والعقاب والرفادة والسدانة والحجابة والندوة واللواء والمشورة

(١) سيشرحها ابن عبد ربه بعد أسطر .

والأشناق والقبه والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والأموال
المحجرة ، الى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت
في أوليتهم ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر .

وجاء الاسلام فوصل لهم ذلك . فكانت سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام وحلوان النفر في بني هاشم . والعبارة هي ألا يتكلم
أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع صوته ، فكانت
العباس ينههم عن ذلك . وأما حلوان النفر : فإن العرب لم تكن تملك
عليها في الجاهلية أحداً فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة فمن
خرجت عليه القرعة أحضروه صغيراً كان أو كبيراً ؛ فلما كان
يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير
فأجلسوه على المنجى .

* * *

- ٢ -

هذا أمر سراة قريش ورؤسائهم فأما عامتهم فقد أخذوا
يشغلون مركزاً ممتازاً بين قبائل العرب ساعدهم على بلوغه مقامهم في
مكة حيث البيت والحرم ، إذ كانوا يقومون بسدانه البيت وما يحتاج
إليه من خدمة وعناية . فكانت العرب تعرف لقريش شرفها ومكاتها
وغناها كما تعرف لها زعامتها الدينية وسيطرتها على مكة وإدارتها ،

« ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها : أهل الله ^(١) . » ،
وأبلغ تعبير عما بلغت قريش في نفوس العرب من منزلة في الجملة قول
رسول الله ﷺ فيما بعد : « الناس تبع لقريش في الخير والشر » ^(٢) ،
والقرشيون من بين عامة سكان الحجاز أغنياء مهرة في أمور
التجارة لا يكاد يعرف لكثير منهم عمل غير الاتجار « ومن لم يكن
من قريش تاجراً فليس بشيء » ، فكانوا ينظمون عيرهم في الشتاء الى
اليمن حيث يتبايعون سلع الهند والحبشة المستفيضة هناك فيحملونها إلى
الحجاز ، وعيراً في الصيف إذ يرحلون بما حملوا من الحبشة والهند وما
عندهم ايضاً من محصول بلادهم كالتمر والأدم ، إلى الشام فيفرغون
في أسواقها : غزة وبصرى وغيرهما ، ما في أحمالهم ويأخذون بدلاً
منها ما في الشام مما لا يكون بالهند ولا بالحبشة .

وكانوا يسيرون قوافل عظيمة معها حامياتها وأدواتها ومعهم
الأدلاء يسيرون بين أيديهم . أما الحاميات فأكثر ما تكون من بني
غفار ومن إليهم ، ممن يتقاضون على مرافقة العير وحمايتها جُعلاً من
قريش ، هذا عدا عن عبدان قريش ومواليها وأحلافها .

اختلاط القرشين بالروم والفرس والحبشان بسبب التجارة

(١) الصاحبى ص ٢٣ (٢) تيسير الوصول ٣٠٤/٣

جعلهم يتميزون من سائر العرب بميزات أفادوها من هذا الاختلاط ،
فتعلم فريق منهم الكتابة من الحيرة ونشروها لما رجعوا إلى بلادهم
فكان في مكة والطائف عدد يسير يحسنون الكتابة ^(١) ويذكرون
أنه كان لبشر أخى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل صحة
بحرب بن أمية التاجر القرشي الكبير ، لتجارته عندهم في بلاد العراق
فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصبياء بنت
حرب ، فتعلم منه جماعة من أهل مكة فهذا كثر من يكتب بمكة من
قريش قبل الاسلام . ولذلك قال رجل كندي من أهل دومة الجندل
بين علي قريش بذلك :

لا تتجحدوا نعاء (بشر) عليكم	فقد كان ميمون النقيبة أزهر
أناكم بخط الجزم حتى حفظتم	من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وأتقنتم ما كان بالمال مهمل	وطا منتم ما كان منه منفرا
فأجريت الاقلام عوداً وبدأة	وضاهيت كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحلي حمير	وما زبرت في الصحف أقيال حميرا ^(٢)

(١) انظر بلوغ الأرب ٣ : ٣٦٨ وما بعدها . ولما دوتن عمر الديوان أمر
عقيل بن أبي طالب وعخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش
فكتبوا ديوان الجند ، فلولا التجارة ما كان لقريش هؤلاء الكتاب المخضرمون .
(٢) انظر المزهري للسيوطي (النوع الثاني والاربعون ٣٤٦/٢ طبعة
عيسى الحلبي) الأولى

ومما يكن قد كان أكثر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ منهم
ومن هنا كان القرشيون أقرب العرب من علم وثقافة وتهذيب ،
لخالطتهم هؤلاء الأجانب المتحضرين وقبسم شيئاً من تعاملهم في يوسعهم
وأنظمتهم في تجارتهم حسباً كانوا يرون في الاسواق التي كانوا يحطون
رحالهم فيها . وهذه الاسواق وإن لم تكن في الدرجة الاولى
بين أسواق الرومان ، ولا كان أهلها سابقين في مضمار الحضارة كثيراً ،
لم تخل من آثار بعيدة في التحضر استفاد منها تجار مكة شيئاً يعتد به
في السياسة والاقتصاد .

بل لقد تأثروا برحلاتهم هذه ببعض المعتقدات أيضاً فقد ذكروا
أن عبادة الاصنام طارئة على أهل مكة من الشام ، وإن عمرو بن لحي
- فيما زعموا - اول من نشر عبادة الاصنام حول الكعبة حين حمل
معه صنماً من اصنام وجدها في جنوب الشام فنصبه في الكعبة ^(١) .

وفشت في جماعة من قريش زندقة حتى قال صاعد : « كانت الزندقة
في قريش أخذوها عن أهل الحيرة » ^(٢)

فأنت ترى أن هذه الرحلات أثرت حتى في معتقدات العرب

(١) انظر مثلاً : مروج الذهب للمسعودي ٣٦٧/١

(٢) طبقات الامم لصاعد ص ٦٧

ومن القريب المألوف أن يحمل الرحالون من البلاد التي ينزلونها شيئاً من طرائقها في العسادات والدين والأخلاق والعروض والأزياء يتحدثون عنه إذا ردتهم أسفارهم إلى بلادهم ، فيعجبون منه ذويهم وجيرتهم ممن لم يكن له بتلك البلاد عهد ، وما أكثر ما يحاول الانسان تقليد من يملأ عينه .

أفادت قريش من هذه الرحلات وهذا الاختلاط بالامم التي سبقتهم ، كثيراً من اللبابة والكياسة إلى ما عرفت به من الفصاحة المشهود لهم بها ، حتى إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش . وعرض علقمة الفحل عليهم شعره فوصفوه بِسِمَطِ الدهر^(١) ، وثقفت ألواناً من الدهاء والاحتيال ، لا يحسنها إلا من رسخت قدمه في التجارة وأسبابها وضروب تعاطيها ، حتى إذا دار الزمان وقضي للعرب أن تكون لهم دولة ذات سياسة داخلية وخارجية ، كان أقطاب هذه الدولة وأركانها أولئك التجار الذين يعرفون كيف يتأثرون للأمر ويتلطفون لمواجهة الصعاب وتذليل العقبات وحل المشكلات من أمثال : أبي بكر وعمر وعثمان وأبي سفيان ومعاوية وعمر بن العاص وزيد والمغيرة ، وتلك الطبقة الممتازة من أكابر التجار^(٢) في الجاهلية

(١) الاغاني ١١٢/٢١

(٢) من المهم أن نلاحظ هنا أن أكثر تجار قريش أمويون ، وقد طال -

وكبار أهل الحل والعقد في الإسلام .

ومتى رميت برجل ذي ذكاء ومواهب ، في قطر تجاري كالشام أو العراق (قبل الإسلام) فاختلط بالتجار ، وقاسى محيطاً غير محيطه ، تفتحت تلك المواهب ، وانجلت عن نبوغ كبير ما كان لينكشف لو جمد صاحبه في محيطه الضيق ، بين شعاف مكة وبطاحها . إن شئت فانظر إلى هذا الاحتيال المضاعف الذي أتاه المغيرة بن شعبة وضحك به على كل خمار في الحيرة (إن كان ليعجز عن أقل منه أقطاب فضائح « ستافسكي » رغم ما يجهزهم به العصر العشرون من وسائل وعدد .) ولعل في هذه القضية التي سأوردها لك بياناً شافياً لهذا الدهاء التجاري الذي تمرست به قريش وامتازت به من العرب قاطبة :

قال المغيرة بن شعبة :

« أول ما عرفني به العرب من الدهاء والحزم ، أني كنت في ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحيرة فقالوا لي : « قد اشتيننا الشراب وما معنا إلا درهم زائف . » فقلت : « هاتوه وهلموا زقين . » فقالوا : « وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد ! » قلت : « أعطوني ما طلبت وخلاكم دم . » ففعلوا وهم يهزؤون من قولي .

= ترددهم ولبثهم في الشام ، فاطلعوا على أصول السياسة والحكم ، وكان نجاحهم فيما بعد من ثمة .

فصبت في أحد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت إلى خمار فقلت له :
« كل لي ملء هذا الزق . » ففلا . فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته
إياه . فقال : « إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم
زائف ! » فقلت : « أنا رجل بدوي وظننت أن هذا يصلح كما ترى ،
فإن صلح وإلا فخذ شرابك . » فاكتمال مني ما كاله وبقي في زقي من
الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزق الآخر وحملتها
على ظهري وخرجت ، فصبت في الزق الأول ماء ودخلت إلى خمار
آخر فقلت : « إني أريد ملء هذا الزق خمرأ فانظر إلى ما معي منه ،
فإن كان عندك مثله فأعطني . » فنظر إليه (وإنما أردت ألا يستريب بي
إذا رددت الخمر عليه) فلما رآه قال : « عندي أجود منه . » قلت :
« هات » فأخرج إليّ شراباً فاكتملته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت
إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه فقلت : « خذ خمرك »
فأخذ ما كالي وهو يرى أنني خلطته بالشراب الذي أريته إياه . وخرجت
فجعلته مع الخمر الأول .

ثم لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الأول
وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي فوضعت الزقين بين أيديهم
ورددت درهمهم .

فقالوا : « ويحك ! أي شيء صنعت ؟ » فحدثهم فجعوا ويعجبون
وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم^(١) .

هذا احتيال لا يخترعه إلا عقل تاجر ماهر ، لم بحرفته وأسرارها
وبالعش وضروبه ، أحسنه قريش وشركاؤها كما أحسنت ضرباً آخر
من اللباقة وحسن التأني مع الدول المجاورة التي تاجروا في بلادها ،
فكانوا بهذه الكياسة . ينجون من عقاب المخالفات التي يرتكبونها
وعواقب المغامرات التي يقتحمونها . ولما أرادت قريش أن تفتح لها
أسواق فارس ولم تكن ترتادها كما ترتاد أسواق الشام ، كان لا بد في
سبيل الوصول إلى ذلك من مغامرات ومخاطرة وتعرض للأذى وكانت
الحاجة تخلق لها مغامرين أذكاء منها أو من شركائها يصلون برقمهم
ودهائهم إلى ما يريدون مع السلامة والغنيمة . ونحن ذاكرون لك هنا
شاهداً ، مهما يكن حظ التزيد فيه فإن ما يخلص منه بعد الامتحان
صالح لأن يعطيك صورة صحيحة عن فطنة القوم في أمور التجارة
والاحتيال لها والجرأة فيها :

ذكر الرواة أن أبا سفيان خرج في جماعة من قريش يريدون
العراق بتجارة ، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال لهم : « إنامن

مسيرتنا هذا لعل خطر ، ما قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمتجر ؟ ولكن أيكم يذهب بالعر فإن أصيب فنحن براء من دمه وإن غنم فله نصف الربح ؟ ،

فقال غيلان بن سلمة : « دعوني إذا فأنا لها . » فدخل الوادي

فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رأي أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور إلى أمر له طبق

لقال رغب ورهب يجمعان معاً حب الحياة وهول النفس والشفق

إما بقيت على مجد ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جداً ضخمافلما قدم بلاد

كسرى تخلّق وابس ثوبين أصفرين وشهر أمره وجلس بياب كسرى

حتى أذن له ، فدخل عليه فخرج إليه الترجمان وقال له : : « يقول لك

الملك : ما أدخلك بلادي بغير إذني ؟ » فقال . « قل له : لست من أهل

عداوة لك ، ولا أتيتك جاسوماً لضد من أضدادك ، إنما جئت بتجارة

تستمتع بها ، فإن أردتها فهي لك وإن لم تردها وأذنت لي بذلك رددتها . »

فتكلم كسرى فلما سمع صوته غيلان سجد ، فقال الترجمان : « يقول

لك الملك لم سجدت ؟ » فقال : « سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي

لأحد أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يقدم على رفع

الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له . « فاستحسن كسرى ما فعل وأمر له بمرقعة توضع تحته ، فلما أتى بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه ، فاستجبه كسرى واستحمقه وقال للترجمان : « قل له إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . » قال : « قد علمت ، ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك ، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقها التعظيم ، فوضعتها على رأسي لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ . » فاستحسن فعله جداً ثم قال له : « ألك ولد ؟ » قال : « نعم ، قال : « فأيهم أحب إليك ؟ » قال : « الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يثوب ، فقال كسرى : « زه ، ما أدخلك عليّ وذلك على هذا القول والفعل إلا حظك ، فهذا فعل الحكماء وكلامهم ، وأنت من قوم جفأة لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ » قال : « خبز البر ، قال : « هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر . » ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه [وبعث معه من الفرس من بني له أطماً بالطائف فكان أول أطم بني بها ^(١)] . فهذا نمط مما بلغ إليه القوم .

(١) انظر الاغاني ١٢ : ٤٦ واغيلان هذا شأن في العرب ، فمحمد بن حبيب في (المحبر ص ١٣٥) ونبغه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة [٢ : ٢٧٤]
عده من حكام قيس وذكر أن له ثلاثة أيام : يوم ينشد للناس بشعره ويوم -

حتى الأجيال التي اقطعت عن التجارة من القرشيين كانت
ألفاظ التجارة وحساباتها أسرع إلى أفكارهم وعلى ألسنتهم حين التعبير،
فهذا إسماعيل بن علي بن العباس يقول لطلحة بن عمر بن عبد الله :
« أنت أتعجز الناس ! » فيقول طلحة : « والله ما عالجت تجارة قط ! »
فيجيبه « بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك
إبراهيم ورملة ، فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفاً
وإبراهيم » في خبر طريف^(٢)

* * *

مكانة قريش من العرب وقيامها على الدين كلفاها مغارم كانت
تؤديها عن طيب نفس ، ويتعاون أفراد هذا الحي على الاتفاق في كل
ما يعود على مكة والبيت وأهله بالفخر والتكرمة . ولنا على ذلك
دليلان مشهوران هما خير ما يمثل لنا تضامن هذا الحي في المكارم ،
وما يتكلف من بذل وخدمة في سبيل تقوية منزلته من نفوس العرب
وفي سبيل تعظيم حرمة البيت وأهله وحفظ قدسيته في قلوب القبائل كافة :

= يحكم بين الناس ويوم يقعد للناس فيه فيزار وينظر إلى سروره وجماله . فلا تعجب
بعد هذا إن حدثتك نفسك بتزيد أضيف إلى أخباره .

(٢) انظره في كتاب (أخبار النساء) لابن قيم الجوزية ص ٧٣ [مطبعة التقديم

العلمية بمصر سنة ١٣١٩ هـ]

أما الأول فالرفادة التي كانت من مناقب قريش خاصة ، مما تفاخر به أحياء العرب قاطبة وهي - كما ذكرنا في موضع آخر - شيء تترافد به قريش في الجاهلية تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحاج طعاماً وزيباً ، ولعل في هذا الأمر شيئاً وراء إكرام حجاج البيت الحرام ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بشعائر وعقائد تمت إلى الدين ، وهذا الشيء هو إغراء العرب بمحج تلك الأسواق التجارية والاقبال عليها حتى تنص البائعين والشارين ، فتأمن قريش على أرباحها وتكفل من ذلك رواج تجارتها التي هي قوام أمورها في الحياة . فالغرض الحقيقي - فيما يبدو لي - تجاري أكثر منه دينياً . ولا يفسر ذلك أحسن تفسير إلا الحوادث التي رافقت البعثة ، وما لاقى رسول الله ﷺ أول أمره من الألاقي والأذى . وما كانت قريش - وهي ماهي حصافة عقول - لتعمى عن نور الإسلام لولا أنها خافت على زعامتها التجارية والدينية أن يدكها الإسلام ويذهب ريحها ، وإنما نسلطت قريش على نفوس العرب السذج بتلك الخرافات التي جعلت من أصنام الكعبة آلهة مقدسة لفُتق حولها أباطيل وقصص اتخذت مع الزمن شكل العقائد ، وجعلت من قريش قوَّماً على هذا الدين الذي دأته العرب في الجاهلية .

وأما الأمر الثاني فما كانت تتشارك فيه من كسوة الكعبة جاء في (أخبار مكة للأزرقي ص ١٧٤) :

« إن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى ، كانت البدة تجلّل الحبرة والبرود والأكسية ، وغير ذلك من عصب اليمن ، وكان هذا يهدي للكعبة سوى جلال البدن ، هدايا من كسى شتى خزّ وحبرة وأنماط تعلق فتكسى فيه الكعبة ويجعل ما بقي في خزّاة الكعبة . فاذا بلي منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك ، وكان يهدي إليها خلوق ومجمر ، وكانت تطيب بذلك في بطنها ومن خارجها . »

ويظهر أن الحرص على شرف هذه الكسوة كان بالغاً ، وكان مما تباهي به قريش سائر العرب حتى كان في الأفراد من اشرب لأستشار بهذه المكرمة وحده بلا شريك ، ففي ص ١٧٥ من الكتاب المذكور : كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة ابن المغيرة بن عمرو بن عبد الله بن مخزوم ، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها ، فأثرى في المال فقال لقريش :

« أنا أكسو وحدي الكعبة سنة ، وجميع قريش سنة . » فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحبرة الجيدة من الجند (أحدى قرى

اليمن ومن أسواق العرب) فيكسوها الكعبة فسمته قريش (العدل)
لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها ، فسموه الى اليوم العدل ويقال لولده
بنو العدل .

والحق أن الامر لم يقتصر على هذه (المكارم الرسمية) من
الرفادة وكسوة الكعبة وما إليها ، بل كان ذلك من أخلاق قريش
الملازمة لهم في حلهم وترحالهم فلم يكن أحد يتزود مع قريش في
سفر ، وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ، وعرف ثلاثة نفر منهم لمبالغتهم
في هذه الخصلة بـ (أزواد الركب) وهم مسافر بن أبي عمرو بن أمية
وزمعة بن الاسود ، وأبو أمية بن المغيرة .^(١)

لم تنج قريش من ألسنة العرب ، ولم تخل ممن نفس عليها مكانها
أو حقد عليها استئثارها بالغنى من أفناء العرب الذين يقدمون مكة
فيعانون من تجارتها عتياً وإرهاقاً ، عدا ما يسامون من الهزء أحياناً
ومن أداء الربا المضاعف لهؤلاء . وكان اشتغال التجار بتجارتهم
وانكبابهم على شؤونها قد صرفهم بعض الصرف عن معالجة شؤون
الحرب كما يعالجها أمثالهم من غير التجار . ولاحظ ابن سلام أن الذي

(١) الاغانى ٩/٩٤ (طبعة دار الكتب) ، وانظر في هذه الصفحة
الحاشية المنقولة عن كتاب (ما يمول عليه في المضاف إليه) .

قل شعر قريش عدم اشتغالها بالحروب « فلم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قل شعر عُمان وأهل الطائف »^(١) وعُمان والطائف أيضاً بلدان تجاريان . ولما أرادت أن تباهي الانصار ولم يكن لها أيام ولا أشعار جعلت « تزيد في أشعارها »^(٢) . عرف بعض العرب ذلك من أمرها والبدو يحقرون التجارة بطبعهم ككل الأمم التي تعيش من الغزو والسلب ، فصاروا يعيرونها ، وطارَتْ لهم أشعار في ذلك ، منها ما يحقر التجارة نفسها ، ومنها ما يقصد الى قريش مباشرة ، وانظر إن شئت قول القائل يريد مكة :

ولا مرتع للعين أو متقنص ولكن تجراً والتجارة تحقر

وقول ابن الزبيري :

ألهى قصياً عن المجد الاساطير

وقولها : رحلت عيرأت عير

ومن هنا كانت استهانة بعض العرب بقريش وعدم الهيبة منها لانكبابها على التجارة وشغلها عن الحروب من دون سائر العرب ، عرف ذلك من امرهم القاصي والداني ، جاء في تاريخ الطبري عند كلامه على فتوح سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الاسلامية في العراق ما يأتي :

(١) طبقات الشعراء ص ١٠٢ . (٢) ص ٩٨ المصدر نفسه .

« سأل النعمان بن قبيصة الطائي ، وكان على مرابطة كسرى عن سعد بن أبي وقاص قвил له : « رجل من قريش ، فقال : « أما إذا كان قرشياً فليس بشيء » ، والله لأجاهدنه القتال ، إنما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمنعون خفيراً ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير^(١) ، إلا أنه لما عانى من شدة بأسهم ما عاناه علم أن في جلود أولئك التجار مغاوير حرب ومذاوید حق^(٢) .

كان لهؤلاء القرشيين معارف في بلدان الشام واليمن وفارس وكانت قريش تنظم وفوداً تفد على ملوك النواحي ، ونحن نعلم أن عمرو بن العاص كان يعرف مصر وغزة والشام تمام المعرفة ويعزى نجاحه في فتح مصر إلى عوامل منها إجادة معرفته بها . ولما كان أمام غزة دخل على حاكمها بصفة موفد وعرفه الحاكم وأمر حاجبه سرّاً بقتله لولا أن نبهه عربي نصراني كان يعرف عمرأ في الجاهلية حين كان يتاجر والقصة مشهورة . وعرف من القرشيين تجار كبار ذوو أسفار بعيدة

(١) تاريخ الطبري ١ : ٢٣٥٠ (طبع ليدن) .

(٢) ليس غريباً أن يحقر بعض العرب حينذاك التجارة ، ولما القريب أن تستمر هذه النغمة في النفوس حتى القرن الرابع الهجري وقد تبدلت الأرض غير الأرض فيقول شاعر مثل المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة .

ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نقض النعال

كثيرة ، فأبو سفيان كان « تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم^(١) » ، ولعل أول غير طرقت بلاد فارس العير التي كان هو صاحبها ، والتي دخل بها غيلان مخاطراً كما تقدم . ثم كانت له عودات إلى فارس ، ودخل وافداً مرة على كسرى وأهدى إليه « خيلاً وأدماً قبل الخيل ورد الأدم » ، قال أبو سفيان : « أدخلت على كسرى فكانت وجهه وجهان من عظمه . فألقى إليّ نخدة كانت عنده فقلت : واجوعاه ! هذه حظي من كسرى بن هرمز ؟ » فخرجت من عنده فما أمر على أحد من حشمه إلا أعظمها حتى دفعتها إلى خازن له فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فضة وذهب^(٢) .

وكان يخرج إلى اليمن أيضاً ويتصل بطبقات أهلها وأخبار يهودها كما يتصل غيره فيعلمون من الأخبار والسياسة ما لا يعلمه غيرهم ، وأقرأ في الأغاني كيف يشرح لك الحرب بين هرقل وفارس وكيف انتصر هرقل ، وكيف خرج من حمص ليصلي بيت المقدس شكراً لله . وهو حديث طويل مستوفى في كتب السيرة هو والحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان في شأن بعثة النبي ﷺ ، ولا بأس في أن نقل هنا أول هذا الحديث لعلاقته بموضوعنا قال أبو سفيان :

« كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا . فلما كانت الهدنة [هدنة الحديبية]

(١) الأغاني ٦ : ٣٤٣ دار الكتب . (٢) العقد الفريد ١ / ١٧٤ .

بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجت في نفر من قريش إلى الشام ،
وكان وجه متجرتا منه غزة ؛ فقد منها حين ظهر هرقل على من كان
بأرضه من الفرس .. الخ^(١) ،

واقراً أيضاً ما كان بينه وبين العباس وحبر من أحبار اليهود في
متجرهم باليمن (الأغاني ٦ : ٣٤٩) فستعرف من كل ذلك أن هؤلاء
التجار كانوا على اتصال بما كان يجري في زمنهم من أحداث سياسية ،
شديدو الاهتمام بذلك لما يعود على علاقتهم بالبلدان وعلى تجارتهم .
وكانوا ينقلون إلى بلادهم بعض ما يجدون في متاجرهم الخارجية من
طرف وغرائب ، ولعلمهم استفادوا من بعض الأنظمة
الاجتماعية التي وجدوا عليها الروم أو فارس . بل ما يدرينا أن دار
الندوة نفسها اقتباس مغير مصغر ، عن مجامع الروم الدينية والمدنية
فقد كان مجلساً منظماً « لتشاور قريش وعقد الألوية في حروبهم .
ولا ينكح رجل من قريش إلا فيها ولا يعقد لواء الحرب لهم ولا
لغيرهم إلا فيها ، ولا يعذر غلام إلا فيها^(٢) ولا تدرع جارية من

(١) الأغاني ٦ : ٣٤٥ [دار الكتب]

(٢) مدنية العرب في الجاهلية والاسلام - محمد رشدي : ص ٥٨ ويعذر

قريش إلا فيها يشق عليها درعها ثم تدرع وينطلق بها إلى أهلها ولا تخرج غير من قريش إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها. وهذا عبد الله ابن جدعان أتى العرب بطعام لا عهد لهم به : وفد على كسرى فأطعمه فقالو ذج فسأل عن صنعه وحمل معه غلاماً يحسن له عمله ، فصار يطعم أهل مكة منه . وهو من سراة مكة وأجوادهم وأحد أغنيائهم الكبار . و « وضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالوذج فليحضر ، فحضر الناس »^(١) ، وقال فيه أمية بن أبي الصلت يصف طعامه هذا :

له داع بمكة مشعلٌ وآخر فوق دارته ينادي
إلى رُدُحٍ من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد^(٢)

(١) ، (٢) الاغاني ٨ : ٣٣٠ اشمعل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا ، ورُدُح جمع رَداح وهي الجنة العظيمة . والشيزى . خشب أسود تتخذ منه القصاع .

جاء في الأمازي ٣ : ٣٨ : قال أمية بن أبي الصلت : أتيت نجران فدخلت على عبد المدان بن الديان ، فاذا به على سريره ، وكان وجهه قمر ، وبنوه حوله كأنهم الكواكب ، فدعا بالطعام فأتي بالفالوذج فأكلت طعاماً عجيباً ثم انصرفت وأنا أقول :

ولقد رأيت القائلين وفعلهم
ورأيت من عبد المدان خلائقاً
فرأيت أكرمهم بني الديان
فضل الأنام بين عبد مدان
لا ما يعلننا بنو جدعان
البر يلبك بالشهاد طعامه

ومن كان يواصل أسفاره في التجارة أبو طالب والعباس عما
النبي ﷺ وقد أخرج أبو طالب ابن أخيه محمداً مرتين إلى الشام في
تجارة : مرة وهو فتى لا تتجاوز سنه الخامسة عشرة ومرة وهو شاب
في سن الخامسة والعشرين .

وقد تاجر أبو بكر إلى الشام وتجر عمر إلى غزة وفيها استغنى في
الجاهلية على ما قال ابن حوقل^(١) ، واستمر عمر مشغلاً بالتجارة في
الإسلام وأسف على اشتغاله هذا إذ حرم من علم كثير ، وجعل في
خلافته مسألة في الاستئذان فلما رويت له عبر عن أسفه بقوله : « أخني
عليّ [هذا] من أمر رسول الله ﷺ ألهاني الصفق بالأسواق ، يعني
الخروج إلى التجارة^(٢) » .

وقلّ أن تجد قرشياً ذا شأن في الجاهلية والإسلام إلا كان

= فبلغ ذلك عبد الله بن جدعان ، فوجه إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالودج
بالعسل ، فكان أول من أدخله مكة ففي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت :
« له داع ... البيتين »

ولعل الفالودج الذي كان صنعه الغلام الفارسي بمكة لعبد الله بن جدعان لم
يكن لذيذاً في فم الشاعر أمية كما كان فالودج نجران .

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ١١٣ طبع ليدن .

(٢) الأدب المفرد للبخاري ، الباب ٤٩٢ ص ٢٧٤ [المطبعة السلفية

سنة ١٣٧٥ هـ]

تاجراً^(١) واستفاض لهم غنى عريض وثروة واسعة حتى كثر منهم الأجواد وغزرت عطاياهم وقصدهم العفاة وأصحاب الحاجات وكان من ذلك ما قرؤه من أخبار جودهم الكثيرة في العقد الفريد والأغاني وغيرها من الأمهات .

ولم تكن النساء القرشيات لتقصر عن الرجال في هذا المدى بل كان منهن من اتسعت ثروتها من التجارة حتى فاقت كثيراً من الرجال . ولعل السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين خير مثال تقدمه على ذلك ؛ فقد كانت من أكبر تجار قريش وأكثرهم مالاً وأوفرهم غنى ، وكانت في حسب ومقام رفيع في قومها ، مع مزايا في أخلاقها طيبة . كانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم . ترسل بأموالها إلى الشام وإلى عكاظ وحباشة وغيرها من أسواق العرب . وكثيراً ما كانت ترجع هذه الأموال بربح وافر . وذكروا أن غير

(١) وفي كتب الأدب تقع على مكاسب كثير منهم ، وفيهم من صاروا أعلام الإسلام فيما بعد ، فابن قتيبة في كتابه المعارف يذكر أن أبا سفيان كان يبيع الزيت والأدم ، وأمّية بن خلف يبيع البرم ، وعقبة بن أبي معيط كان خماراً ، وأبو طالب كان يبيع العطر وربما باع البز ، وأبو بكر وعثمان بن عفان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف كانوا يبيعون البز .. المعارف ص ٢٤٧ (المطبعة الرحمانية ١٩٣٥)

خديجة كعامة غير قریش^(١) . ولما بلغها عن محمد بن عبد الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أماته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج إلى الشام ، ولعل الحقيقة ما ذكره الزرقاني شارح المواهب من أن الرسول نفسه استشرف للسفر بمال خديجة فقد ذكر :

[أنت أبا طالب قال له : « يا بن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ؛ وخديجة تبعث رجالاتنا من قومك يتجرون في مالها ويصيرون منافع ، فلو جئتها لفضلتناك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك . » فقال محمد : « لعلها ترسل إلي في ذلك . » فقال أبو طالب : « إني أخاف أن تولي غيرك . »]

وبلغ خديجة ما كان من محاورتها فقالت لمن بلغها : « ما عمت أنه يريد هذا . » ثم أرسلت إليه وقالت له : « دعاني إلى البعثة إليك ما يبلغني من صدق حديثك وعظم أماتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك . » فذكر ذلك لعمه فقال : « إن هذا لوزق ساقه الله إليك ، وكان عمره صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة خمساً وعشرين سنة . » وخرج رسول الله إلى سوق بصرى فباع سلعته

(١) شرح المواهب ١ : ١٩٨ وابن سعد ٨/٩

التي أخرج واشترى غيرها وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تربح...^(١)
كانت قريش تنظم كل سنة عيراً بتجارة إلى الشام ، وكانت هذه
القوافل تزيد شأنها عاماً فعاماً .

ولما بلغ أذى قريش من المسلمين ما بلغ ، حتى اضطر هؤلاء إلى
الهجرة إلى الحبشة^(٢) ، ثم الهجرة الكبرى إلى المدينة^(٣) ، واعتز المسلمون
وقووا ... كان أول أمر ينتصفون به لأنفسهم ، ويحملون أعداءهم
من قريش بسببه على الكف من كيدهم وأذاهم لمن في بلدهم من
ضعفة المسلمين ، هو التعرض لتجاريتهم وإثـ جارينا مصطلح عصرنا
قلنا : أن يضربوا على قريش حصاراً اقتصادياً ، لعلمهم أن ذلك أبعث
على الرعب وأبلغ في النكاية بهم وأفتك ما تكون الحرب في العدو

(١) طبقات ابن سعد ٩/٨

(٢) ولما خصوا الحبشة بالهجرة لكثرة ترددهم عليها في الجاهلية للتجارة ،
وإيئاسهم من ملكها عدلاً ورعاية ، والأصفهاني يذكر لنا في صدد كلامه على
خروج عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص - وكانا تاجرين - إلى أرض الحبشة
قوله : « وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً » - الاغانى ٥٦/٩ (طبعة
دار الكتب) .

(٣) خافت قريش على مكانتها وتجاريتها فوضعت جائزة كبيرة لمن يأتيها
بالنبي ، حتى اضطر النبي وصاحبه إلى الاختفاء في الغار .. وهذا من أمهاتهم
(الدولية) التي أفادوها من مخالطتهم شعوباً خاضعة لحكومات مختلفة .

حين توهى (اقتصادياته) ، فأرسل الرسول ﷺ سرية عليها عبد الله بن جحش أمير ، لتعرض لغير قريش ، وكانت راجعة من الشام فترصدوها بموضع بين مكة والطائف يعرف بنخلة ، وكان في العير العلاء بن الحضرمي ، فلما مرت بهم حملوا على من فيها واحتجزوا الأموال وكانت زيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش . فقتل من حامية القافلة من قتل ، وأسر من أسر وقوى الله المسلمين بما غنموا من عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم وأبنائهم ، وبلغ الخبر قريشاً فكانت الأذى منهم بالغة .

وكان السبب في استدراج المسلمين قريشاً إلى المعركة الحاسمة بين الإسلام والشرك في بدر الكبرى تجارياً أيضاً : فإن قريشاً أقبلت لها عير من الشام عليها أبو سفيان في ثلاثين راكباً ، وكان فيها معظم أموالهم ، قدرها المؤرخون بخمسين ألف دينار ، وقالوا : « لم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال إلا بعث به في العير . وبلغ النبي ﷺ خبرها فتجهز ليتعرض لها ، ولكن أبا سفيان أخذ على الساحل فنجابها بعد أن أرسل إليهم نذيراً ضمضم بن عمرو الغفاري يستنفرهم إلى العير . فجدع هذا أنف بعيره وحول رحله وشق قميصه من قبل ومن دبر وصرخ في أهل مكة : إن محمداً مع أصحابه قد عرض لعير قريش ،

يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، ما أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ... فنهضوا وقالوا : « أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ، ليعلمن غير ذلك . » وخرجوا ألفاً بين فارس وراجل ، كل من قدر على النهوض نهض ومن لم يستطع أرسل بماله وسلاحه من يقوم مقامه . و كان كل ذي خطر إما في العير مع أبي سفيان ، وإما في النفير إلى بدر ، وصاروا بعد ذلك إذا استصغروا أحداً قالوا : « لا في العير ولا في النفير » فأرسلوها مثلاً في الناس .

ثم نجت العير ، والتقى الجمعان في بدر الكبرى و كان من أمرهم ما يعلم الجميع . وقرر كبراء قريش أن ترصد أرباح العير للتجهيز لغزو محمد ثاراً لقتلى بدر .

وظفق الرسول عليه السلام بيث سراياه ، وأشفقت قريش من ذلك إذ تعطل تجاراتهم إذا لم تكن الطريق آمنة ، وطريقهم المسلوكة المعبدة هي الطريق المساحلة إلى الشام وإلى اليمن ، وقد أصبحت غير مأمونة بعد أن صارت كتائب المسلمين ترصد قوافل التجارة المكية ، وأشفق أيضاً القبائل المقيمة على هذا الطريق حول المدينة إلى مكة إذ بانقطاع هذا الطريق التجاري موت لهم . وأي كان فقد فكرت قريش

في تغيير الطريق وسلوك طريق نجد فالعراق لبعده عن منطقة الحصار الذي ضربه المسلمون على تجارة مكة ، وقد قال صفوان بن أمية يوماً في أحد متنديات قريش : « إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرتنا فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعوه ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسكن . وإننا أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء . » فأشير على قريش أن تسلك طريق العراق ، فخرجت غيرهم مثقلة بالعروض والفضة ، وبلغ أمرها النبي فأرسل زيد بن حارثة في سرية اعترضت العير عند (القرنة) أحد مياه نجد فغنم العير وأسر الدليل .

كان هذا الحصار الاقتصادي الذي أحكمه الرسول أهم الممهدات لفتح مكة فيما بعد إذ أضعف من قوة قريش الاقتصادية . وإنما قريش بتجارتها وأموالها ، فإذا فقدت مكاتبها التجارية فقد هوى شأنها بين العرب ، ولذلك عادت تفكر في رفع هذا الحصار عنها في محاولات لم تنته بالنجاح . ولعل أشد ما أحى قريشاً في موقفها من الرسول وصحبه في مفاوضات الحديبية خوفاً أن تفقد مكة ما عرفت به من حرمة وأمن إذا اقتحمها عليهم محمد ﷺ عنوة ، فلا تعود العرب تقصدها للتجارة

فتعطل أسواقها وتخسر قریش أرباحها و ثراءها . فلذلك حالوا بكل ما يستطيعون دون وقوع قتال ودون دخول المسلمين لها عامهم ذاك ، إبقاء على مصالحهم التجارية والأدبية بين العرب .

* * *

وليس يصور لنا ذلك الغنى المستفيض إلا الأخبار التي أثرت عن كبار القرشيين في الجاهلية والإسلام ، ولا بأس في ذكر عبد الله بن جدعان مثلاً في ذلك :

فقد تقدم أنه كان يبسط الموائد في مكة يطعم الناس الفالودج وله جفنة عظيمة يأكل منها الفارس على فرسه ، وفي الحديث : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عُمَيِّ »^(١) ، ورويت له أخبار أشبه بما يروى عن الملوك فقد كان يتخذ القيان يغنيه ثم يهبهن لمادحه ، وكان يقضي عن الناس ديونهم ، وله شاعر هو أمية بن أبي الصلت ، وكان يلقب بحاسي الذهب ، وما أجد حاجة إلى التنبه على بطلان خرافة الكنز التي ذكروها تعليلاً لوجود كل هذا الغنى عنده ، فليس من كسب له ولا لقومه سوى التجارة ، وما عرفنا أن رمال الجزيرة بما تبطن الكنوز .

وأصحاب السير يقدمون لنا حساباً نستطيع أن نعتد عليه هنا

(١) صكة عُمَيِّ : حين اشتداد الهجرة .

في معركة أرباحهم التجارية^(١) لنقدّر نحن بعد ذلك الأمد الذي بلغوه في الثروة قالوا : إن قريشاً لما رجعوا من هزيمة بدر إلى مكة ، وقد أصيب أصحاب القليب ورجع أبو سفيان بعيره (سالة) مشى جماعة من أشرف قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر فقالوا : « يا معشر قريش : إن محمداً وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربته » يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ، والعير - كما تقدم من عادتهم - تنزل أول ما تنزل في دار الندوة حتى يتفق أصحابها على إخراجها للبيع ، فاستمر القرشيون وشركاؤهم أن ينفقوا ربح هذه العير على تجهيز جيش يحاربون به محمداً ﷺ ، وكانت ألف بعير موقرة بما قيمته خمسون ألف دينار ، وكانوا يربحون بكل دينار ديناراً - على ما نقل الزرقاني - فيكون ما أنفق على هذا الجيش خمسين ألف دينار ، أو - على رواية المقل - خمسة وعشرين ألف دينار . وهو على كل حال مبلغ ضخم جداً ، وكان عدد من استأجرهم أبو سفيان

(١) كانت هذه التجارة التي تبعت بها مكة والطائف جميعاً ، والتي كانت تنجى إلى مكة من بلاد الجنوب ، تجارة واسعة النطاق ، حتى لقد كانت بعض القوافل تسير في ألفي بعير ، حولتها تزيد على خمسين ألف دينار . وكانت صادرات مكة السنوية على ما قدرها المستشرق (سبرنجر) توازي مئتين وخمسين ألفاً من الدينارين أي نحو مئة وستين ألف جنيه ذهباً - حياة محمد ص ٢٤٠

من الأحايث فقط ألفين . . وفي هذا الحادث نزل قول الله عز وجل :
«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ .»^(١)

وخلق بمن كانت أرباحهم بهذا المقدار أن يثروا في المدة الوجيزة
الثراء الكبير . ونحن نعرف أن رسول الله ﷺ أخذ من العباس
الفداء يوم بدر فكان مقداره عشرين أوقية من ذهب ، وأن عثمان
بن عفان وحده جهّز جيش العسرة (في غزوة تبوك) ألف بعير
بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ولما أقحط الناس أيام أبي بكر وأتت
عير عثمان خاصة جعلها جميعاً في سبيل الله . ولما كانت الفتوحات زاد
غناه بما لا يقدر حتى إن ابن سعد صاحب الطبقات ليروي (٥٣ : ٣)
أنه « كان له عند خازنه يوم قتل (٣٠٠٠٠ : ٥٠٠٠) درهم و (١٥٠)
ألف دينار فاتهبت وذهبت وترك ألف بعير بالربذة ، وترك صدقات
كان تصدق بها يراديس وخير ووادي القرى قيمة مئتي ألف دينار ،
وليس ما يروى في تقدير ثروة عبد الرحمن بن عوف بالقليل فقد
ذكر ابن سعد^(٢) عنه أنه : « قدم المدينة فأخى رسول الله ﷺ
بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أخي أنا أكثر

أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذ ، وتحتي امرأتان فانظر أيتها
أعجب إليك حتى أطلقها لك . ، فقال عبد الرحمن : « بارك الله لك
في أهلك ومالك ، دلوني على السوق .. » فاشترى وباع فربح فجاء
بشيء من أقط وسمن ، ثم لبث ماشاء الله ان يلبث فجاء وعليه ردع
(لطح وأثر طيب) من زعفران فقال له رسول الله ﷺ « مهيم »
فقال : « يا رسول الله تزوجت امرأة » قال : « فما أصدقها ؟ » قال :
« وزن نواة من ذهب . » قال : « أولم ولو بشاة . » فقال عبد الرحمن :
« فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً . »
وحسبك هذا دليلاً على مهارتهم في الاتجار وخبرتهم بطرق الكسب .
أما تركته فكانت « ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس ترعى
بالقيع ... وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي
الرجال منه . وترك أربع نسوة ، فأخرجت امرأة من ثمنها ألفاً^(١)
وقد باع مرة أرضاً له بأربعين ألف دينار ، فتصدق بها كلها ، وتصدق
مرة بسبعائة جمل بأحماها قدمت من الشام ، وأعان في سبيل الله
بخمسةائة فرس عربية^(٢) ، « وأوصى في السبيل بخمسين ألف دينار^(٣) ،

(١) طبقات ابن سعد ٩٦/٣ والمجل أن يكون بين الجلد واللحم ماء من العمل

(٢) تهذيب التهذيب للذهبي (٣) طبقات ابن سعد ٩٦/٣ .

« وكان الزبير بن العوام كثير المتاجر والاموال قيل : كان له
الف مملوك يؤدون الخراج فربما تصدق بذلك في مجلسه ، وقد خلف
أملاً كما يعت بنحو أربعين ألف ألف درهم ^(١) .

« وأرسل سعد بن أبي وقاص الى مروان ، بركة عين ماله خمسة
آلاف درهم ، وترك يوم مات (٢٥٠٠٠٠) درهم ^(٢) ، ومهما تسقط
من هذه الأرقام مما تقدر انهم كسبوه من غنائم الحرب فسيبقى لك
بعد ذلك مقادير واموال طائلة .

فهذا دون شك غنى واسع ، ودنيا عريضة ، وتوفيق عجيب
أتيح لهؤلاء التجار ، وإن كلمة عبد الرحمن بن عوف « لو رفعت
حجراً لرجوت ان أصيب تحته ذهباً » ، لتشرح لك مدى التوفيق
التجاري الذي أحرزوه بما أتقنوا من هذه المهنة ، وما تفتنوا في
أساليبها وطرقها .

وأظن هذا القدر كافياً في الدلالة على مبلغ اهتمام قریش بالتجارة
حتى صاروا يعيرون بذلك ^(٣) ، حين جعلوها ديدنهم ومعاشهم

(١) تهذيب التهذيب (٢) الطبقات ٩٦/٣

(٣) قال زبد بن صوحان لمعاوية : « كم تكثر علينا بالإمرة وبقریش ، فما
زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقریش تجار !! » - العواصم من القواصم
لأبي بكر بن العربي ص ١٢٠ (طبع السلفية)

وهججيرا هم في مجالسهم وأسمارهم ، الكبير منهم والصغير والرجل والمرأة سواء ، كل يسهم في العير بما يستطيع ، وله من الربح على قدر ماله . كانوا يذهبون واحلين الى اليمن أو الى الشام أو الى العراق حتى جعلوا لانفسهم محطات ومنازل خاصة بأصحابها على طول الطريق ^(١) ، كل أسرة ترسل من أفرادها من استطاع ، ولا يكادون يعرفون في العرب بعمل غير التجارة وما اليها من معاملات * .

(١) جاء في تفسير الطبري : « لما نزلت آية الاستئذان في البيوت قال ابو بكر « يا رسول الله ، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق : فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكات ؟ » فنزل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ » .
سورة النور ٢٤ الآيتان ٢٨ ، ٢٩

(*) أضاف الزمن على تاريخ قريش هذا ثوباً من التقديس لمكان النبوة منهم ، فكان كثير من علماء المسلمين ومتكلميهم يسبقون على قريش ألواناً من الاجلال والتعظيم لما تكنه قلوبهم لنفر النبي ﷺ ، وصرنا نسمع كثيراً من مثل قول الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذا ما مثلهم بشر

ومثل قول أبي تمام :

قلكم قريش لم تكن آباؤها نفو ولا أحلامها تنقسم
حتى إذا بعث النبي محمد فيهم غدت شعناؤهم تتضرم
عزبت عقولهم وما من معشر إلا وهم منهم ألب وأحزم =

ونختم هذا الفصل برأي لأحد سادات قريش في الجاهلية

- ومن الخير للقارىء أن يطلع على هذه النظرة ليكون إلمامه محيطاً شاملاً ،
وليرى فيما سندرجه له امتداداً لنظرة عرب الجاهلية الى قريش النظرة الدينية
التي أسهبنا في وصفها ، وإليك اقوالاً لرجال ثلاثة مختلفين ، تمثل في الجملة آراء
الناس حتى المئة الرابعة للهجرة ، أما من بعدهم فتبع لهم في ذلك :

١ - قال العنبي : شهدت مجلس عمرو بن عتبة وفيه فاس من القرشيين
فتشاجروا في مواريث ونجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال :
« إن لقريش درجاً تولى عنها أقدام الرجال ، وأفعالاً نخضع لها رقاب الأموال
وغابات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكل عنها الشفار المشعوذة ، ولو
احتفلت الدنيا ما ترينت الا بهم ، ولو كانت لهم خاقت بسعة أخلاقهم . (الفريد
٢ : ٢٠٨) .

٢ - قال الجاحظ : قد علم الناس كيف كرم قريش وسفاؤها ، وكيف
عقولها ودهاؤها ، وكيف وأيامها ذكاؤها ، وكيف سياستها وتديورها ، وكيف
إيجازها ونخبورها ، وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الحليم ، وحدة أذهانها إذا
كلّ الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللأواء ، وكيف وقاؤها
إذا استحسن القدر ، وكيف جودها إذا حب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث
غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ، وكيف أقرارها بالحق وصبرها عليه ،
وكيف وصفها له ، ودعاؤها اليه ، وكيف سماحة أخلاقها وصونها
لأعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بمحدثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه
علائقهم صرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدر بعد غوره
وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره .

بل قد علم الناس كيف جهلها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف
سروها وبجابتها ، وكيف بيانها وجمارتها ، وكيف تفكيرها وبداعتها . =

والاسلام حكيم بن حزام و كان واسع الغنى فاحش الثراء ، تصدق

= فالعرب كالبدن وقريش ووحها ، وقريش روح وبنو هاشم مرها ولها ، وموضع غاية الدين والدنيا منسأ ، وهاشم ملح الارض وزينة الدنيا ، وحي العالم ، والسنام الأضخم والسكاكل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، ومركل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغروس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، وثهلان ذو المضاب في الحلم ، والسيف الحسام في العزم ، مع الأثاة والحزم ، والصفح بعد المقدرة . وهم الأتف المقدم والسنام الأكرم ، وكالماء الذي لا ينجسه شيء ، وكالشس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم للحيوان ، والبارد للظمان ، ومنهم الثقلان والأطيان والسبطان ، وأسدا لله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد الوادي ، وساقى الحبيج ، وحليم البطحاء ، والبحر والخبر ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجر من هاجر اليهم أو معهم ، والصدیق من صدقهم والفاروق من فرق بين الحق والباطل [منهم] ، والحواري حواريهم ، وذوالشهادتين لأنه شهد لهم ، ولاخير إلا لهم اوفيهم أو معهم أو يضاف اليهم . وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذي لم يتم لني نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عم برسالته ما بين الحافقين ، وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون . ، زهر الآداب ١ : ٩٤ .

وقال أيضاً : « وقد علم المسلمون أن خيرة الله تعالى من خلقه ، وصفيه من عباده ، والمؤمن على وحيه من أهل بيت التجارة ، وهي معولهم وعليها معتمدهم ، وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ، ولقد بلغتك بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ، ونعتك لك أحلامهم ، وتقدر لك سخاؤهم وضيافتهم ، وبذلهم =

بغيره الخاصة غير مرة وأعتق المئسات من العبيد في عرقة ، وتصدق بدور و أموال عظام ، هذا الثري القرشي أحب أن يتصل لقريش هذا المجد التجاري ، فلما شاور عمر الصحابة في فرض العطاء لقريش واقضوه لإلحاحهم بن حزام فقال له : « يا أمير المؤمنين إن قريشاً أهل تجارة ومتى فرضت لهم عطاء تركوا تجارتهم ، فيأتي بعدك من يحبس عنهم العطاء فتكون قد خرجت من أيديهم . » (١)

= ومواساتهم .. ، وسائل الجاحظ ، الرسالة السادسة في مدح التجار وذم مل السلطان .

٣ - قل العالبي بعدد مناقب قريش أهل الله : « ومنها ثبات جودهم وجزالة عطائهم ، واحتمالهم المؤث الغلاظ في أموالهم المكتسبة من التجارة ، ومعلوم أن البغل والظفر في الطفيف مقرون بالتجارة السني هي صناعاتهم ، والتجار هم أصحاب التربيع والتكسب والتدنيق ، وكان في اتصال جودهم العالي على الاجواد ، من قوم لا كسب لهم إلا من التجارة عجب من العجب ، وأعجب من ذلك أنهم من بين جميع العرب دانوا بالتمس والتشدد في الدين ، فتركوا الغزو كراهة للبي واستحلال الاموال ، فلما زهدوا في المصوب لم يبق مكسبة سوى التجارة ، فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة ، والمقوقس بمصر ، وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء ، فكانوا مع طول ترك الغزو إذا غزوا كالا سود على برثها ، مع الرأي الاصيل ، والبصيرة النافذة ... »
نمار القلوب للعالبي ص ٩

ب - ايلاف قريش

« لإيلاف قريش إيلافهم . رحلة الشتاء والصيف .
فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف » .

إيلاف قريش ، [وإذا شئنا التعبير بلغة عصرنا قلنا المعاهدات
التجارية]^(١) مستفيض الشهرة في كتب السير والتاريخ والأدب .

(١) اطلعنا بعد صدور طبعتنا الاولى باثنتين وعشرين سنة على بحث مفيد
بعنوان (الايلاف او المعونات غير المشروطة) نشره الاستاذ طاهر القاسمي
أحد العلماء من نقباء المحامين في الشام (مجلة المجمع العلمي العربي ١ نيسان ١٩٥٩)
فعلق على تعبيرنا عن الايلاف بالمعاهدات التجارية بما يلي :

« ما من شك في أن الغرض من الايلاف تجاري .. ولكنه لا يمكن ان
يسمى « المعاهدات التجارية » لأن هذه تقتضى اتفاقاً على تبادل السلع وطريقة
دفع قيمتها أو مكوسها (جماركها) أو غير ذلك . أما ، أمان الطريق بغير
حلف ، فلا يمكن ان يسمى بلغة العصر الا (انساعدات غير المشروطة -
Aides inconditionnés) . وليس في يدنا ولا يده ما يجزم بأنه لم يكن هناك
اتفاق على تبادل السلع ، بل المعروف بالعكس ، التجارة العربية كانت تنقل
الى بلاد العرب من الشام (وهي مشمولة بالحكم الروماني) القمح والزيت وما
اليها ، وتجلب اليها من بضائع الهند والحبشة والجزيرة ما مر بك تفصيله أول هذا =

وقد أخبر به القرآن الكريم . وهو أبرز حادث في تاريخ العرب
التجاري قيل الإسلام .

وفي تحديد معنى الإيلاف مذاهب ، منها :

- ١ - أنه الدأب ، فسر به ذلك ابن سعد صاحب الطبقات . ومنها :
- ٢ - أنه ربح مخصوص جعله هاشم لرؤساء القبائل فيحمل لهم
متاعاً مع متاعه ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار
ويكفي قريشاً الأعداء^(١) . ومنها :
- ٣ - أنه العهد وشبه الاجازة والخفارة^(٢) قاله صاحب القاموس .

= الباب والباب قبله . ولا يمكننا لذلك قبول النسبية (بالمساعدات غير المشروطة)
لأنه سير بك اشتراط القرشين على انفسهم بلسان هاشم جلب البضائع اللازمة
لبلاد قيصر وأن يضمنوا له ان تباع عنده أرخص ويكفوه حملاتها .
هذا وشع المصادر بالتفاصيل من جهة وضرورة التسامع في المصطلحات من
جهة أخرى يجعلان من غير المعقول المطالبة بالشروط الحديثة للمصطلحات القديمة
حين نطلقها على أحداث كانت قبل خمسة عشر قرناً ، اذ لكل جيل اعتباراته
الخاصة المتغيرة على الزمن من اطلاق الى تقييد ، ومن تعميم الى دقة في الشروط
والتفاصيل والتخصيص . ونقص شيء من هذا لا يسلب المصطلح معناه .

(١) ثمار القلوب ص ٨٩

(٢) وفسره المسعودي بالامن ، ثم أردف بقوله : ورحلت قريش حين
أخذ لها الإيلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق . - مروج
الذهب ١ / ٣٦٩ ومحمد بن حبيب فسر في كتابه (المجر) بأنه العهد ص ١٦٢

ومن التفصيل الذي سنسوقه لك تعرف أن المعاني الثلاثة تجتمع في الإيلاف معاً .

ذكر الثعالبي أن قريشاً كانت لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبذي الحجاز وسوق عكاظ في الأشهر الحرم ، لا تبرح دارها ولا تتجاوز حرمها ، للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والإلف لبيتهم ، ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم . وكانوا يواد غير ذي ذرع كما حكى الله عن إبراهيم حين قال :

« رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ »^(١) .

فكان أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك ، وأبعد في السفر ، ومرّ بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله ، هاشم ابن عبد مناف وكانت له رحلتان : في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من أرض الحبشة ، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم .

وأبى رواية الأخبار إلا أن يجعلوا لهاتين الرحلتين بدءاً يكون لهما كالسبب والعلة فرووا عن ابن عباس :

(١) ثمار القلوب ص ٨٩ - والآية هي السابعة والثلاثون من سورة إبراهيم

« أن السبب في هاتين الرحلتين هو أن قريشاً إذا أصاب واحداً منهم مخرصة ، خرج وعياله إلى موضع ، وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا ، إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له تراب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والمجاعة . فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه أياماً . ثم أتى تراب أسد مرة أخرى وشكا إليه الجوع . فقام هاشم خطيباً في قريش فقال :

« إنكم أجديتم جدباً تفلون فيه وتذلون . وأنتم أهل حرم الله وأشراف ولد آدم ، والناس لكم تبع . » قالوا : « نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف . »

فجمع هاشم كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فمأربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم . فجاء الاسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم :
والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي (١) ،

(١) بلوغ الأرب ٣ : ٣٦٨ ، والكافي الغني . وفي هاشم وصنيعه يقول خاله الحارث بن حنشل السلمي :

إن أخي هاشماً ليس أخاً واحداً الآخذ الإيلاف ، والقائم للقاعد
انظر رسائل الجاحظ جمع السندوبي ص ٧١ (المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٢ هـ) و (المهر) لابن حبيب ص ١٦٢

وكان هاشم يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل ورؤساء العشائر
لخصلتين : « إحداهما أن ذوء بان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب
الغارات وطلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ،
والخصلة الأخرى أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة
ولا للشهر الحرام قدراً كبنى طيء وخثعم وقضاعة . وسائر العرب يحجون
البيت ويدنون بالحرمة له ... فكان الإيلاف صلاحاً للفريقين إذ كان
المقيم راجعاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش وأنها خير الشام واليمن
والحبشة وحسنت حالها وطاب عيشها . »

وقول الله : « أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ . »
يعني الضيق الذي كان فيه أهل مكة قبل أن يأخذ هاشم لهم الإيلاف ،
والخوف الذي كانوا عليه ممن يرون به من القبائل والأعداء وهم
مغتربون ومعهم الأموال وهو قوله عز ذكره : تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ ،^(١) يعني في تلك الأسفار ولم يرد ذلك وهم مقيمون في حرمهم
وآمنهم لأن الله يقول : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا ،^(٢) مع قوله : « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ،^(٣) وقوله : « أَوْ لَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ .^(٤) »

(١) سورة الانفال ٨ الآية ٢٦ (٢) سورة البقرة ٢ الآية ١٢٥
(٣) سورة آل عمران ٣ الآية ٩٧ (٤) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٦٧

ويعلق عدد من المفسرين مطلع السورة (لإيلاف) بسورة الفيل التي قبلها ويكون تسلسل الكلام عندهم : فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُونِ لإيلافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، والمعنى أنه أهلك أصحاب الفيل ، الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتبيوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم أحد ولا يتعرض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم ،^(١)

هذا وقد عم مطرود الخزاعي بني عبد مناف بذكر الإيلاف لان جميعهم قد فعل ذلك فقال :

يا أيها الرجل المحول رحله	هلا حلت آل عبد مناف
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة الإيلاف ^(٢)
سفرين سنهما له ولقومه	سفر الشتاء وسفرة الأصياف

(١) الزمخشري في الكشاف ، ويؤكد تعليق (لإيلاف) : (فجعلهم) بأن السورتين في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ، وأن عمر قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب .

(٢) لهذا البيت روايات ، والتي هنا من سيرة ابن هشام . وانظر (المحبر) لمحمد ابن حبيب ص ١٦٤ فبه :

هبلك أمك لو حلت إليهم	ضمنوك من جوع ومن تطواف
الآخذون العهد من آفاقها	والراحلون برحلة الإيلاف
ويقابلون الريح كل عشة	حتى تغيب الشمس في الرجاف

ومر بك تعداد الكميت مآثر أجداد هشام بن عبد الملك فذكر
منها الإيلاف ص ٩٧

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر
وهو يرد على بني أسد ما يدعونه من قرابة قريش :

زعمتم أن إخوانكم قريش لهم إلفٌ وليس لكم إلاف
أولئك أو منوا خوفاً وجوعاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا . اهـ
وهناك قول بتفسير الإيلاف غير صحيح جاء في شرح ابن أبي
الحديد وهو قوله : « إن هاشماً جعل على رؤساء القبائل ضرائب
يؤدونها إليه ليحمي بها مكة ، والأمر على العكس فالمستفيد من
الإيلاف مادة هم رؤساء القبائل ، ومكة لم يؤثر أن اعتدى على حرمتها
أحد من العرب فبلغ منها .

وقد آن أن نذكر الإيلافات أو المعاهدات التجارية التي عقدها
هاشم وإخوانه المطلب وعبد شمس ونوفل مع العرب والروم والحبشة
وفارس ، فأخرجوا بذلك تجارة قريش من طابعها المحلي وألقوا المحصور
إلى الآفاق الأجنبية ، فصارت لقريش العلاقات الخارجية مع الدول
المعروفة حيثذ وأثرت هذه العلاقات في حالاتها الاجتماعية أثراً بعيداً
نحن متعرضون له بعد قليل .

ومتى عرفنا ما أسدى أولاد عبد مناف لقريش وللعرب من أباد
تينا مدى الصدق في قوله ابن عباس :

« والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لهم
العر لهاشم ، والله ما شدت قريش رحلاً ولا حبلاً بسفر ولا أتاخت
بعيراً لحضر إلا بهاشم . »

ونحن فيما سنعرض عليك من حديث ، عيال على القالي الذي
انفرد دون غيره من أصحاب الأماة بتفصيل تلك الأحلاف ، ولا بد
من تنبيهك إلى أن العرب كثيراً ما تسمى عامل الشام قيصر وهو المراد
في حديث القالي ، ولعل عامل أنقرة هو المراد أيضاً من قيصر أنقرة
فيما روى ابن سعد في طبقاته إذ قال :

« كان اسم هاشم عمراً وكان صاحب إيلاف قريش . وإيلاف
قريش : دأب قريش ، وكان أول من سن الرحلتين لقريش ، ترحل
إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه ،
ورحلته في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ (أنقرة) فيدخل على
قيصر فيكرمه ويحبوه^(١) . »

ولا ينبغي أن تستغرب ما تقرأ في رواية القالي من اهتمام قيصر

بهـاشم فإن الروم كانوا يهتمون بمن ينزل ارضهم من العرب الغرباء وليس من المعقول ان يكون أمرهم هملًا فالغالب أن هناك موظفين وعيوناً من العرب أو ممن يعرفون العريية يوافون العامل بأخبار الطرّاء والتجار الأجانب قال ابو علي القالي (١) :

« كانت قریش تجاراً ، وكانت تجارتهم لاتعدو مكة ، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى :

١ - ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فياً كلوت . وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر فقيل له : « هاهنا رجل من قریش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم . » وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز . فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمه أعجب به ، فكان يبعث إليه في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه . فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : « أيها الملك إن قومي تجار العرب ، فإن رأيت ان تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يُستطَرَف من آدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو

أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بجي من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافاً . والايلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، وإنما هو أمان الطريق . على أن قريشاً تحمل إليهم بضائع فيكفونهم حملاتها ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم ، فأصلح هاشم ذلك الايلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجوزهم ويوفّيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام وأحلهم قراها . ومات في ذلك السفر بغزة .

ب - وخرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر إليهم من قريش ، وأخذ الايلاف كفعل هاشم . وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض وهلك بردمات من اليمن .

ج - وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة ، فأخذ إيلافاً ففعل هاشم والمطلب وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون .

د - وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش وإيلافاً ممن مرّ به من العرب . ثم قدم

مكة ورجع الى العراق فمات بسلمة .

واتسعت قريش في التجارة في الجاهلية وكثرت أموالها . فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منه في الجاهلية والاسلام . اهـ ،
يمتاز هذا الخبر مما تقدمه بالدقة فقد عرفنا أن صاحب القاموس ومحمد بن حبيب فسرا الايلاف بالعهد . وما يتبادر الى الذهن من ذلك حقوق متقابلة وحلف دائم فقصر الايلاف هنا على أمان الطريق فقط . وخرجنا من رواية القالي بأربع معاهدات تجارية ، إلا أن الفكر ليستشرف لمعرفة نصوص هذه المعاهدات ويتوقع تفصيلاً أكثر . أما الكتاب الذي أشار القالي الى ان يقصر كتبه لهاشم فإننا لم نجد له ذكراً بعد موت هاشم ، فيما بين أيدينا من المصادر . وهو - ان صح وقوعه - من الخطر بمكان ، بل هو مما يجب أن يعرض عليه بنو هاشم بالنواجد فقيه لهم فخر كبير وهم الحريصون على قيد كل صغيرة وكبيرة مما يدخل في باب المفاخرة فمن العجيب سكوت الأخباريين عن ذكره في المناسبات التي كثيراً ما تعرض .

وهؤلاء (هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل) هم أصحاب الايلاف الذين رفع الله بهم قريشاً ونعش قراءها ... وكل كان رئيس من يخرج معه ممن يتجر في وجهه ... فهؤلاء سادة قريش

وتاعشوهم^(١) .

لقد انتقلت أحوال قريش التجارية بهاشم واخوته من طور الى طور ، فبعد ان كانت قاصرة على مكة يقدم عليهم فيها التجار الأعاجم فيشترون منهم سلعهم ، خلصوا من تحكم الأجانب ومارسوا هم انفسهم التجارة الخارجية بعد أن أمنوا الطريق وعقدوا المحالفات فعظمت ثرواتهم وفاض غناهم وأصبح معظم اتجار الجزيرة مع الأمم المجاورة حكرة لهم ، وقد اعترفت قريش لأولاد عبد مناف بفضلهم وجميل صنيعهم لقومهم فسموهم (المجبرين^(٢)) إذ بهؤلاء النفرا لاربعة جبرت قريش وتبجحت في الخير والغنى والمقام .

ويزيد ابن سعد في طبقاته ، فيذكر لنا شيئاً مما في عهد قيصر ، ويذكر أيضاً كتاباً آخر أرسله قيصر الى النجاشي يوصيه بهم ولم يشر إلى شيء من مضمون هذا الكتاب قال^(٣) : « كان هاشم رجلاً شريفاً وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف آمنة . وأما من على الطريق (يعني قوافل العرب) فآلفهم على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق . فكتب له قيصر كتاباً وكتب الى النجاشي ان يدخل قريشاً أرضه . »

(١) محمد بن حبيب في كتاب المجرى ص ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) وميموم أيضاً اقتداح النضار لشرف أحسابهم وفضل مساعدهم .. انظر

الاسلام والحضارة العربية ص ١١٦ (٣) الطبقات ١/٤٥

وفي شرح نهج البلاغة (٤٥٨ : ٣) أن هاشماً سأل قيصر أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالتاجر وإن يكتب لهم كتاب الأمان فيما بينهم وبينه ففعل . والغموض الذي في الرواية المتقدمة يكتنف هذه أيضاً فليس فيها صيغة هذا الأمان ولا شروطه .

ومها يكن من شيء إلى هؤلاء الأخوة الأربعة ، يرجع الفضل كله في تسمير تجارة قريش ^(١) وبنائها على أسس قوية حتى اتسعت فصارت شبه دولة بعد أن كانت موضعية لاتعدو الأسواق القرية من مكة . فهم في الحقيقة أبطال قريش ورجالها في الاقتصاد وهم دعائمها التجارية التي قامت تلك الثروة العريضة بمساعيهم وكفائاتهم ، وليس بقليل أن تفتح أربع ممالك أسواقها لقوافل قريش وتجارها . وما أنا إلى الغلو إذا زعمت أن فضل هذه الأحلاف امتد حتى زمن الاسلام ، وأن المسلمين الأولين ما اختيرت لهم الحبشة مهاجراً إلا لاعتيادهم الرحلة إليها متاجرين ، وإلا لمعرفتهم بها وبأهلها لكثرة ارتيادهم

(١) ومن حولها أيضاً من التجار غير القرشيين الذين ضربوا في الأرض للتجارة بعد أن مهدت لهم قريش السبيل ، فكتب السيرة مثلاً تذكر لنا أن مشركي مكة أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سفيراً إلى الرسول في مفاوضات الحديبية وأن من قوله لقريش لما عاد « يامعشر قريش ، اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه .. الخ » .

إياها وحمدهم مقامهم فيها وحسن ما يلقون من معاملة طيبة .
في الخبر بعد ، إشارة إلى كرم هاشم وكثرة إنفاقه على إخوانه ،
وأن أفعاله نمت على أصله وسيادته وشرفه ، كما فيه تصريح بأسلوب
الروم وأسلوب العرب في أكل اللحم والمرق وكيف عجب الروم
من الثريد لأنه طراز لم يألوه .

ذكروا أن اللام في قوله تعالى أول السورة : « لإيلاف قريش »
للتعجب فالمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش ، وآخرون علقوها ومجرورها
بالفعل فقالوا إن المعنى : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم^(١) . فجعلوا
الفاء في الفعل زائدة لتحسين اللفظ وتقوية المعنى كما في قوله تعالى :
« وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » ، وجعلوا « إيلاف » الثانية توكيذاً للأولى .
وقد آمن الله عليهم بإيمان خوفهم من الغارات والحروب والقتال
وغير ذلك من الأمور التي يخافها كل عربي غيرهم حتى إن الرجل منهم
ليصاب في حي من أحياء العرب فإذا قال : أنا حرمي (أي من أهل الحرم)
أطلقوه وكفوا عن ماله إكراماً له .

وقد آمن الله أهل مكة من خوف آخر هو جيش أبرهة أصحاب

(١) والوجه ما تقدم لك ص ١٥٢ من تعليق (لإيلاف) بقوله (فجعلكم
كعصف ماكول) فارجع إليه .

القليل حين ردهم الله عن مكة والبيت بعد أن اعتصم أهلها بالشعاف والمضاب . ومن عليهم حين أتقدهم من جوع السنين التي أصابهم قحطها من قبل . فذكر ابن عباس وعكرمة^(١) أن الله أمرهم في هذه السورة بالاقامة بمكة لعبادة رب هذا البيت . إذ كفاهم مؤونة رحلتهم بعد أن كانوا لا يكادون يرتاحون في صيف ولا شتاء .

لخص صاحب القاموس ما تقدم حين عرض لتفسير الإيلاف

فقال :

« والإيلاف في التنزيل (العهد) وشبه الاجازة بالخفارة وأول من أخذه هاشم من ملك الشام ، وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم ، آمنين في امتيارهم وتنقلاتهم شتاء وصيفاً والناس يُتَخَطَّفُونَ من حولهم ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : « نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد ... » وكان هاشم يوالف إلى الشام ، وعبد شمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس . وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجمال (عهود) هؤلاء الاخوة ، فلا يتعرض لهم . وكان كل أخ منهم أخذ حبلًا من ملك ناحية سفره .
أما ناله . »

(١) راجع أقوال المفسرين في ذلك .

ج - حرب الفجار

أفردت هذا البحث وإن كان حقه أن يذكر في أحداث سوق عكاظ ، لخطره وبعد أثره ولأن هذا الفجار كان في حقيقته نزاعاً على التفوذ التجاري والأدي ، بين قريش وأحلافها وبين هوازن القبيلة المعروفة بعددها وبطشها .

وقعت هذه الحرب وكان بود قريش ألا تقع ، لميلها إلى السلم الضروري لتجارتها وكانت تجنح إلى السلم في كثير من أمورها وخاصة مع قبيلة هوازن التي لها القوة والمنعة حول عكاظ . فإن قريشاً ترهب جانبها وتجتنب ما يعكر الصفو بينها وبين هوازن حرصاً على سلامة الموسم وعلى تجاراتها فيه . يدلنا على ذلك أن عبد الله بن جدعان كان طرد مئة ناقة لكلاب بن ربيعة فأرسل كلاب إلى قريش : « إن سفيهم أغار علي وطردي مئة ناقة ، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ولي عليكم ترة . » وكانت عكاظ في وسط أرض قيس بن عيلان . قال ابن جدعان : « وإن قريشاً اتهمرت بقتلي ، لثلا أجنني عليهم الجراثم فيطلبون بسبي

وهم تجار لا يستغنون عن بلد .^(١)

وهذا صريح في إشفاق قريش من كل ما يعكر أمن تجارتها وقد أذعنت للتهديد حتى كادت تسلم أحد أفرادها ، وهو شيء لا تسمع به العرب أبداً حتى تقضى عن آخرها . وبهذا عرفوا ، وما كانت قريش لتخرج على ذلك لولا الضرورة الملحة ولولا أنها تهدد موردها الوحيد وهو التجارة .

أيام الفجار أربعة . وإنما نريد هنا الكلام على الفجار الآخر أي الرابع لأنه هو الذي أدى إلى الحروب ، وهو الذي كان سببه التزاحم على الكسب والتجارة . أما بقية الأيام فستمر بها عند الكلام على عكاظ . وقد سميت بالفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم وهي الشهور التي تعظمها العرب وتحرم فيها القتل والقتال فيما بينها . فلما خرج المتحاربون فيها على شريعة العرب كانوا فاجرين^(٢) بذلك . وأيامها خمسة تفرقت على أربع سنين . وهما نحن أولاء نأتي عليها بالتفصيل الممكن معتمدين فيه على الأغاني وبلوغ الأرب وعلى العقد الفريد خاصة .

(١) الاكليل للهمداني ٨ : ١٨٤

(٢) يلاحظ الجاحظ بحق - أن قريشاً لم تفجر وإنما فجر الذين حاربهم -

رسائل الجاحظ (جمع السندوي) ص ٧٤

ستراً

من الصعب تعيين سنة هذه الحروب لما ورد فيها من تضارب الروايات ، فقد أجمعت المصادر على أن رسول الله ﷺ حضرها بنفسه ، ثم اقتصرت فرقتين : فابن هشام ومن تابعه يجعلون سن الرسول لما حضرها أربع عشرة سنة ، ومنهم صاحب العقد الفريد الذي يروي في ذلك حديثاً هذا نصه : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة . » وابن إسحاق ومن تابعه - ومنهم صاحب القاموس والأصفهاني وابن سعد - جعل سنة حيثئذٍ عشرين سنة . وهناك غموض آخر اشترك فيه الفريقان معاً وهو أن أيام الفجار الآخر تفرقت على أربع سنين ، ففي أيتهن كان عمره أربع عشرة أو عشرين ؟ وأنا لم أهتم بعد إلى الحق الذي لا حق غيره في هذه الروايات . ونبله ﷺ على أعمامه فسر بوجهين : أما صاحب العقد الفريد فقال : أنبل بمعنى أناولهم النبل وهو خلاف ماذهب إليه ابن هشام في سيرته من أن معناه أنه كان يرد عنهم نبل عدوهم . إلا أن تعدية الفعل بـ (على) ترجع التفسير الأول فقد جاء في القاموس : نبل عليه : لقط له النبل . وروي الحديث (في مادة فجر) - وكذلك رواه ابن سعد - على هذه الصيغة : « كنت أنبل على عمومي يوم الفجار ، ورميت فيه بأسهم ، وما أحب

أني لم أكن فعلت . ،

فإن يكن رسول الله ﷺ قد حضر الأيام جميعها وكانت سنة أول ما هاجت خمس عشرة سنة - على إحدى روايتي ابن هشام - أمكن التوفيق بين الروايات على وجه التقريب فتكون الحرب قد وضعت أوزارها وقد أشرفت سنة على العشرين . فكان يلتقط السهام في أولها ويرمي بنفسه في آخرها . فعلى الرواية الأولى تكون الحرب قد وقعت قبل البعثة بخمسة وعشرين عاما وتوافق سنة (٥٨٥) للميلاد المسيحي .

سبب الحرب :

من عادة النعمان بن المنذر ملك الحيرة أنه يرسل كل عام إلى سوق عكاظ لطيمة (وهي الجمال تحمل المسك والطيب) بجوار رجل شريف من أشرف العرب ، يحميها له حتى تصل إلى السوق فتباع فيها ويشتري له بثمانها أدم من أدم الطائف .

ولا يقوم عادة بعبء حمايتها إلا رجل منيع ، لقومه عدد وعزة . وكان الذي يجيرها في الغالب سيد مضر^(١) .

فلما جهز النعمان اللطيمة لهذا العام (٥٨٥ م) قال : « من يجيرها ؟ »

وكان بحضرته أناس من أشراف القبائل ، فأنبرى له البرأض بن قيس الضمري وكان فتاكاً يضرب بفتكه المثل فقال : « أنا أجيرها على بني كنانة . » فقال النعمان : « ما أريد إلا رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامة . » فقام عروة الرحال أحد أشراف دوازن وكبرائهم فقال : « أكلب خليع يجيرها لك ؟ أيت اللعن ، أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقيصوم » يريد عامة العرب . فحقدوا عليه البرأض وقال : « أعلى بني كنانة تجيرها يا عروة ؟ » قال : « نعم وعلى الناس كلهم . » فحمي البرأض إذ عدها استهانة به واستخفافاً بقومه ، وأضرها في نفسه غدرة شعاء .

دفع النعمان اللطيمة إلى عروة فخرج بها . فتبعه البرأض وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه شيئاً لأنه منيع بين قومه من غطفان ، حتى إذا بلغوا (فذك) نزل عروة في أرض يقال لها « أواره » فشرب الخمر وغنته قينة ثم قام فنام .

اغتم الفرصة البرأض ، وانسل إليه في خباته ، فلما رآه عروة ناشده واعتذر إليه وقال : « كانت مني زلة » فلم يفد الاعتذار شيئاً ولم يخفف مما يضطرم في صدر البرأض من الحقد ، فاقبض على عروة فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة مني ضلّة
هلاً على غيري جعلت الزلّة
فسوف أعلو بالحسام القلّة

ثم أنشد :

وداهية يُهاال الناس منها شددت لها بني بكر ضلوعي
قدمت بها يوت بني كلاب وأرضعت الموالي بالضروع
جمعت له يدي بنصل سيف فخرت يمد كالجدع الصريع^(١)

واستاق اللطيمة إلى خبير ، و هت رسولاً مستعجلاً إلى حرب
ابن أمية يخبره أنه قتل عروة فليحذر قيساً^(٢) ، فتبعه رجلان من غطفان
يريدان قتله ، فكان هو أول من لقيها فعرف ما قصدا إليه فنوى
التعجيل بهما فقال لهما : « من الرجلان ؟ » قالا : « من غطفان وغني » قال
البراض : « ما شأن غطفان وغني بهذه البلدة ؟ » قالا : « ومن أنت ؟ »
قال : « من أهل خير » قالا : « ألك علم بالبراض ؟ » قال : « دخل
علينا طريداً خليعاً فلم يؤوه أحد بخير ولا أدخله بيتاً . » قالا : « فأين

(١) أرضعت الموالي بالضروع : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع
الضروع وأظهرت فسادهم ، وهذا كما يقال لثيم واضع أي يرضع اللؤم من
ثدي أمه . والثقة من كل شيء : أعلاه

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ١ : ٢٤١

يكون ؟ قال : « فهل لكما به طاقة إن دلتكما عليه ؟ » قالا : « نعم »
قال : « فانزلا ، فنزلا فعقلا راحلتيهما . قال البرأض : « فأيكما أجراً
عليه وأمضى مقدماً وأحد سيفاً ؟ » قال الغطفاني : « أنا ، قال : « فانطلق
أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحلتيكما . » ففعل .

وانطلق البرأض يمشي بين يدي الغطفاني حتى انتهى إلى خربة في
جانب خير ، خارجة عن البيوت فقال البرأض : « هو في هذه
الخربة وإليها يأوي . فانظرنى حتى أنظر : أأنتم هو أم لا ؟ » فوقف له
الرجل ودخل البرأض ثم خرج إليه وقال : « هونأتم في البيت الأقصى
خاف هذا الجدار عن يمينك إذا دخلت . فهل عندك سيف فيه صرامة ؟ »
قال : « نعم » قال : « أرني سيفك أنظر إليه أصارم هو ؟ » فأعطاه
إياه ، فهزه البرأض ثم ضربه به فقتله . ووضع السيف خلف الباب .
وأقبل على الغنوي فقال : « ما وراءك ؟ » قال البرأض : « لم أرَ
أجبن من صاحبك ، تركته قائماً في الباب الذي فيه الرجل - والرجل
نأتم - لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه . » قال الغنوي : « يا لهفاه لو كان
أحد ينظر راحلتينا . » قال البرأض : « هما علي إن ذهبتا . » فانطلق
الغنوي والبرأض خلفه حتى إذا جاوز الغنوي باب الخربة أخذ
البرأض السيف من خلف الباب ثم ضربه به حتى قتله . وأخذ سلاحيهما

وراحتيهما ثم انطلق .

يوم نخله :

بلغ قريشاً خبر البراض وقله عروة وفزعوا أن تعلم بذلك
هو ازن فتدھمھم وكانوا في عكاظ في الشهر الحرام فخلصوا نجياً (واتفق
رأيهم أن يخاطبوا عامر بن مالك سيد قيس بذلك فأتوه وأخبروه فأجاز
مالك بين الناس وأعلم قومه ما قيل له وأوشكوا أن يصطلحوا) .
لكن فريقاً منهم خافوا أن يكون قومه بمكة في ضيق فانسلوا من
عكاظ وهو ازن لا تشعر بهم وتوجهوا نحو مكة رجاء أن ينصروا
إخوانهم إن كان حزبهم أمر .

وكان من عادة العرب إذا وفدت على عكاظ أن تدفع أسلحتها
إلى عبد الله بن جدعان ، وكان هذا سيداً حكيماً ثرياً من المال ،
فتبقى عنده أسلحة الناس حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم فيردها
عليهم إذا ظعنوا . فلما كان من أمر البراض ما كان قال حرب بن أمية
لابن جدعان : « احتبس قبلك سلاح هو ازن . » فقال عبد الله :
« أبالقدر تأمرني يا حرب ؟ فوالله لو أعلم أنه لا يبقى فيها سيف إلا
ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً . ولكن لكم
مئة درع ومئة رمح ومئة سيف تستعينون بها . » ثم صاح ابن جدعان

في الناس : « من كان له قبلي سلاح فليأت وليأخذه . » فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد ابنا المغيرة إلى أبي براء سيد قيس : « إنه قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا . » وساروا راجعين إلى مكة^(١) . فلما كان آخر النهار بلغ أبا البراء قتل البراض عروة فقال : « خدعني حرب وابن جدعان . » وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في إثر القوم فأدركوهم في نخلة قبيل الحرم ، فناوشوهم شيئاً من القتال يسيراً حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم فأمسكت هوازن عنهم ونادوهم : يا معشر قريش ! إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة الرحال أبداً أو نقتل به عظيماً منكم ، وميعادنا وإياكم هذه الليالي من العام المقبل . » ونادى رجل من بني عامر :

لقد وعدنا قريشاً وهي كارهة بأن تجيء إلى ضرب رعايل^(٢)
فقال حرب بن أمية لأبي سفيان ابنه : قل لهم : « ان موعدكم قابل في هذا اليوم . »

وتعرف هذه الواقعة يوم نخلة وقد تعطلت السوق فلم تقم تلك

(١) الاغانى ٧٦/١٩ (٢) ثوب رعايل : ممزق بال

السنة . فقال خدّاش بن زهير يذكر قريشاً بها ويعيرهم ، وكانت العرب تسمى قريشاً (سَخِينَة) لأكلها السخينة وهي طعام رقيق يتخذ من دقيق :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على (سَخِينَة) لولا الليل والحرم
إذ يتقينا هشام بالوليد ولو أنا ثقنا هشاماً شالت الخدم
لما رأوا خيلنا تزجي أوائلها آساد غيل حمى أشبالها الأجم
ولوا شلالاً وعظم الخيل لاحقة كما تحب الى أعطائها النعم^(١)
بين الأراك وبين المرج تطحهم زرق الأسنة في أطرافها السهم
فإن سمعتم بجيش سالك شرفاً ووطن مرفأخفوا الجرس واكتموا
وهذا غاية في التعبير وفي وصف شدة الحرب حتى صار الأخ
يفتدي نفسه بأخيه .

يوم شَمْظَة :

شَمْظَة^(٢) موضع في عكاظ نزله كنانة بعد عام من يوم نخلة حسبما

(١) الخدم جمع خدمة وهي حلقة القوم حيث يجتمعون ، عظم الخيل : معظمها . تحب : تسرع . والاعطان : مبارك الإبل حول الماء ، أو هي كالأوطان للناس . شلالاً : خفافاً سراغاً وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١٢١
(٢) اثبتنا باقوت في معجم البلدان بالطاء وذكر أن الأزهرى نقلها بالظاء قلت : وهو المشهور المتداول في كتب اللغة .

اتعدوا هم وهوازن . فاحتشدت كنانة ، قریشها وعبد منافها
والأحابيش^(١) ومن لحق بهم ، وسلح يومئذ عبد الله بن جدعان مئة
كفي بأداة كاملة سوى من سلح من قومه . وعلى إحدى مجنبتی كنانة
عبد الله بن جدعان ، وعلى الثانية كريز بن ربيعة ، وأمر الجميع إلى
حرب بن أمية الذي كان في القلب . أما هوازن وأحلافها فأمرها إلى
مسعود بن معتب الثقفي . واعتزل فريق من الحيين فلم يشهدوا الحرب .
ثم تناهض الناس وزحف بعضهم إلى بعض ، فكانت الدائرة
أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كانت آخر النهار تداعت
هوازن وصابرت ، فانقضت كنانة واستحرق القتلى فيهم ، فقتل منهم
تحت رايته مئة رجل ، ولم يقتل من قریش يومئذ أحد يذكر ، وذلك
قول خدأش بن زهير :

فأبلغ ان عرضت بنا هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا
أونئك ان يكن في الناس خير فإن لديهم حسباً وجودا

(١) الأحابيش حلفاء قریش وهم - على ما قال ابن قتيبة - بنو المصطلق ،
والحياء بن سعد بن عمرو ، وبنو الهون بن خزيمية : اجتمعوا أسفل جبل بمكة
اسمه (حبشي) فتعالفوا بالله انا ليد على غيرنا ما سجا ليل وأوضع نهار وما
وما حبشي . وقيل : سموا بذلك لاجتماعهم والتعشيش التجميع . العدة ١٨٥/٢
والقاموس مادة (حبش) .

هم خير المعاشر من قريش وأوراهم إذا قدحت زنودا
بأنا يوم (شمطة) قد أقنا عمود الدين إن له عمودا
فجاؤوا عارضاً برِداً وجئنا كما أضرمت في الغاب الوقودا
فعاقنا الكجاة وعانقونا عراك النمر واجهت الأسودا
ونادوا : يا لعمرؤ لا تفروا قتلنا : لا فرار ولا صدودا
فولوا نضرب الهامات منهم بما اتهموا المحارم والحدودا^(١)
فلم أر مثلم هزموا وقلوا ولا كذيانا عنقاً مذودا

يوم العبء :

عاد الأحياء المذكورون من هؤلاء وأولئك فالتقوا من قابل في
اليوم الثالث من أيام عكاظ بالعبلاء الى جنب عكاظ فاقتلوا على التبعة
التي تقدمت .

فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على قريش وكنانة . فأصابت
قريش وقتل أحد صناديدها العوام بن خويلد ، والد الزير بن العوام
حواري رسول الله ﷺ ، قتله مرة بن معتب الثقفي ، فقال في ذلك

(١) انظر خزائن الادب ، وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٣ (في طبعة دار
المعارف : ص ١٢١) . أبلغ بجذف نون التأكيد الخفيفة وإبقاء فتحة البناء على
آخر فعل الأمر . والذيان : الدفاع ، والعنق : المقبلون بجماعاتهم

رجل من ثقيف يفتخر بقتله لما له من الخطر :

منا الذي ترك العوام مجندلاً تتنابه الطير لحماً بين أحجار

وفي هذا يقول شاعر هذه الحروب من هوازن . خداس بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العباء خندف بالقياد

قدتكم ولحظكم إلينا يطن عكاظ كالإبل الغداد^(١)

ضربناهم يطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

ويقول :

ألم يبلغك ما لقيت قریش وحي بني كنانة إذ أبـيروا

دهمنـاهم بأرعن مكفر فظل لنا بعقوتهم زئير^(٢)

* * *

يوم شرب^(٣) :

ثم التقوا على رأس الحول في اليوم الثالث من عكاظ أيضاً شرب،

وشرب من عكاظ . ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، صدقوا

(١) هذا البيت في كتاب (الامتاع والمؤانسة ١ / ٢٢٩) وهو في لسان

العرب : (عدمتكم ونظرتكم إلينا ..) - الغداد : جمع غادة ! أي فاقة ذات غدة

(٢) أبـيروا : أهلكوا . العقوة ماحول الدار ، المحلة .

(٣) ضبطه ياقوت في معجم البلدان فبفتح فكسر نقلاً عن أبي بكر بن نصر

فأما التي في شعر ابن مقبل فبفتح فسكون .

فيه الحملة ، وصبروا حفاظاً وحمية ، وقد أبلت فيه قريش بلاء حسناً .
وكان الذي أحماهم أن هوازن عليهم يومين ذهبت بفخرهما . فحافظت
قريش وكنانة وصابت بنو مخزوم وبنو بكر ، وقيد ثلاثة شجعان
من قريش وأشرافها أنفسهم وقلوا : « لا يبرح منا رجل مكانه حتى يموت
أو نظفر » وهم أبو سفيان وحرب ابنا أمية ، وأبو سفيان بن حرب
والد معاوية فسموا (العنابسة) من يومئذ . وكانت على الفريقين
رؤساؤهم السابقون ، واستمر القتال بهذه الشدة حتى انهزمت هوازن
وقيس كلها رغم عددها وعدتها ، إلا بني نصر فإنهم صبروا مع ثقيف ،
وذلك لأن عكاظ بلدهم ، لهم فيه نخل وأموال إلا أنهم لم يغنوا شيئاً
ثم انهزموا أيضاً وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . وذهبت بفخر
هذا اليوم كله كنانة وقريش ، فارتفعت أصوات شعرائهم تخلد هذا
النصر المؤزر ، وما لها لا تفعل ، وقد لقيت خزيّاً كبيراً من شعراء
هوازن ، وما شأن شاعر تفقده أمته يوم الحاجة ، وأي غناء لشاعر
! قوم له ، فقال أمية بن أسكر الكناني :

لا سائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
ي شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أينا^(١)

وقال :

قومي اللذو بعكاظٍ طيروا شرواً من روس، قومك ضرباً بالمصاقل^(١)
وقال جذل الطعان :

جاءت هوازن أرسالاً وإخوتها بنو سُلَيم فهابوا الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم مثل الحريق فمأعاجوا ولا عصفوا
وقال عبد الله بن الزبيري شاعر قريش (والمشر كين فيما بعد) :

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبد مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك من القوة والحزم
فهذان يذودان وذا من كذب يرمي^(٢)

(١) اللذو : لقة في الذين . والمصاقل : السيوف .

(٢) وتمة هذه الأبيات :

أسود تزدهي الأقرا ن متاعون للهضم
وهم يوم عكاظ منعوا الناس من الهضم
وهم من ولدوا أشبوا بسر الحب الضخم
فإن أحلف ويبت الله لا أحلف على لائم
لما من إخوة بين قصور الشام والردم
بأزكى من بني ربيعة أو أوزان في الحلم

أبو عبد مناف الفاكه بن المغيرة . وربطة هذه التي عنها هي أم بني المغيرة
هي بنت سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت من المغيرة هشاماً وأبا ربيعة والفاكه =

يوم الحريرة :

وهو آخر أيامهم . ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة وهي حرة إلى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها ، وعلى كل قوم رؤساؤه

- وذو الرعين هو أبو ربيعة بن المغيرة لقب به لقتاله في هذه الحرب برعين .
وأشباك : حسبك . والميدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم . تذهي
الأقران : تستخف بهم . وأشبى فلان : اذا ولده ولد كيتس . والرادم مكان
بمكة يضاف إلى بني تميم ، وقرية بالبحرين .

هذا وقد اختلف في قائل هذه الابيات ، ف قيل : ابن الزبيرى . وقيل :
عمر ابن أبي ربيعة حفيد ذي الرعين ، وقد كشف الاصفهاني عن حقيقتها بخبره
الطريف المشهور قال : قال أبو نهشل : جثت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام الوارد ذكره في الابيات ، قصده اطلب منه مغرمًا فقال : ياخال
هذه اربعة آلاف درهم وأنشد هذه الابيات الاربعة (الاولى) وقل سمعت
حسان ينشدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أكذب على الله ورسوله ،
ولكن إن شئت أن أقول : سمعت عائشة تنشدها فعلت . فقال : « لا ، إلا
أن تقول : سمعت حسان ينشدها رسول الله ﷺ ورسول الله جالس . » فأبى
عليّ وأبى عليه ، فأتينا لذلك لا نتكلم عدة ليال ، فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً
تمدح بها هشاماً - يعني جده ابن المغيرة - وبني أمية . فقلت : « منهم لي . »
فسام وقال : « اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . » فقلت : « ألا الله ...
الابيات . » ثم جثت فقلت : « هذه قالها أبي ، فقال : « لا ، ولكن قل : قالها
ابن الزبيرى . » قال : فهي إلى الان منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزبيرى .
وقيل : من لعمر ابن أبي ربيعة ، والله أعلم .

السابقون . فاقتلوا قتالاً شديداً كان شوثاً على قريش وأحلافها ، قتل فيه من كنانة ثمانية نفر ، وقتل أبو سفيان بن أمية أخو حرب جد معاوية . وكان يوماً لهوازن فخره ونصره . فلعلع صوت شاعر هوازن بهذه الصاعقة المجلجلة :

إني من النفر المحمر أعينهم أهل السوام وأهل الصخر واللوب^(١)
الطاعنين نحور الخيل مقبلة من كل سمراء لم تغلب ، ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاككم بلاؤهم يوم الحريرة ضرباً غير مكذوب
لاقتهم منهم أساد ملحمة ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا نأخذ نحوركم وإن تباهاوا فإني غير مغلوب
وقال الحارث بن كلدة الثقفي :

تركت الفارس البذاخ منهم تمج عروقه علقاً عيطا
دعست بنانه بالرمح حتى سمعت لمتته فيه أطيطا
لقد أرديت قومك يابن صخر وقد جشمتهم أمراً شطيطا
وكم أسلمت منكم من كي جريحا قد سمعت له غطيطا^(٢)

(١) اللوب : جمع لابة وهي الحرّة .

(٢) البعير البذاخ : الهدّار الخارج لشقشقه . والبذخ في الاصل الكبير والعلوّ . العلق العيط : الدم المتجمد . دعس : طعن . الاطييط : صوت . الغطييط للبعير : هديره ، ولقائمه : صوته .

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقي الرجل ، والرجلان يلتقيان
الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً . فلقى ابن محمية بن عبد الله الديلي زهير بن
ربيعة أبا خراش فقال زهير : « إني حرام جئت معتمراً . » فقال له :
« ما تلقى طوال الدهر إلا قلت : أنا معتمر ، ثم قتله .

انقضت هذه الأيام الخمسة في أربع سنين . ثم تداعى الفريقان
إلى السلم على أن يذروا الفضل في الدماء والأموال ويتعاهدوا
على الصلح .

عقدوا على ذلك الموائيق وبقيت هذه الأحداث للذكرى والفخر ،
يتمجد كل شاعر قوم بما فعل قومه ، ويتغنى بما كان لهم من محامد .
وانظر إن شئت أن ترى آثار ذكرها في مثل قول عبد الله بن الزبير السهمي :
وإن قصياً أهل عز ونجدة وأهل فعال لا يرام قديمها
هم منعوا يومي عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها^(١)
أو قول بعضهم :

نحن كنا الملوك من آل نجد وحماة النمار عند النمار

(١) الشول : النوق التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف
لبنها ، الواحدة شائلة . والهجان : الإبل الكرام . والقروم : الفحول - بلوع
الأرب ٣ / ٨٤

ومنعنا (الحججون) من كل حي ومنعنا الفجار يوم الفجار

وقول خدّاش بن زهير :

فلا توعديني بالفجار فإنه أحل يطحاء (الحججون) المخازيا^(١)

أو قول عاتكة بنت عبد المطلب تخلد نصر قومها في هذه

المقطوعة الرائعة :

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه

قيساً وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه

فيه السور والقنا والكبش ملتمع قناعه

بعكاز يعشي الناظر ن - إذا هم لمحوا - شعاعه

فيه قتلنا مالكاً قرأ وأسلمه رعاعه

ومجدلاً غادرنه بالقاع تنهسه ضباعه

هكذا كانت تجارة العراق في عكاظ وما يفيد من يجيرها من

أرباح مادية ومعنوية هو وقييلته ، سياً مغرباً في هذه الحروب . وأي

بدع في هذا فإننا ما نزال إلى اليوم نرى أكثر الحروب في حقيقتها

تطاحناً على النفوذ الاقتصادي وتكاد أحداث القرن العشرين كلها

تكون حول التنافس التجاري إن لم يكن بصورة جلية فمن وراء الستار.

د - حلف الفضول

ما نظر القرشيون إلى حلف ولا عهد ، نظرهم إلى حلف الفضول فهو يظفر منهم برعاية مقدسة وتبجيل وشرف قلما كان بعضه لحلف آخر .

هو حلف تجاري بمقدماته ونتائجه ، حفظ سمعة قريش وصان ازدهار أسواق مكة ، وأسدل عليها ستاراً من الإنصاف والأمن وحماية الضعيف بعد أن كاد الأمن فيها يتعرض للخطر ، وكادت حوادث الاعتداء على حقوق الضعفاء تزداد حتى أوشكت أن تزعزع ثقة الأعراب وتجار النواحي بأسواق مكة .

ولم تنحصر ثمرته فيما سبق الإسلام بل استمرت فيه وازدادت تأييداً وقوة ومنعة ، أثنى عليه صاحب الرسالة ﷺ واعتز به ، ولما هتف الهاقب به بعد نحو ثمانين سنة من عقده^(١) استجاب الناس له كأن عهدهم به أمس ، فكان جديداً لم تُخلق جدته تلك السنوات الثمانون التي تمخضت عن أعظم الحوادث الكبار : ظهور الشريعة

(١) سيأتي تفصيل هذا بعد قليل .

الإسلامية ، وفتوح العرب وافتراض فارس وانكاش الروم . أهاب الداعي بأصحابه (وقد مات أكثرهم) فهب أبناؤهم متحفزين لنصرته حتى خافت القوة الحاكمة وأذعن والي المدينة ، ورد الحق إلى صاحبه . ولقد بلغ من شرفه واقتعاده تلك المكاة في نفوس الناس أن استشرف خليفة عظيم كعبد الملك بن مروان ليعده الناس ممن دخل فيه ، فلما لم يظفر بذلك نددت منه حسرة غير خفية .

* * *

كان يهبط مكة من همل الأعراب وسدأجهم ، وضعفاء المتكسبين وأرباب السلع أخلاط كثيرة ، وهم لا ناصر لهم بحميم ولا منعة فيهم ، يؤمون أسواق مكة موقنين بأن أمن الحرم يسعهم جميعاً . فلم يكونوا يتوقعون أن أحداً تحدثه نفسه بتكدير صفائه . لكن الواقع انكشف عن أنه لم تكن مكة لتخلو من أناس ، بطرين ، يستهينون بالضعيف ولا يعفون عن هضمه وسلبه . وكان يحدث حينئذ ما يحدث دائماً في كل زمان ، من استغلال السذاجة في هؤلاء الغرباء : تارة بغبنهم في الثمن وتارة بمطلمهم بالديون وآونة بغشهم وأخرى بالاستهتار بهم . وكانت تشر هذه الحوادث حتى تصل إلى أسماع أشراف مكة فينكرونها في أنفسهم . إلا أنها - في الظاهر - تعددت حتى لم يعد يصح السكوت عليها ، وحتى خشي على البلد أن يفشوا له ذكر سيء

فسعى الأشراف بعضهم إلى بعض وعقدوا الحلف وأكدوه ونصبوا أنفسهم لحمايته .

أما السبب المباشر لعقد هذه الحلف فما ذكره^(١) من أن رجلاً من زيد من أهل اليمن باع سلعة من العاص بن وائل السهمي (وهو قرشي) فظلمه بالثمن فأوفى على جبل أبي قبيس رافعاً عقيرته وقريش في أنديتها ، فذكر ظلامته في شعر له وهو :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لمن يقض عمرته يا لرجال وبين الحجج والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ولا حرام لثوب الفاجر الغدر^(٢)

فتداعت لذلك قریش واجتمعت إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى فدخلوا دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه وتعاهدوا بالله : ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه . فلا يجدون بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته . اهـ

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٥

(٢) رواية الجاحظ لهذا البيت في رسائله (جمع السندوبي ص ٧٢)

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

وزاد الجاحظ : « وفي التآسي في المعاش والتسام بالمال »^(١) وكان من أسرعهم تلبية له الزبير بن العوام^(٢).

شهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وهو قتي فلما أكرمه الله بالرسالة حمد أثره وكان به جذلان مغتبطاً حتى روي عنه قوله :

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » ، « لا يزيد الإسلام إلا شدة » .

وكان هذا الحلف منصرف قريش من حروب الفجار لعشرين سنة من عام الفيل فتكون سن رسول الله حينئذ عشرين سنة^(٣).

وذكروا في سبب تسميته حلف الفضول ، أنه أشبه حلفاً وقع لثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل . وأقرب من هذا

(١) المصدر السابق وانظر تفصيلاً عنه في الأغاني ١٦/٦٣ - ٦٨

(٢) ذكر الجاحظ أنه لما سمع أبيات الزبيدي حمي وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش بمنعون القوي من ظلم الضعيف ، والقاطن من عنف الغريب ثم قال :

حلفت لتعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار

نسبه الفضول إذا عقدنا يُعزّ به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

الصفحة السابقة وانظر : مروج الذهب ٢/١٦٨ هذا وفي الشعر صناعة .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٨٢

المذهب إلى الواقع ما ذكره صاحب القاموس من أن سبب تسميته بذلك لأنهم تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحداً إلا أخذوه له منه .

وهذا هو الصحيح لوضوحه وقربه ولأن ثمرة الحلف كله هي رد الفضول لأهلها .

ومن يتدبر الأسباب التي تكلفها الرواة فجعلوها كمقدمات لعقده ويمحصها يجد أن الداعي الأول له حرص قريش على سمعة بلدهم التجارية أن تسلم بين العرب فتزعزع قوتهم بقريش وبلدهم . وليس يظفر من كل تلك الأسباب المذكورة بالقبول إلا ما تقدم فإن الحوادث وحالة مكة وأمور قريش يومذاك تؤيده كل التأيد . ومن البعيد أن يعتقد مثل هذا الحلف من أجل ظلامة الزيدي هذا ، من غير أن تتكرر الحوادث المشابهة لها حتى تفاقم الأمر وألف رجال كثيرون إتيان المظالم .

عظمت قريش أمر حلف الفضول واهتمت به كل الاهتمام ولم ينقطع أمره بالإسلام بل ظل مستمراً أقوى ما كان قط وحسبك قول النبي ﷺ : « ولو أدعى به في الإسلام لأجبت . »

ثم كانت يدعو بهذا الحلف كل مظلوم : دافع أبي بن خلف الجمحي بارقياً عن ثمن سلعته فتظلم هذا قائلاً :

أياخذني في بطن مكة ظالماً أيُّ ولا قومي لدي ولا صحي
وتاديت قومي صارخاً لتجيبني وكم دون قومي من فياف ومن سهب
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بني جمع والحق يؤخذ بالغصب^(١)
فأخذ له بنو هاشم ثمن سلعته .

ورأى نبيه بن الحجاج (قتول) بنت التاجر الحثعمي وكانت
حسنة باهرة ، فكابر التاجر على ابنته حين رأى جمالها فتظلم الى ذوي
الحلف فانتزعوا ابنته من نبيه الذي قال في ذلك :

لاني والذي يحسب له شط إيا دوهلوا تهليلا
وخشيت الفضول حين أتوني قدأراني ولا أخاف الفضولا
لبراء مني قتيلة يا للناس هل يبتغون إلا القتولا^(٢)
وذكر الجاحظ أن بني هاشم وحلفاءهم انتزعوا الظلامات من
رجال كثيرين وأنه « لم يكن يظلم بمكة إلا رجال أقوياء ولهم العدد

(١) الأغاني ٦٧/١٦ ورسائل الجاحظ ص ٧٣

(٢) رسائل الجاحظ (جمع السندوبي) ص ٧٣ وذكر فيها قوله أيضاً :

حي البخيلة إذ نأت	منا على عداواتنا
لا بالفراق تنيلنا	شيثاً ولا بلقاتنا
حلت بمكة حلة	في مشيا ووطائنا
لولا الفضول وأنه	لا أمن من عداواتنا
لدنوت من أيماننا	ولطفت حول خباثنا

والعارضة (١)

ويحلو لي هنا أن أبين للقارىء امتداد هذا الحلف التجاري في حياة المسلمين وتمسكهم به ، فابن هشام يروي : أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كان والياً على المدينة ، ولأه عليها عمه معاوية . وكان بين الوليد والحسين بن علي منازعة في مال كان بينهما بذي المروة . وكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه يومئذ ، فقال الحسين : « أحلف بالله لتتصفتني من حقي أولاً خذني سيني ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لأدعون بحلف الفضول .. » وكان عبد الله بن الزبير حاضراً مجلسها هذا فغضب للحسين وقال يتهدد الوليد : وأنا أحلف بالله ، لئن دعا به لأخذن سيني ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً .

وبلغ هذا الخبر المسور بن مخرمة بن نوفل فقال مثل ما قال ابن الزبير ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ كل هذا الوليد بن عتبة خاف مغبتها وأنصف الحسين من حقه (٢)

فأنت ترى كيف كان القوم سراعاً إلى تنفيذ هذا الحلف وكيف

تهيؤوا لنصرته وللاستجابة لمن دعا به وهو أثر غير قليل . وأي معاهدة تمضي فتبقى لها مثل هذه القوة بعد أكثر من سبعين سنة من عقدها ! بل لقد تحمس لها الصحابة أشد التحمس وكان اندفاعهم لصياتها أقوى مما تقدم ، لقد تحفزوا للقيام بوجه خليفة ذي سلطات قاهر وكادت تكون فتنة لولا أن أذعن معاوية كما أذعن واليه ابن عتبة ، ومن الخير أن أقل لك صورة هذا الاندفاع لتعرف مدى بلوغها من قلوب القوم : جاء في شرح نهج البلاغة (٣ : ٤٦٤) ما يأتي :

« كان بين الحسين ومعاوية كلام في أرض للحسين ، فقال له الحسين : اختر مني واحدة من ثلاث خصال : إما أن تشتري مني حقي ، وإما أن ترده عليّ ، أو تجعل بيني وبينك ابن عمر وابن الزبير حكماً ، وإلا فالرابعة وهي الصيِّلم^(١) . قال معاوية : وما هي ؟ قال : « أهتف بحلف الفضول ... » ثم قام فخرج وهو مغضب ، فر بعبد الله بن الزبير فأخبره فقال عبد الله : والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدنّ ، أو قاعد لأقومنّ ، أو قائم لأمشينّ ، أو ماش لأسعينّ ، ثم لتفذنّ روحي مع روحك أو لينصفنك ... »

فبلغت معاوية فقال : « لا حاجة لنا بالصيِّلم . » ثم أرسل إليه :

« أن ابعث فانتقد مالك فقد ابتعنا منك . »

ومما لا شك فيه أن موقف غير ابن الزير لو استفحل الأمر سيكون مثل موقفه ، ومعاوية أدهى من أن يؤلب عليه من لم ينفض يده بعد من تألفهم ، ومن لا تزال السيوف التي حاربوه بها على عواتقهم ، لما ينقض على إغمارها كبير زمن وما هي بحاجة لتشر إلى كبير أمر ...

وقد عرض ابن الزير بحلف الفضول مرة أخرى يهدد معاوية ، فقد تحدثا عن الحسين بن علي فقال ابن الزير : « أما والله إني وإياه ليدّ عليك بحلف الفضول » فقال معاوية : « من أنت ! لا أعرض لك وحلف الفضول .. والله ما كنت فيها إلا كالرهينة تخن معنا وتردى هزلاً ^(١) . »

وانظر هذه الحسرة الخفية من يعسوب الأمويين عبد الملك بن مروان ، على أن أمية لم تدخل الحلف ، وتأمل كيف أراد بصورة غير مباشرة أحد سداة بني نوفل ، على أن يتملقه فيشهد له بدخول أمية ونوفل فيها ، وكيف لم يستطع هذا إلا أن يجهر له بالحق لقرب العهد بأصحاب الفضول ، ولأن الذين يعرفونها ويعرفون عاقدتها لم يموتوا بعد ، قال ابن هشام :

(١) الأغاني ١٧٣/٩ (طبعة دار الكتب)

« كان محمد بن جبير بن مطعم بن غدي بن نوفل بن عبد مناف
من أعلم قريش ، فدخل على عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير ،
 واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : « يا أبا سعيد :
 ألم تكن نحن وأنتم (يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن
 عبد مناف) في حلف الفضول ؟ » قال محمد : « أنت أعلم .. » قال
 عبد الملك : « لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك . » فقال :
 « لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه . » قال : « صدقت . »

* * *

كانت قريش إذا ذات مشاكل تجارية فقامت لها هذه الحلف
مقام المحاكم التجارية والقوة التنفيذية معاً ، فكان سلطانها مهيباً في
النفوس ، وكانت خير وازع لمن تحدّثه نفسه بظلم وإن تمتع بالسلطان ،
وكانت أحسن ضامن لحقوق الضعفاء ممن عدموا المنعة والنصير .

الباب الثالث

أسواق العرب

أ — في الجاهلية

ب — في الإسلام

أسواق العرب

أنشأ العرب — و مركزهم التجاري ما قدمنا — أسواقاً لهم يتبايعون فيها .

ولعل هذه الكلمة — كما ذكر ابن سيده — اشتقت من سوق الناس بضائعهم إليها ، ولا يستدعي وجودها في اللغات السامية أن تكون كلمة السوق العربية مأخوذة منها ، ففعل الواقع هو العكس . وليس من لزوم في هذا الاستقصاء المتكلف ما دامت هذه الأخوات من أم واحدة .

فمن هذه الأسواق ما كان يقتصر على ما يجاوره من القرى وما ينزل بساحه من القبائل كسوق هجر وحجر اليمامة والشحر وغيرها ، ومنها ما كان عاماً تفد إليه الناس من أطراف الجزيرة كلها كعكاظ . ولكل مدينة بطبيعة الحال أسواق وإنما المقصود هنا الأسواق الموسمية منها ، التي لها أيام معينة تقوم فيها ويؤمها الناس . فإذا كان لإحدى هذه الأسواق موقع جغرافي ذو بال ، كأن تكون على ساحل البحر

مثل سوق عدن وصنعاء وعمان .. كان شأنها ممتازاً من بقية الأسواق التي في قلب الجزيرة كحَجَر أو كحِضْرَمُوت ، لشيوع الاتجار فيها مع الجيران من هند وحبشة وفارس في الأولى ، واقتصار الثانية على القبائل المتاخمة لها .

فتتميز الأسواق التي على فُرْض البحر بوجود النزال الأجانب وتأثر أصحابها باختلاطهم بهؤلاء وما يستتبع ذلك من تغيير في العادات والرقى والصبغة ، فليس من المعقول أن تكون أحوال سوق صنعاء مثلاً مشابهة كل المشابهة الأحوال التي لسوق هجر ، أو التي لسوق الجند^(١) القديمة باليمن ، أو سوق الجُرَيْب وهي خاصة باليمن أيضاً ، يتسوقها في موعدها عشرة آلاف^(٢) أو سوق وادي القرى أو سوق (قُرْح)^(٣) الذي هلك فيه قوم عاد فيما يزعمون .

(١) الجند أول مدن اليمن التي على سميت نجدها ، وهي أعظم أقسام اليمن الإدارية الثلاثة على عهد الراشدين . اختارها معاذ بن جبل حين ولي اليمن لرسول الله ، واختط فيها مسجده . ونقل ياقوت أن الناس فيما بعد صاروا يحجرون إلى هذا المسجد ، ولها ماضٍ قديم جداً إليه أشار الشاعر بقوله :
الغدر أهلك عاداً في منازلها والبغي أفنى قروناً دارها الجند
ونص الهمداني في (كتابه صفه جزيرة العرب) على أنها من أسواق العرب القديمة . - انظر الإكليل ٥٧/١٠ وحواشيها .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ (٣) انظر (قرح) في معجم البلدان ولسان العرب

كان يلي أمر الناس والنظر في شئونهم التجارية في بعض هذه الأسواق أمراء يعشرون الناس كأ كيدر في دومة الجندل والمنذر بن ساوى في سوق حَجْر ، وهناك رؤساء يهبطون الأسواق لجمع الإتاوة وأشرف يتوافون بتلك السوق التي هي في الغالب تحت سيطرة أمير من الأمراء ، ليستوفوا نصيبهم من الربح الذي جعله لهم ذلك الأمير ... بل إن بعض الأسواق كانت تقع إلى سلطان دولة أجنبية كسوق المشقر الذي تحكم كسرى بأهله وتجارته ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الأسواق سوقاً فسوقاً .

أما عروض التجارة التي كانت تُحمل إلى الأسواق فأكثرها لا يتعدى التمر والزبيب والزيت والسمن والأدم والورس والغالية والبرود وبعض ضروب الحيوان كاللواشي والأنعام والخيل حتى القروء أحياناً .

وكانت هَجَرَ أشهر البلدان بتمرها ، وعُمان يحمل إليها الورس ويعالج فيها . وكانت لطائم النعمان تسير إلى عكاظ ، ولطائم كسرى إلى المشقر ، تأتي كل سنة فتباع ويشترى بأثمانها الأدم والتمر . وكان يقوم بحمايتها عرب الحيرة ما دامت في مناطق نفوذهم ، فإذا فصلت نحو عكاظ كان لا بد لها من حام منيع الجانب عزيز القبيلة ليحجزها على عامة

القبائل . وقد استفاد العرب من هذه الحماية فوائدها مادية جليلة .

تلك الأسواق في الجزيرة وما إليها كانت تلبية لضرورات محلية اقتضتها معيشة العرب وطبيعة توزيعهم في أراضيهم ، وليست شيئاً مجلوباً حاكوا به غيرهم كما يتكلف بعض المتعرضين لهذا البحث^(١) .

حملت هذه الحركة التجارية كثيراً من ألوان الترف إلى العرب وكان لا عهد لهم بمثلها ، فتغالى أشرافهم بالثياب والبرود والسلاح والطيب . بل إن الرواة يذكرون أن خمرأ حملت من بصرى وغزقمن بلاد الشام إلى سوق مجنة قرب مكة ، ويظهر أن العرب اعتادت استجادة الخمر والافتتان بشربها واستطابتها من معادنها المشهورة كالبلدين المذكورتين وأذرعات وأندرين وغيرها ، شاع ذلك في الرجال والنساء . وسيمر بك عند الكلام على عكاظ أن امرأة أرسلها زوجها إلى عكاظ بسمن ومعهما راحلتان فشربت الخمر بشمن السمن فاستطابتها ثم باعت راحلتها فشربت بثمنها ثم رهنّت ابن الرجل وشربت أيضاً^(٢) .

(١) قال أحداهم : « ومن غريب ما ورثه العرب عن الجورابين ونقلوه إلى شبه جزيرةهم أيضاً إقامة الأسواق والمجتمعات للعلم والتجارة والمنافرة فكانت أشبه بالجامع الطبية والمعارض العمرانية » - مجلة المجمع العلمي العربي ١٠٠/١
قلت : والظاهر العكس ، فإن الجورابين عرب نزحوا إلى العراق من شبه الجزيرة فعملوا معهم كثيراً من طرق معايشهم السابقة ومن نظمهم وأعرافهم .
(٢) وأبعد من هذا الخبر في الغرابة والطرافة ما رواه القاضي في أماليه (١٥٠: ٩) .

ونحن نعلم أن كثيراً من الشعراء والفتيان كانوا يتمدحون بالإتيان
على الخمر والتردد على أصحاب الخوانيت والجلوس إليهم ، واذكر إن
شئت أبيات عنزة :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

== قال : استوى أعرابي خمرأ بجزة صوف فغضبت عليه امرأته فأنشأ يقول :
غضبت عليّ لأن شربت بصوفٍ ولئن غضبت لأشربن بخروفٍ
ولئن غضبت لأشربن بنعجة دهاء مألثة الإقاء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة حكوماء ثامية للعظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بواحدي ولأجعلنّ الصبر منه حليفي
الدهاء : شعراء خفيفة الشرة إلى سواد . والسحوف : التي لها طبقتان
من الشمع . والكوماء : الناقة العظيمة السنام ، وثاقبة العظام : سميتها .
والصفوف : التي تصف رجلها عند الحلب . والسابع : الفرس .

فيذكر ابن الأنباري - في إحدى رواياته - أن امرأته أسفقت على
رحيدها وخففت من غلوائها وأباحته أن يتلف في الخمر ماشاء الأولدها ، قالت له :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة أو أن تلذ بلقحة وخروف
فاشرب بكل نقيصة أو تيتها وملصكتها من قالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنيّ فإنه من دونه شغب وجدع أنوف
انظر شرح شواهد المعنى ص ٢٠٧ (المطبعة البهية بمصر) وفي حاشية

الدسوقي على المعنى أن من الأبيات الأولى :

ولقد شربت الخمر في حانوتها صفراء صافية بأرض الريف
ولقد شهدت الخيل تفرع بالقنا فأجبت صوت الصارخ الملهوف

برجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم
فاذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم...^(١)
أو قول الأعشى : « وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني . الخ »
والظاهر أن حب الحمرة تغفل في نفوس عامة العرب وغمرت
بحوانيتها أسواقهم وعكفوا عليها حتى ما يستطيعون لها تركاً . وإن
الأعشى الشاعر هذا ، أراد أن يقصد النبي ﷺ بالمدينة فيسلم ،
وأشفق مشركو مكة من هذا السلاح أن ينضم للإسلام فصدوه عن
وجهه ذلك ، وكان أقوى عامل في رده ما أخبروه من أن الاسلام يحرم
الحمرة ، ولم يكن بالشاعر قدرة على تركها فصرفه ذلك عن قصده وقفل
راجعاً ، فأدركته المنية ولم يكتب له الايمان^(٢) . وخير ما نستدل به على
استفاضتها في أسواقهم وإدمانهم لها أن الأخباريين يعدون في الجاهلية

(١) الهواجر جمع هاجرة : وهي حر نصف النهار . والمشوف : الإناء المجلوة
والمعلم : ما عليه علامة . والأزهر : الأبيض ، ويعني به الأبريق . المقدم : ما عليه
القدم وهي المصفاة .

(٢) فكان الظرفاء من القتيان إذا أرادوا الشراب خرجوا إلى قبره وأدار
الساق عليهم الكأس وجعل قبر الأعشى أحد الشراب ، فكان إذا بلغه أراق الكأس عليه
يصبون الخمر على قبره إذ قال لما أخبره أبو سفيان بأن محمداً يحرم عليه الخمر :
« أرجع إلى اليمامة فأسبغ من الخمر » - انظر الاغانى ١٢٧/٩

كلها أشخاصاً لا يبلغون العشرين حرّموا على أنفسهم الخمر^(١) فتميزوا

(١) روى القالي في أماليه ، (١ : ٢٠٤) :

« حرّم رجال الخمر في الجاهلية تكرماً وصيانة لأنفسهم ، منهم عامر بن الظرب بن ... بن قيس بن عيلان وقال في ذلك :

سأله لفتى مالىس في يده ذهابة يعقول القوم والمال

أقسمت بالله أشقيها وأشربها حتى يفرّق ترب القبر أوصالي

مودة القوم أضغاناً بلا لمن مزية بالفتى دي النجدة الحالي

وحرّم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك :

لعمرك إن الخمر مادت شارباً لسالة مالي ومذهبة عقلي

وقاركتي من الضعاف قوام ومورثتي حرب الصديق بلا تيل

وحرّم صفوان بن أمية الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رأيت الخمر حالحة وفيها مذاقب تقصد الرجل الكريم

فلا والله أشربها حياتي ولا أشقي بها أبداً سقياً

وحرّم عفيف معد يكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال :

وقائلة هلم إلى التصابي فقلت عفت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد أواني بها في الدهر مشغوراً وهيناً

وحرمت الخمر عليّ حتى أكون بقمر ملحود دفيناً

وقال أيضاً :

فلا والله لا ألفى وشرباً أقازعهم شراباً ما حيت

أبي لي ذاك آباء كرام وأنحوال بعزّم ربيت

وحرّم سويد بن عدي الطائي ثم المعني الخمر وأدرك الإسلام فقال :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي

وحرمت الخمر وقد أواني بها مدكاً وإن كانت حراماً ، اهـ .

بهذا الوصف من سائر العرب ، ولم يمكن تمييزهم هذا من قيمة
لولا فشوها في قبائل العرب فشوا قوياً جعلها في حكم الضرورة التي
لا مندوحة عنها .

يفشى هذه الأسواق عامة العرب لما تقدم من أن شغل أكثرهم
التجارة ومن لم يتاجر قصدوا للكسب والشراء حتى صار غشيان السوق
والمشي فيها ، هما والاتجار ألفاظ مترادفة ، في البخاري :

« استأذن أبو موسى على عمر فلم يؤذن له فرجع ، ففرغ عمر
فقال : « ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ائذنوا له . » قيل : « قد

= التبل : الثأر . وقوله أقست بالله أسقيا : يريد لا أسقيا . وكذلك فلا
والله أشربها : أي لا أشربها . والمملوء : القبر .
والسدك : المولع بالشئ .

وزيد السيوطي على هؤلاء : عبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جبعان
وشيبة بن ربيعة وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة وعفيف بن معد يكرب
ويقال هو أول من حرمها وقيل : (أولهم عامر بن الظرب) ، وعباس بن
مرداس وأبو بكر وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف -
شرح شواهد معني اليب ص ٤٤

هذا وقد جاء في الاغانى [٢٣٢: ٨ دار الكتب] ما يأتي :
« مامات أحد من كهراء قريش في الجاهلية إلا ترك الحر استحياء مما فيها
من الدنس » .

وهذا نص في أن كهراء قريش في الجاهلية كانوا يشربونها جميعاً .

رجع . ، فدعاه فقال (أبو موسى) : « كنا نؤمر بذلك . » فقال عمر : « تأتيني على ذلك بالينة . » فانطلق (أبو موسى) إلى مجلس الأنصار فسألهم فشهد أبو سعيد الخدري ، فقال عمر : « أخني هذا علي من أمر رسول الله ﷺ ؟ ألهاني الصفق في الأسواق . » يعني الخروج إلى التجارة^(١)

وكان في جملة ما احتج به المشركون على رسول الله ﷺ قولهم : « ... فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك : سل ربك ... فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك عما نراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلمس المعاش كما تلمس ... الخ^(٢) » وحكى الله عنهم قولهم هذا فقال :

« وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ »^(٣) وقال في المرسلين : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ .. »^(٤) فكفى بالمشي في الأسواق عن التجارة ، ووصف ﷺ بأنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق^(٥) . ولأن العرب لا تحتشد شيء

(١) صحيح البخاري - طبع ليدن : كتاب البيوع : ٨ (٢) سيرة ابن هشام : ١ : ٢٦٩

(٣) سورة الفرقان ٧/٢٥ (٤) سورة الفرقان ٢٥/٢٠

(٥) البخاري كتاب البيوع (٢٢) . والسخاب : كثير اللفظ والجلبة .

احتشادها في هذه الاسواق ، كانت رسول الله ﷺ يقصدها أول دعوته ويعرض نفسه على القبائل في هذه المواسم .

كان أعظم ما يحدو العرب في الجاهلية على قصد تلك الاسواق ما قدمت لك من قيام كثير منها في الأشهر الحرم . ولشيوع الأمن حرمة للشهر ، ولأن مواسم بعض الاسواق كعكاظ ومجنة وذئ المجاز تقع في أيام حجبهم وهي أعمر أسواق العرب بمختلف القبائل يأتونها من كل أوب ومعهم خيرات بلادهم وتلك ميزة لا تتمتع بها بلدة غير مكة ولا قوم غير قريش ، وقد امتن الله عليهم بذلك فقال :

« أَوْ لَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ » . (١)

وقال : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » . (٢)

وافقت هذه المواسم زمن الحج^(٣) واختلط أمرها بشعائره (فني

(١) سورة القصص ٥٧/٢٨ (٢) سورة العنكبوت ٦٧/٢٩

(٣) ما زال الحج الموسم الأكبر للتجارة في الاقطار العربية الكبرى ، في أيامه تنشط الحركة التجارية ويكثر البيع والشراء وتستنفد الخزائن العربية بضائعها يستهلكها الحجاج الذين يقصدونها من القاصية أجناساً شتى ، فصينيون وأتراك وبخاريون وفرس وهنود وأفغان وقفقاسيون ومغاربة و... وتعظم

وعرة وعكاظ ومجنة وفوالحجاز مواعيدها مواسم الحج (فإذا انقضوا
من ذي الحجاز ترووا من الماء وتادي بعضهم بعضاً : « ترووا من الماء ،
لأنه لا ماء بكرة يومئذ ولا بالمزدلفة ، ولهذا سمي اليوم الثامن من ذي

= منهم الأرباح وتفيض على البلاد عامة سعائب خير وسعة من العام الى العام .
تستوي في ذلك جميع البلدان العربية ، فصر كالشام والعراق كالحجاز لوقوع
الاولى على طريق الحاج المغربي ولأن الشام والعراق طريق الحاج المشرقي .
ولا نسأل عن البعبوحة التي يرتع فيها أهل الحجاز في موسم الحج إذ تتقاطر عليه
كل تلك الامم ويربح أهلها في هذه الايام القلائل معاش سنتهم كلها .

بقي الامر على هذا حتى عهد قريب ، إذ انتقطع مجلول المحنة الكبرى ببلاد
العرب : فوزعت بين الفرنجة ، وانحجز الحجاج عن ورود هذه الاقطار لأن
الحاج المغربي أو المشرقي يمر على دول كثيرة قبل أن يصل الى الحجاز . فإت
كان معه فضل من مال استنزفته تلك الدول فلا يصل الى الحجاز إلا ببلغة
لا تكاد تكفيه وحده ؛ فيضطر المسكين الى أن يسلم أمره الى الشركات
الاجنبية التي نصبته دولها تمتص دم الحجاج وتسلبهم أموالهم وتذيقهم الموت
ألواناً . فعزمت بذلك بلادنا من موارد وأرزاق عدا ما خسرت من المنافع
الاجتماعية . فمات العراق كما مات الحجاز ومات الشام منذ نصب هذا المعين .
ثم عكف الاجنبي على ما بقي في البلاد من آثار خير يتمشها ويتعرفها حتى
جردت الارض وصوَّح النبت فماتت من قائم ولا حصيد :

أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد

كتبنا هذا في الطبعة الاولى سنة ١٩٣٦م أما الآن وقد انقضت خمس وعشرون سنة
وأجلى الله العدو عن بلاد الشام ومصر والأمل كبير في تحرر بقية الاقطار فحسب أن
يعود للبلاد العربية ازدهارها ورخاؤها ووحدتها ، فيضرب في أقطارها حجاج
جميع الامم والشعوب آمنين مطمئنين فيعود لها رونقها ونشاطها الاقتصادي .

الحجة يوم التروية . وكانوا في الجاهلية لا يتبايعون في منى ولا في عرفة ، يقتصون هذين المكانين بالحج الخالص ، لا يخلطونه ببيع ولا شراء ، فلما جاء الاسلام فكانهم تأثموا أن يتجروا في المواسم فأنزل الله تعالى قوله :

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ »^(١)
وزاد ابن عباس في قراءته « في مواسم الحج » والفضل هو الرزق والكسب والاتجار ، وكذلك كان يتلوها أبي تلاوة^(٢) .

* * *

والغريب أن هذه الاسواق ، كما يقصدها طالب الربح والشراء ،

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٨

(٢) انظر البخاري كتاب البيوع ٥ وكتاب الحج . ومعجم الطبراني الكبير المجلد الثالث وأخبار مكة للأزرقي ص ١٣٠ وتفسير الخازن . نقل في هذا التفسير عن أبي أمامة التيمي قال :

« كنت أكرى في هذا الوجه ، وكان الناس يقولون لي : « إنه ليس لك حج » ، فقلت ابن عمر فقلت له : « إني رجل أكرى في هذا الوجه وإن أنا ما يقولون لي ليس لك حج » ، فقال ابن عمر : « أليس نحرهم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار ... ؟ »

قلت : « بلى » قال : « فإن لك حجاً : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فسأله عن مثل الذي سألتني عنه فسكت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » الآية ، فأرسل اليه رسول الله ﷺ وقرأها عليه وقال : « لك حج . » اهـ .

يقصدها طالب الامن والفداء ، فكم أوى اليها من خائف يطلب من
يخبره فيجده ويلجأ إليه ويأمن ، وكم من رجل حمل معه فداء أسيره
فنهك من أسره . وكم من سادات تحملوا ديات ودماء فكانوا سبب الصلح
بين قبيلين كبيرين ، بل إننا نسمع فيها متادين ينادون ذوي الحاجات
لتقضي حاجاتهم ، كما نرى فيها أمراء ورسل ملوك يقصدونها لأخذ مالهم
على بعض القبائل من إتاوات وغرامات كل سنة فهو عدهم بها أيام المواسم .
وإذ أن أكثر هذه الاسواق حولية تقوم أياماً معلومات في كل
عام ، كان من المعقول أن تكون ميداناً لغير البيع والشراء ، كان فيها
تناشداً أشعار ، وكان فيها تفاخر وتكاثر ، وتنافر ومقارعة ومعاظمة .
فيفوز في هذا أقوام ويخسر آخرون ، وتحتفل العرب لها بالاحتفال
اللائق بها . وكان لهم حكام معلومون يفضون المشاكل بين القبائل^(١) ،
ولهم محكمون يحتكم إليهم الناس في مفاخراتهم وأشعارهم ، كما لهم في
هذه الاسواق خطباء .

(١) قال الفيروزبادي : « حكام العرب في الجاهلية : أكرم بن صيفي
وحاجب بن زرارة والاقرع بن حابس وربيعه بن مخاشن وضمرة بن ضمرة لتيم
وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلمة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصي
ابن وائل والعلاء بن حارثة لقريش ، وربيعه بن حذار لأسد ، ويعمر الشداخ
وصفوان بن أمية وسلي بن نوفل لكنانة . اه انظر في القاموس وشرحه مادة
(حكم) .

يفشى الناس الاسواق إنأ لمآرب شتى ، وغايات متباينة ، فمن طالب قاتل أبيه يريد ليعرفه حتى يتربص به السوء فيا بعد ، ومن متمسك بحماية شريف من عدوآله ، ومن باغ زوجاً ، أو مستطيل بعز ومنعة ، أو جالس ليأتيه أتباعه يأتاوة ، ومن عارض سلب قتل لبيعه فيظفر به أهل القتل ، ومن فرسان يتقنعون ، بعضهم حذراً من غدر أهل النارات ، وآخرون يردون مقنعين خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء الجمالهم^(١) ، ومن بغايا ضرب عليهن القباب ، وشبان يتعرضون للمبرقات من النساء إلى آخر ما هناك مما سيمر بك مفصلاً وخاصة عند الكلام على عكاظ .

ولا يقل شأناً عن النشاط التجاري في أسواقنا تلك ، أثر هذا الاختلاط في اللغة والدين والعادات ، فإن قيام قریش عليها الاعوام الطويلة قبل البعثة ، مكنها من أن تتبوأ في اللغة المكان الاعلى ، لأن لغات القبائل عامة يمينها وعمانيها وشاميها وعراقيها ونجديها وتهاميها . تطرق مسامعها على الدوام فتختار منها ما يحسن ، وتتنى ما يقبح . وقامت على هذا الاصطفاء زمناً كافياً حتى خلصت لها هذه اللغة الممتازة ،

(١) عد ابو الفرج الاصفهاني من هؤلاء : وضاح اليمن والمقنع الكندي وأباز بيد الطائي - الاغانى ٣١/٦ طبعة الساسي .

وثبّيات لينزل بها القرآن الكريم على أفصح وجه وأبلغه وأتمه كمالاً
وسلاسة وجمالاً .

وكان الشعراء الذين ينظمون لينشدوا بعكاظ ، يتوخون اللغة
المجمع على فصاحتها ، والتي صار لها من النفوذ والشيوع ما للغات العامة
اليوم ، فكان لهجة قريش هي اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة كلها
حتى اليمن والحيرة وغسان^(١) .

أما العادات فما أمرها بالذي يحتاج إلى شرح وتبيين ، فإن كل
اختلاط بين فريقين لا بد أن ينتهي بأثر في كل منهما ، فاليمني يقبس
شيئاً من أخلاق الحجازي ، والنجددي يحمل ألواناً من عادات العماني
أو الحيري ... وهلمّ جراً .

وكذلك قل في الدين ، بل إن أثر هذا الاختلاط في الدين أبلغ ،
لقيام الجميع بمناسك واحدة يؤمهم فيها قريش أهل الحرم^(٢) .

(١) لكن هناك أسواقاً على الحدود في شمال الجزيرة كانت مسارب لكثير
من الدخيل والمغرب ، ثم لفساد اللغة حول عهد الفتوح كسوق الابلّة وسوق
الانبار وسوق الحيرة .

(٢) ليست هذه الظاهرة (الجمع بين الاهداف الدينية والتجارية) قاصرة
على أهل الجزيرة ولا على زمن الجاهلية ، بل تكاد تكون سمة عامة في الحضرة
والبدو حتى هذه الايام : فازدهار القدس في أعياد الميلاد بالزوار والتجار ، ومواسم =

فأعظم آثار الأسواق قبل البعثة هو هذا التوحيد الذي جرى بين القبائل العربية من عامة الاقطار . وأريد أن أنه بصورة خاصة إلى التوحيد اللغوي ، الذي كان للشعراء والحكام فيه على مدى سنتين متطاولة أبلغ الأثر ، في انتقاء الالفاظ والأساليب وشيوعها بوساطة الرواة في القبائل ، وإذا شئت أن أختصر ذلك كله بكلمة واحدة قلت : إن نهضة الشعر مدينة للأسواق ، بل مدينة لعكاظ خاصة . عرف لها هذا الامر منذ الجاهلية حتى اليوم .

فلما كان الاسلام ضعف الشعر ، وانصرف العرب إلى الفتوح ، واشتغلوا بالقرآن والسنة وفهم أحكام الشريعة ، فضول أمر عكاظ وخمل ذكرها ، وانقضى عصر الفتوح وليس لعكاظ عشر شأنها

= العباداة والتجارة معاً في الحجاز أيام الحج أشهر من أن يحصى . بل قرأت عن أسواق (غواتيالا) الآن بما يشبه ما كان يجري في أسواق العرب في الجاهلية . فقد جعل يوم الاحد فيها هو يوم السوق ويؤمها المنود في ذلك اليوم من الجهات المجاورة حتى مسافة خمسين ميلاً من أجل التجارة والعبادة في وقت واحد ، ويقول المشاهد « إن يوماً واحداً تقضيه في هذا المكان حيث تلتقي التجارة والعبادة في صعيد واحد سيكسبك إحساساً وفهماً للتاريخ البشري أكثر مما تجنيه من مطالعة مئة مجلد في علم حياة الانسان » . من مقال (تقرير عن الفردوس) فيه وصف مسهب لأسواق غواتيالا نشرته مجلة المختار (الترجمة العربية ، عدد ديسمبر ١٩٤٤)

الاول ... حتى إذا أنشئ المربد استمر أمر عكاظ على التناقص ،
وأخذ مربد البصرة يحل مكانها ويتم رسالتها في الادب والشعر ؛ بل
زاد عليها بما استجد الاسلام وحالة العرب الاجتماعية المتحضرة ، من
صنوف في الادب وألوان في المعاش والاجتماع .

وأصبح المربد مرتاداً لعلوم الأدب والنحو واللغة والأخبار
والنوادير ... يأخذون عن أعرابه الذين لم تخالطهم لوثة العجمة ،
ما يجعلون منه مادة علمهم وينبوع ثقافتهم .

ولما رسخت قدم المسلمين في المدينة ، وتمت لهم المدن الكبرى
والعواصم العظيمة المتناهية في الحضارة ؛ أفل نجم هذه الاسواق إذ لم
يعد لها من داع . وكانت لم تزل قائمة في الاسلام وعاشت ما يزيد على
مئتي سنة . فعكاظ التي أنشئت قبل الهجرة بأكثر من سبعين عاماً .
أهملت سنة ١٢٩ للهجرة ، وآخر ما انقرض من الاسواق سوق حباشة
تركت عام ١٩٧ للهجرة .

وقد آن لنا بعد هذه المقدمة أن نعرض لك معلومات عن أشهر
الاسواق في الجاهلية والاسلام ، متوسعين ما أمكننا التوسع ، في
الكلام على عكاظ في الجاهلية وعلى المربد في الاسلام ، إذ هما أعظم
سوقين قامتا للعرب . في الاولى ترى أحوال الجاهلية من عامة نواحيها

في بيعها وشرائها ودينها واجتماعها وسياستها وحربها وسلمها ، وفخرها وأدبها ولغتها وشعرها وعاداتها . وقد حرصت على أن أحافظ على عبارة كبار المؤلفين الذين استقيت هذه المعلومات من كتبهم كالأصفهاني والطبري وابن عبد ربه وابن سعد وابن هشام ... إلا ما رأيت أن الحاجة تضطرني فيه إلى شيء من التعديل يسير ، وفي الثانية ترى كذلك أحوال العرب في الاسلام بالتفصيل المتقدم . واعلم أن حوادث المربد التي سأعرضها عليك يختلف زمن وقوعها بين سنة ست وثلاثين للهجرة وأواخر القرن الثاني الهجري .

لسنا نجد اتفاقاً بين قدامى المؤلفين في عدد هذه الاسواق ولا في تحديد أزمنتها ، فيينا نرى القلقشندي (في صبح الأعشى) يعدها ثمانية (١ / ٤١٠) نرى اليعقوبي في تاريخه (١ / ٣١٣ ، ٣١٤) والبغدادى في خزانته (٤ / ٣٦٠ السلفية) يعدانها عشراً ، ثم يختلفان عليها فيذكر كل منها بعضاً ويترك بعضاً . وجعلها التوحيدى في (الإمتاع والمؤانسة ١ / ٨٥) إحدى عشرة ، بينا نراها عند المرزوقي تبلغ سبع عشرة سوقاً (الازمنة والامكنة) . ثم يأتي اللوسي فيذكر منها في بلوغ الأرب أربع عشرة .

وأقدم المؤلفين وهو محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٦٨ هـ صاحب

كتاب (المحبر) عدّ منها اثنتي عشرة^(١).

أما الحمداني فنحن معه في حيرة لأنه يقول في كتابه صفة جزيرة العرب (ص ١٧٩) : « أسواق العرب القديمة وقد ذكرناها : عدن ، مكة ، الجند ، نجران ، ذو المجاز ، عكاظ ، بدر ، مجنة ، منى ، حجر اليمامة ، هجر البحرين ، الروض ، روضة دغمي ، روضة الاجداد ... الخ ثم يسرد أعلاماً تبلغ الخمسين .

فطالعت الكتاب المطبوع كله فلم أجده للأسواق التي قال إنه ذكرها - ذكراً أبداً .

ولما رجعت إلى ياقوت في كثير من هذه الاعلام لم أجدها ذكراً البتة . فأيقنت في نفسي أن في هذه الطبعة تشويشاً فإن عدّه الاسواق ينتهي في السطر الثاني عند قوله (هجر البحرين) ثم يستأنف كلاماً

(١) نشر هذا الكتاب بعد صدور طبعتنا الاولى بسنوات وكان الفضل في اطلاعي على فصل أسواق العرب من كتابه المحبر حين صدور الطبعة الاولى من كتابنا هذا ، ولصديقي المستشرق المرحوم (كرنكو) إذ ارسل الي الفصل مصوراً سنة ١٩٣٧ م فقد مني ثم ارسله اليّ بخطه بعد أن نشره بمطبعة حيدر آباد سنة سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م . ولم يبعد صديقي حين كتب اليّ يقول : « إن أصل هذه الأخبار (يعني أخبار أسواق العرب) كلها باب في كتاب المحبر لمحمد بن حبيب في النسخة الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني » و « لاشك بأن المرزوقي مرق عباراته منه فزاد أشياء غير مهمة . »

جديداً عن الرياض بادئاً بروضة دعي ثم ينتقل خلاله إلى المياه ،
وجميع هذه في الكتاب المطبوع ذكرت تحت عنوان (أسواق العرب) ،
وكان على الناشر (المستشرق الاوروي) أن يتنبه إلى تغير البحث
فيفرد كل بحث تحت عنوان خاص ولا يحشرها جميعاً في جريدة الاسواق .
وسندكر لك في هذا الكتاب الاسواق المهمة التي ترحل إليها
العرب حاذفين منها مالا خطر له وقد بلغنا بها العشرين سوقاً .

نستطيع أن قسم هذه الاسواق أقساماً ثلاثة :

١ - أسواق خاضعة لنفوذ أجنبي تدار بنظم خاصة وتتضاءل فيها
الصيغة العربية كما نرى في الحيرة وهجر البحرين وعمان وغيرها من
المواطن التي تدين عليها السيطرة الفارسية ، وكما نرى في بصرى وأذرعات
وغزة وأيلة وغيرها مما يدار بالادارة الرومانية . والذي ينظر في هذه
الاسواق عمال عرب يعينهم ولاية الفرس وولاية الرومان وهؤلاء العمال
الذين يتولون السوق هم الذين إليهم أعشار أهلها .

٢ - أسواق أنشأها العرب أنفسهم بحكم الحاجة فصارت مع الزمن
تمثلهم أصدق تمثيل في عاداتهم في البيع والشراء والخصام والدين
والزواج والحقوق ... ولا يشرف عليها إلا سراة أهلها . وهي مرآة
العرب في الجاهلية وبها نستطيع أن نعرف ما كان عليه العرب تقريباً في

معاملتهم وعلاقتهم بعضهم ببعض : وهي في أماكن لا أثر للنفوذ الاجنبي عليها ، وتمثل لهذا القسم بعكاز . ولا عاشر في هذا القسم فهو منطقة حرة ، والعرب يتبايعون فيه ببيع خاصة بهم .

٣ - أسواق ذات صبغة مختلطة نظراً لموقعها الجغرافي وهي التي تكون على البحر كعدن وصحار ودبي .. وفي هذه يجتمع تجار الحبشة والهند والصين وفارس ويضول فيها الطابع القومي بمقدار ما يقوى شأنها التجاري .

ومن الواجب أن ننبه هنا إلى أن أسواقاً كثيرة كانت ولم يذكروها المؤلفون لأنهم اقتصروا على الاسواق الموسمية التي تكون من العام إلى قابل والتي تقصد من بعيد ، إذ من البديهي أن كل بلدة لها سوق ولها متاع او محصول تختص به ، ومن القريب جداً أن يكون لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية^(١) تقوم في وقت معين ، فكثيراً ما نجد حول كل ماء سوقاً صغيرة يقيمها الضاربون حوله كما نجد مثل

(١) مثل (بدر) حيث وقعت غزوة بدر الكبرى ، فبدر هذه موسم من مواسم العرب المحلية تقوم السوق قرب ماء هناك . ونحن نجد في كتب السيرة أن أبا سفيان واعد المسلمين عقب غزوة أحد أن يوافيهم ببدر من العام المقبل ، فلما كان الموعد حضر المسلمون ونكل المشركون وبقي الرسول ينتظرهم ثمانية أيام ، فأقام المسلمون موسماً تجارياً ببدر وربحوا ثم عادوا إلى المدينة فرحين بانتصارهم إذ خافهم عدوهم فلم يحضر ، وبربح تجارتهم فأصبحوا غانمين مهيين .

ذلك في المحطات الصغرى التي تكون بين البلد والبلد وكما نجد أيضاً في كل مكان يسميه العرب روضة .

ولأنما عني العلماء بالأسواق الكبرى العامة ولم يأبهوا لتلك الأسواق الضئيلة بل إنهم أهملوا أسواقاً كبرى تكون في المدن لأنها لا يرحل إليها إلا القليل منهم من صاحب حاجة أو غرض خاص . فنجدهم أغفلوا مثلاً ذكر (دارين) وهي فرضة بالبحرين بها سوق يحمل المسك من الهند إليها . واشتهرت هذه شهرة فائقة بتجارة العطر حتى صار معنى الداري (نسبة إلى دارين) هو العطار نفسه ، وحتى جاء في الحديث : « مثل المجلس الصالح مثل الداري ، إن لم يحذك (يُعْطِكَ) من عطره علقك من ريحه . » قالوا : « الداري العطار . » وقال الشاعر :

فلما اجتمعنا في العلامي يئتنا ذكي أتى من أهل دارين تاجره
وهناك أمتعة اشتهرت بتجويدها قرى مخصوصة كرُدَيْته وهي
قرية على شط البحر في المشرق تنسب إليها الرماح فيقال الردينيات
للرماح المصنوعة هناك كما يقال للرماح المصنوعة في الخط بالبحرين :
(الخطية) .

فلا شك أن مثل هذه الأماكن المشهورة يقصدها تجار هذا الصنف أو الراغبون فيه ، وتقوم له شبه أسواق دائمة إلا أنها غير عامة

وهي قاصرة على ضرب واحد فقط ، فلماذا لم يعبا بها المؤلفون .
ثم نجدهم أغفلوا مواضع مهمة تقوم فيها أسواق ربما لا تقل شأنًا
عن التي أفردوها بالذكر ، كالطائف وكأسواق العراق وكالسوق التي
يقيمها النبط في المدينة أحياناً . فإننا نعلم أن الطائف مدينة قديمة جاهلية
وهي « بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروفة » ولأهلها زراعة
وتجارة وغنى ، وربما قاربوا قریشاً في شأنها التجاري . أما العراق
فالظاهر أن للعرب فيها أسواقاً^(١) يرحلون اليها كما يرحلون الى التي في الشام
وخصوصاً الحيرة فإن شهرتها في تاريخ العرب وأدبهم تنم عن مكاتها
التجارية . ولقریش رحلات إلى سوق الحيرة وفيها تعلموا الكتابة
ومنها انتشرت في العرب . وصاحبها النعمان يجهز سنوياً لطائمه إلى
عكاظ وإلى اليمن . حتى إننا لنجد في بعض النصوص ما يدل على أن
ضرائب منظمة تستوفي في أسواق العراق مما يباع قال الشاعر :

(١) نرى في المصادر القديمة ذكراً لسوق بغداد أيام الفتح الاسلامي ، ولعل
المدينة أنشئت حيث تقام هذه السوق أو بالقرب منها ثم حملت اسم السوق
القديمة (بغداد) . فقد ذكر الطبري في حوادث سنة (٧٦) أن شيباً الخارجي
أقبل « حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم ، وذلك اليوم
يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون
أن يشتروا من السوق دواب وثياباً وأشياء ليس لهم منها بد . » ثم أخذهم نحو الكوفة ...
الخ - تلويح الطبري ٢٣٠/٧ ، ٢٣١ الطبعة الاولى بالمطبعة الحسينية .

أني كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
قال صاحب المخصص^(١) : « المكس انتقاص الثمن في البيعة
ومنه أخذت الماكسة لأنه يستنقصه . » وقيل : « المكس دراهم كانت
تؤخذ من بائع السلع في أسواق الجاهلية . ويقال للعشار صاحب
المكس . » اهـ

أهملوا كل هذا كما أهملوا أسواقاً ثانوية تقام في نجران وبدر ومني
وأمثالها كثير لما قدمنا من فقدان الصبغة العامة فيها .
وهذه جرائد بأسماء الأسواق وترتيبها عند كل من المؤلفين
الثمانية الذين أشرت اليهم آنفاً^(٢) وكلها تبدأ بسوق دومة الجندل في
ربيع الأول، مع ذكر مواعيدها إن كان لها مواعيت وذكر عاشرها الذي
يجي الضرائب فيها إن كان لها عاشر .

(١) ١٢ : ١٥٣

(٢) لابن الكلبي : كتاب أسواق العرب - انظر ص ٧٧ من كتابه

« الاصنام » طبع دار الكتب المصرية .

١ - المهجر : للمحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٦٨ هـ

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١ دومة الجندل ١ - ١٥ ربيع الاول [وتمتد الى آخره]	أكيد وأوقنافه الكلبي	
٢ المشقر جمادى الآخرة كله	بنو عبد الله بن زيد من تميم رهط المنذر بن ساوى	
٣ صُحار ١ - ٥ رجب	الجلندي بن المستكبر	
٤ دبي آخر رجب	» » »	
٥ الشحر ١٥ شعبان		
٦ عدن ١ - ١٠ رمة	الأبناء من الفرس	
٧ صنعاء ١٥ - ٣٠ رمضان	» » »	
٨ راية حضرموت ١٥ - ٣٠ ذي القعدة		
٩ عكاظ ١٥ - ٣٠ ذي القعدة		
١٠ ذو المجاز ١ - ٨ ذي الحجة		
١١ نطاة خير ١٠ - ٢٠ المحرم		
١٢ حجر اليامة ١٠ - ٢٠ المحرم		

٢ - البعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ

السوق	الزمن	الوالي او العاشر
١ دومة الجندل	ربيع الاول	غسان أو كلب
٢ المشقر	جمادى الاولى	تَيْم : ومط المنذرين ساوى
٣ صحار	١ رجب	
٤ دبي		الجلندى
٥ الشحر		مهرة
٦ عدن	١ رمضان	
٧ صنعاء	١٥ رمضان	الأبناء
٨ حضرموت		كنده
٩ عكاظ		
١٠ فوالمجاز		

٣- صفحہ جزیرۃ العرب : للہمدانی المتوفی سنۃ ٣٣٤ ھ

العاشر

الزمن

السوق

- ١ عدن
- ٢ مکہ
- ٣ الجند
- ٤ نجران
- ٥ ذوالمجاز
- ٦ عکاظ
- ٧ بدر
- ٨ مجنہ
- ٩ منی
- ١٠ حجر الیامہ
- ١١ ہجر البحرین

٤ - الامتاع والمؤانسة (٨٥/١) :

لأبي حيان التوحيدي المتوفى نحو سنة ٥٤٠٠

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
-------	-------	------------------

١ - دومة الجندل	ربيع الأول كله	أكيدر دومة [أو أحدر و ساء
-----------------	----------------	---------------------------

كلب حين يغلبون على السوق]

٢ - هجر (المشقر)	ربيع الآخر	المنذر بن ساوى
------------------	------------	----------------

٣ - دَبي (من قرى عمان)

٤ - صُحار (د)

٥ - أدم (قرب عدن)

والشحر (بين عدن وعمان)

٦ - عدن أبيين

٧ - راية حضرموت

٨ - صنعاء

٩ - عكاظ

١٠ - ذوالمجاز

(١) في الأصل : إدم ، وفسرها الناشران الفاضلان نقلًا عن صفة جزيرة

العرب بأنها فلاة قرب عدن ، ولعل ذلك تصحيف .

٥ - اوزمنة واول مسكنة : للمحرز وفي المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١ دومة الجندل	ربيع الأول أكيدر (وأحياناً) قنافة الكلابي	
٢ المشقر	٣٠-١ جمادى الآخرة بنو عبد الله بن زيد: رهط المنذر بن معاوية	
٣ صحار	١ رجب	الجلندى
٤ دبي	٣٠ رجب	«
٥ الشحر	١٥ شعبان	
٦ عدن	١-١٠ رمضان	الابناء
٧ صنعاء	١٥-٣٠	«
٨ حضرموت	١٥ ذي القعدة	
٩ عكاظ	١٥	«
١٠ ذوالمجاز	١-٨ ذي الحجة	
١١ مجنة		
١٢ نطاة خير		
١٣ حجر		
١٤ بصرى	بعد الحج	
١٥ دير أيوب	بعد سوق بصرى بـ ٣٠ - ٤٠ ليلة	
١٦ أذرعات		
١٧ الأسقي		

٦- صبح الودعنى : للقلقشنى المتوفى سنة ٥٨٢١هـ

السوق	الزمن	<u>الوالي أو العاشر</u>
١ دومة الجندل	ربيع الأول	أكيدر أو رؤساء كلب
٢ هجر	ربيع الآخر	المنذر بن ساوى
٣ عمان		
٤ آدم وقرى الشحر		
٥ عدن		
٦ حضرموت		
٧ صنعاء		
٨ عكاظ		

٧ - فزاة اردب : للبغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ
[نقلًا عن صاحب قبائل العرب]

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١ دومة الجندل	١ - ١٥ ربيع الأول	
٢ المشقر	١ جمادى الآخرة	
٣ صحار	١٠ - ١٥ رجب	
٤ الشحر	١٥ شعبان	
٥ صنعاء	١٥ رمضان	
٦ حضرموت	١٥ من ذي القعدة	
٧ عكاظ	١٥ - ٣٠	
٨ ذوالمجاز	١ - ٨ من ذي الحجة	
٩ نطاة خير		
١٠ حَجَر	١٠ - ٣٠ المحرم	

٨ - بلوغ العرب : لمؤنوسي المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١ دومة الجندل	ربيع الأول	
٢ هجر	ربيع الثاني	
٣ عمان	جمادى الأولى	
٤ المشقر	جمادى الثانية	
٥ حُباشة	رجب	
٦ صحار	١٠ - ١٥ رجب	
٧ الشحر	شعبان	
٨ عدن	١ - ١٥ رمضان	
٩ صنعاء	١٥ - ٣٠ »	
١٠ عكاظ	١ - ٢٠ من ذي القعدة	
١١ حضرموت	ذو القعدة	
١٢ مجنة	٢٠ - ٣٠ من ذي القعدة	
١٣ ذو المجاز	الأول من ذي الحجة	

فهذه ست وعشرون سوقاً ، فإذا حذفنا منها خمساً انفرديت بها الحمداني وهي : بدر والجند ومكة ومنى ونجران ، واثنين انفرديت بإحداهما المرزوقي وهي الأسقي والثانية شاركها فيها التوحيدي وهي سوق آدم ، وأضفنا لها سوقاً مهمة أغفلها كلهم وهي سوق الحيرة وأضفنا كذلك السوق التي أنشئت في الاسلام وهي المربد ، بقي لنا إحدى وعشرون سوقاً سنعرض لها جميعاً بما تقتضيه مكاتبتها . أما الاسواق الضئيلة الشأن فهي صورة مختصرة عما سنتحدث عنه ، وأما الخطيرة كمكة والمدينة فهي دائمية وليست بموسمية ، وفي ذكر الاسواق المتاخمة لها غنى عن التعرض لها .

هذا ولعل السبب في اختلافهم في تاريخ قيام الاسواق أن العرب لم يكونوا يلتزمون كل سنة يوماً معيناً لإقامة السوق ويوماً لتقويضها ، بل يتقدم هذا اليوم في بعض السنين ويتأخر في بعض وقد يهرع أقوام الى السوق قبيل مياعادها وقد يتخلف آخرون بعد انقضائها إذا لم تنته أعمالهم وقد تختلف العادة سنة عن سنة ، فمن هنا كان هذا التفاوت اليسير . ثم قد نص محمد بن حبيب صاحب المحبر وهو أقدم المؤلفين وأدقهم وأنا الى ارقامه أكثر اطمئناناً ، نص على ان سوقين تقومان في زمن واحد وهما سوق الراية بمضرموت وسوق عكاظ ، فيأخذ بعض العرب الى الأولى وبعض آخر الى الثانية ^(١) .

(١) انظر (المحر) ص ٢٦٧ (مطبعة حيد آباد الدكن سنة ١٩٤٢ م)

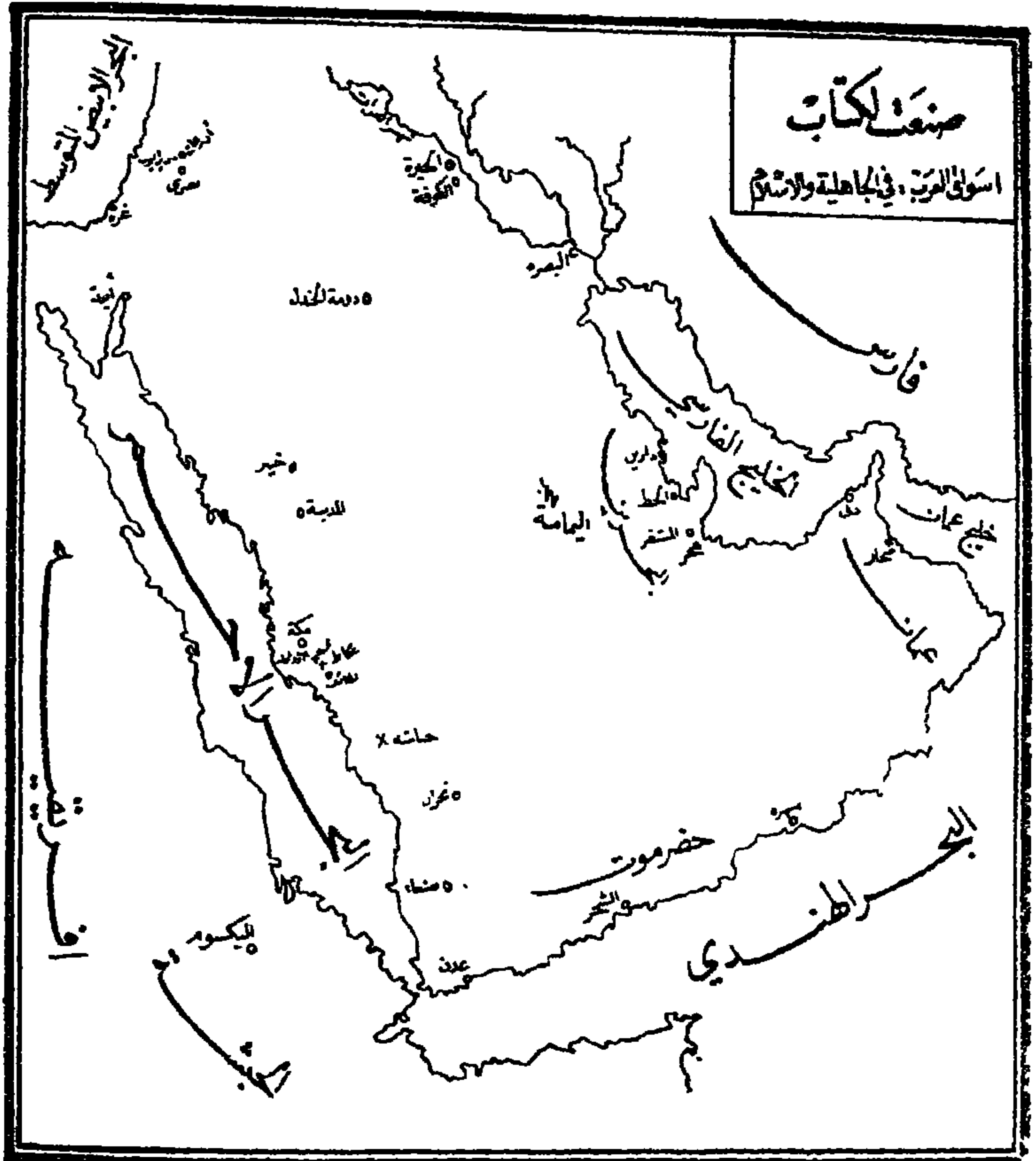
جدول عام لأسواق العرب عند المؤلفين الثمانية

الأسواق مرببة على حروف المجاء	(١) المهر محمد بن حبيب - ٢٦٨ ٢٦٧ - ٢٦٣	(٢) تاريخ اليعقوبي بعد ٢٩١ هـ ٣١٤ - ٣١٣ : ١	(٣) سنة جزيرة العرب الهداني - ٣٣٤ هـ ٣٣٤ - ٣٣٣	(٤) الامتناع والمؤالسة التوحيدي نحو ٤٠٠ ٨٥/١
الزمن	الزمن	الزمن	الزمن	الزمن
<ul style="list-style-type: none"> أدم ١ أذرعان ٢ الأسلي ٣ بدر ٤ بهرى ٥ الجند ٦ جاشة ٧ حجر البامة ٨ خرموت (الراية) ٩ ذي ١٠ دومة الجندل ١١ دير أيوب ١٢ ذو الحجاز ١٣ الشعر ١٤ سحار ١٥ مناء ١٦ عدن ١٧ عكاظ ١٨ عمان ١٩ بجدة ٢٠ المشعر ٢١ مكة ٢٢ منى ٢٣ نجران ٢٤ لطاة نخير ٢٥ هجر ٢٦ 	<ul style="list-style-type: none"> ١٢ ١٠ - ٣٠ الهرم ٨ ٣٠ - ١٥ ذي القعدة ٤ آخر رجب ١ ١٥ - ١ ربيع الأول ١٠ ٨ - ١ من ذي الحجة ٥ ١٥ شعبان ٣ ٥ - ١ رجب ٧ ٣٠ - ١٥ رمضان ٦ ١٠ - ١ رمضان ٩ ٣٠ - ١٥ ذي القعدة ٢ جادى الآخرة ١١ 	<ul style="list-style-type: none"> [ذكرت هنا: ربا] ١ ربيع الأول ١٠ ٣ ١ رجب ٧ ١٥ رمضان ٦ ١ رمضان ٩ ٢ جادى الأول ٢ ٩ ٤ ١١ 	<p>ملاحظة : الترتيب عند الهداني اتفقي لا بحسب الزمن</p> <ul style="list-style-type: none"> ٧ ٢ ١٠ ٥ ٤ ٨ ٦ ٩ ٨ ٢ ٩ ٤ ١١ 	<ul style="list-style-type: none"> ٧ ٣ ١ ربيع الأول ١٠ ٥ ٤ ٨ ٦ ٩ ٢ ربيع الآخر ١١

(٨) بلوغ الارث	(٧) خزاة الادب .	(٦) صبح الاعشى	(٥) الارمنة والامكنة
للألومي - ١٣٤٢ هـ	البغدادى - ١٠٩٣ هـ	القشندى - ٨٢١ هـ	للمروفي - ٤٢١ هـ
٢٧٠ - ٢٦٤ : ١	٣٦٢ - ٣٦ : ٤	٤١١ - ٤١ : ١	١٧٠ - ١٦١ : ٢
الزمن	الزمن	الزمن	الزمن
			١٦
			١٧
			١٥
٥ رجب			
١٥ - ١٠ - ٣٠ المحرم	١٠ - ١٠ - ٣٠ المحرم		١٣
١١ من ذي القعدة	٦ من ذي القعدة	٦	٨ ١٥ من ذي القعدة
			٤ ٣٠ رجب
١ ربيع الاول	١ ١٥ ربيع الاول	١ ربيع الاول	١ ربيع الاول
			١٤
١٣ ٨ - ١ من ذي الحجة	٨ ٨ - ١ من ذي الحجة		١٠ ٨ - ١ من ذي الحجة
٧ ١٥ شعبان	٤ ١٥ شعبان	٤	٥ ١٥ شعبان
٦ ١٥ - ١٠ رجب	٣ ١٥ - ١٠ رجب		٣ ١ رجب
٩ ٣٠ - ١٥ رمضان	٥ ١٥ شعبان		٧ ٣٠ - ١٥ رمضان
٨ شعبان - رمضان			٥ ١٠ - ١ رمضان
١٠ - ٢٠ من ذي القعدة	٧ ١٥ - ٣٠ من ذي القعدة	٨	٩ ١٥ من ذي القعدة
٣ ١٥ - ٣٠ شوال		٣	
٣ ١٥ - ٣٠ من ذي القعدة			١١
٤ ١ جادى الآخرة	٢ ١ جادى الآخرة		١٢ ١٠ - ١ ج ٢
١٤ بعد أيام الحج	٩	٢ ربيع الآخر	١٢
٢ ربيع الآخر			

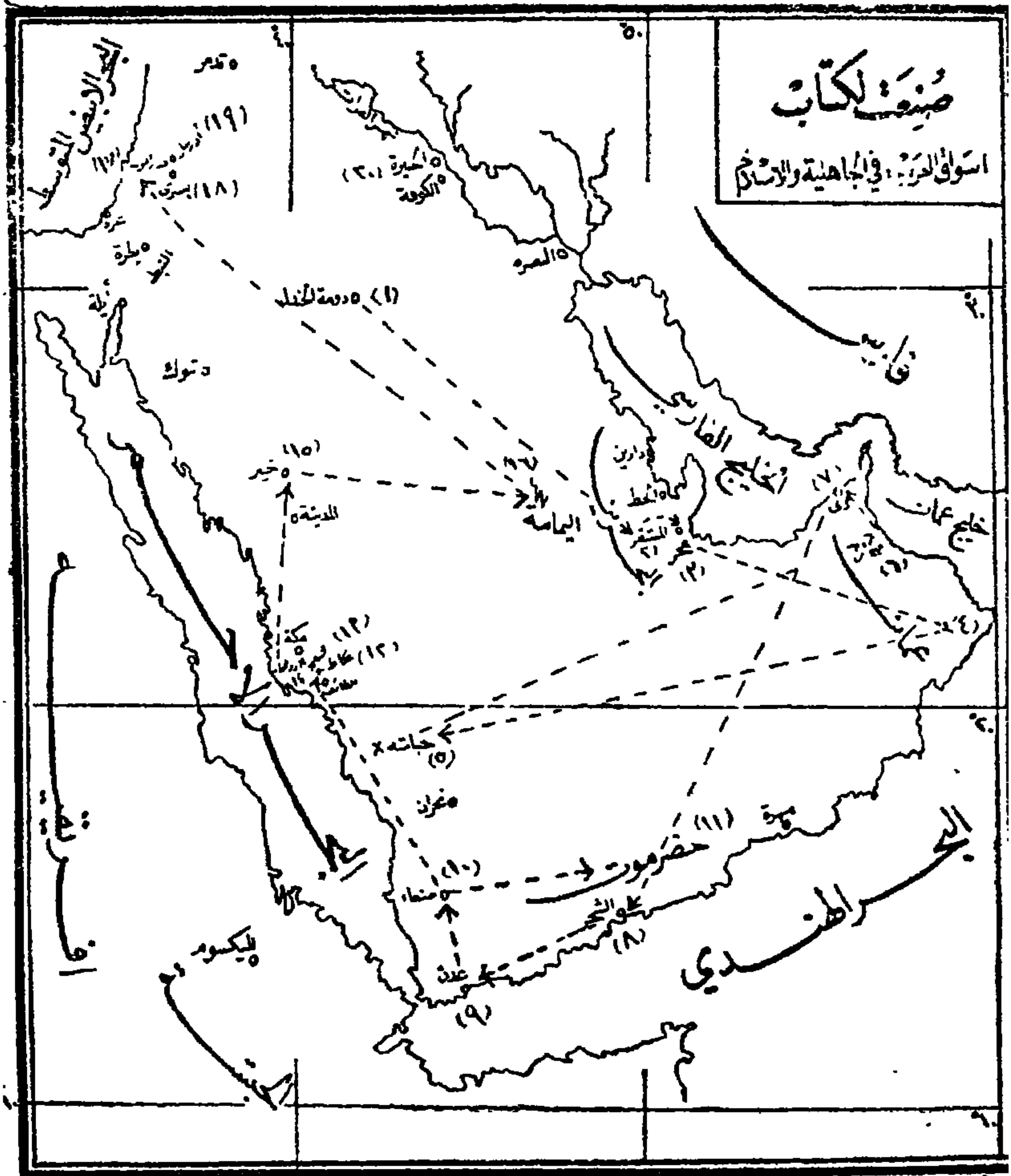
صنعت الكتاب

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام



صِنْفُ لِكَاتٍ

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام



الانتقال بين الأسواق بدلالة الأرقام والخطوط ابتداء من دومة الجندل

أسواق العرب

١ — في الجاهلية

سوق دومة الجندل

دُومة الجندل ويقال (دوماء الجندل) كلاهما بالضم^(١) ، بلديقع في نقطة متوسطة بين الشام والخليج الفارسي والمدينة ، على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريبا . بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة لعدم استقامة الطريق بينها . وهي في غائط من الارض طوله خمسة فراسخ وفيها حصن « مارد » المشهور ، والى غربها عين شج فتسقي مابه من النخل والزرع ، وكانت خربة . وروى ابن سعد قتلًا عن بعض أهل الحيرة في سبب بنائها : « أن أكيدر صاحبها وإخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم ، فإنهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا بعض حيطانها وكانت مبنية بالجندل ، فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره . سمى ها

(١) ونقل الفتح فيها صاحب النهاية ، وفي الصحاح أن أصعاب اللغة يضمون وأصعاب الحديث يفتحون . هذا ودومة الجندل هي التي تعرف اليوم - على ما نقل لنا - بـ (الجوف) .

دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة^(١) .

وقال ياقوت : « كان فيها قديماً حصن مارد ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل وقريب منها جبلاطي وكانت بهذا الحصن بنو كنانة من كلب » .

وكان أكيدر يبعث بمن يتعرض قوافل التجارة الزاهية بين المدينة والشام ويظلم من يمر بهم من الضافطة (الذين يجلبون الميرة والطعام) ثم قوي شرهم حتى شاع أن في عزمهم الدنو من المدينة وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، واستخلف على المدينة ، وخرج في ألف من المسلمين يسير الليل ويكن النهار ومعه دليل من بني عذرة حتى بلغوا دومة الجندل ، ففارقوا وألقي الرعب في قلوبهم ، وأخذ من نعمهم وشأته ورجع ولم يلق كيداً . والظاهر أن شرهم لم ينقطع عن تجار المدينة حتى اضطر الرسول إلى أن يرسل إليهم سرية عليها عبد الرحمن بن عوف ، وأوصاه حين دفع إليه اللواء بقوله : « خذه^(٢) يا بن عوف فاغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم . » وقال له : « إن استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم . »

سار عبد الرحمن حتى بلغ دومة الجندل فدعا أهلها إلى الاسلام
فأسلم رئيسهم الأصبح بن عمرو الكلبي وأسلم معه ناس كثير من قومه
وتزوج عبد الرحمن ابنته (تماضر) وبقي على الجزية هو ومن معه .
إلا أن أكيدر صاحب دومة وعاملها لهرقل بقي على تعرضه
للسابلة من تجار المدينة ، ولعل لمكانة سوق دومة الجندل وكثرة التجار
بها وعدم تعريج أحد من المدينة عليها دخلاً في هذا التعرض الذي
لا يبعد أن يكون للمنافسة التجارية أثر فيه غير قليل . وأراد الرسول
إقرار الأمن في تلك الربوع فدعا خالد بن الوليد وبعشه على رأس
سرية إلى أكيدر هذا ، فلما بلغ الركب ضاحية دومة الجندل وجدوا
صاحبها في نفر من قومه يتصيدون فأسروا أكيدر وقتلوا أخاه
ورجعوا إلى المدينة بأسيرهم ، فحقن له رسول الله ﷺ دمه وصالحه
على الجزية ثم خلى سبيله ورجع إلى بلده وقد كتب له رسول الله
ولأهل دومة هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله
لأكيدر ولأهل دومة الجندل : إن لنا الضاحية من الضحّل والبور
والمعامي وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ،
ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمر ، ولا تعدل سارحتكم ولا

تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين ^(١) .

وهذا الصلح تجاري بنتيجته لما ضمن من منافع للمسلمين ، كما هو تجاري بسببه أيضاً إذ لو لا تعرض أهل دومة لمن يجتاز بقربهم من التجار ما اضطر الرسول إلى إرسال سراياه لتأمين الطريق وتأديب أهل العيث والفساد .

وبقي القوم على صلحهم حتى كانت سنة اثني عشرة للهجرة ففتحتها

(١) انظر الواقدي وشرح المواهب للزرقاني ٣ : ٣٦١

الضاحية : البارز من أطراف الأرض . والضَّعَل : الماء القليل . والبَوَر : الأرض التي لم يؤخذ خراجها . والمعامي وأغفال الأرض : ما لا أثر لهم فيها من حمارة أو نحوها . والحلقة : الدروع والسلاح . والحافر : الحيل والبراذين والحير . والحصن : دومة الجندل . والضامنة : النخل الذي معهم في الحصن . والمعين : الظاهر من الماء الدائم . ولا تعدل سارحتكم : لا تتعنى مواشيكم عن الرعي ولا تحشر إلى المصدق (عامل الزكاة) والفاردة : ما لا نجب فيه الصدقة .

هذا وذهب الواقدي وغيره إلى أنه أسلم وأن أول الكتاب : ه من محمد رسول الله لا كيد رحين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكتافها : إن لنا الضاحية .. الخ)

وإسلامه لم يصح وقد افتر بهذه الرواية غير واحد وآخرهم صاحب (مجموعة

الوثائق السياسية) إذ أثبت رواية الواقدي الضعيفة ص ١٦٧

خالد عنوة في خلافة الصديق وظفر العرب بأكيدر خارج دومة
فأمر خالد بقتله^(١). وكان صاحب صلحهم أكيدر ذا شهرة في قبائل
العرب توازي شهرة حصنه دومة الجندل وشهرة حصن المشقر.
والعرب تنظر الى أصحاب الحصون نظرة إعظام وإعجاب بقوتهم،
ولما ذكر ليد فعل بنات الدهر لم يعظ قومه إلا بأصحاب الحصون
فكان أكيدر دومة هذا أحد من ضربهم مثلاً فقال :

وأعصفن بالدومي من رأس حصنه وأنزلن بالأسباب رب المشقر
يعني بالدومي أكيدر، وذكر دومة الجندل يشغل صفحات غير
قليلة من تاريخ المسلمين لأنه فيها التقى الحكمان عمرو بن العاص
وأبو موسى الأشعري وكان منها ما هو معروف.

* * *

تنزل قبائل العرب في الجاهلية هذه السوق في أول يوم من ربيع
الأول للبيع والشراء وكان يجمع فيها بيع الحصة (وقد تقدم في
الكلام على بيع الجاهلية).

ويجاور هذه السوق من قبائل العرب قبيلتا كلب وجديلة طيء.
وكانت كلب أكثر العرب قناً فكانوا يفتحون في هذه السوق حوانيت

(١) تاريخ الطبري ١ : ٢٠٦٥

من شَعَرٍ يجعلون فيها عبيدهم وإماءهم . وكانوا - على عادة بعض العرب - يكرهون فيها فتياتهم على البغاء ويأخذون لأنفسهم كسب أولئك البغايا من إماءهم . فلما كان الاسلام وحرّم الله هذه العادة القبيحة بقوله تعالى :

« وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ^(١) »
تنزه العرب عن هذه التجارة التي كانوا عليها في الجاهلية وتجاوز الله عما كان منهم قبل الاسلام .

يشرف على هذا الموسم أمراء من العرب وكان رؤساء السوق غالباً إما من كلب وإما من غسان ، أي الحيين غلب خضع له الآخر ، وكان مكس هذه السوق لمن يشرف عليها قال الألوسي :

« كان أكيدر صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم فتقوم سوقهم الى نصف الشهر . وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم ويتولى أمرهم يومئذ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر . »

فكان إذن بين أكيدر وقبيلة كلب تنافس شديد على الاستيلاء على هذه السوق ومكسها ، فأكيدر يتولى أمرها حيناً ويعشر من بها ،

والكلي حيناً يستأثر بالحكم فيها والاضطلاع بشؤونها . أما الغريب حقاً فهو ما ذكره المرزوقي من حل لهذا الخلاف والتطاحن بين الملكين وهو إن صح - وليس يعيد - يطلعنا على صورة طريفة من عقلية القوم وعاداتهم قال :

« وكان ملكها (يعني سوق دومة الجندل) بين أكيدر العبادي من السكون ، وبين قنافة الكلي . وكان غلبة الملكين بأن يتحاجيا !! فأيهما غلب صاحبه بما يلقي عليه تركه والسوق يفعل بها ما يشاء . ولم يبيع فيها أحد من الشام ولا أهل العراق إلا بإذنه ، ولم يشتري فيها ولم يبيع حتى يبيع الملك كل شيء يريد يبعه مع ما كان إليه من مكسها^(١) . »

فأنت ترى أن الأمر ذو خطر وفوائد كثيرة يستحق هذا التطاحن عليه .

يدور نشاط هذه السوق حتى منتصف ربيع الأول وتقص بمن يؤمها من أطراف الشام والعراق وسائر الجزيرة . وهي من الأسواق الكبرى للعرب حتى إنهم ليلقون في سيرهم إليها نصباً كبيراً لوعورة الطريق والتعرض للأخطار وفقدان الأمن ، ولا يحملهم على ذلك كله

(١) نقل المرزوقي هذا عن كتاب المجر لمحمد بن حبيب ص ٢٦٣ - ٢٦٤

ولم يعز إليه .

إلا ما تغريهم به هذه السوق من ربح وفائدة قال المرزوقي :
 كانت قريش تخرج إليها قاصداً من مكة ، فإن أخذت على الحزن
 لم تتخفر بأحد من العرب حتى ترجع ... وكانوا إذا خرجوا من
 الحزن أو على الحزن وردوا مياه كلب ، وكانت كلب حلفاء بني تميم ؛
 فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا في بني أسد حتى يخرجوا على طيء فتعطيهم
 وتدلمهم على ما أرادوا لأن طيئاً حلفاء بني أسد . فإذا أخذوا طريق
 العراق تخفروا ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز لهم
 ذلك ربيعة كلها ^(١) .

ثم تفر حركتها وتأخذ بالاضمحلال حتى آخر الشهر ، إذ يفرق
 أهلها وموعدهم إليها من قابل ، شهر ربيع الاول .

(١) الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١ والمجرب ص ٢٦٤ وفيه بعد قوله (حلفاء
 بني أسد) : وكانت مضر تقول : قضت عنا قريش مذمة ما أورثنا إسماعيل من
 الدين فإذا أخذوا الخ .. والمرزوقي اقتبس عبارة المجرب كما هو ظاهر .

سوق المشقر

المشقر حصن بالبحرين لعبد القيس وهو قريب من هجر . وأهله
أزد يمانون كما سيأتي في الكلام على سوق عمان ، جاء في مراصد الاطلاع:
« المشقر حصن بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم .
وهو على تل عال ، يقابل حصن بني سدوس ، ويقال إنه بناء سليمان ،
وقيل هو حصن بالبحرين لعبد القيس ، يلي حصناً آخر لهم يقال له
الصفاء قبل مدينة هجر ، والمسجد الجامع بالمشقر ، وبينهما نهر يجري
الى جانب مدينة محمد بن الغمر يقال له العين . ، فالظاهر من هذا
الكلام أن هذا الحصن وثيق البنيان ، ذو خطر ، حتى رفعوا نسبة
بنائه الى سليمان ، وحتى ضرب به المثل في المنعة والإحكام قال النخيل:

فلئن بنيت لي المشقر في صعب تقصردونه العصم^(١)

لَتُنْقَبَنَّ عني المنية إ ن الله ليس كعلمه علم

وشهرة الحصن مستفيضة على ألسنة العرب ذكره كثيرون منهم

(١) العَصْم جمع أعصم : وهو من الوعول ما في ذوائبه أو في أحدهما

بياض وساثره أسود أو أحمر .

فمن ذكره الأعشى القائل :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء فإننا وجدنا الخط جماً نخيلها

وذكره أبو ذؤيب الهذلي في مراثيته لبنيه فقال :

حتى كآني للحوادث مرهوبة بصفا المشقر كل يوم تُقرع

* * *

تقوم في المشقر سوق للعرب تبتدىء من أول جمادى الآخرة وتستمر الى سلخه فتتفض ويغادرها الناس الى جمادى من قابل ، وينزلها أخلاط من جميع أحياء العرب « وكانت أرضها معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها . » فلها صفات هجر وخصبها إذ هي جزء منها ، وقد علل المرزوقي اختلاف قبائل الناس في هذه النواحي بقوله :

« وكانت لا تقدمها لطيمة إلا تخلف منهم بها ناس ، فمن هناك صار بهجر من كل حي من العرب ومن غيرهم »^(١) .

وكان يبعثهم في هذه السوق بالملامسة والإيحاء والهمة خوف الحلف والكذب !! وقد مرّ بك تفسير هذه البيوع في محله .

كثير ذكر المشقر في كتب الأدب ، فكان امرؤ القيس الشاعر ينزله ، وفيه كانت وقعة من الوقائع المشهورة في أيام العرب : إذ حاصر

(١) الأزمدة والأمكنة ٢ : ١٦٣ .

كسرى بنى تمسيم فيه ، وأغلق عليهم بابه ، ثم قتل المقاتلة ، وسبى
النراوى بعد أن امتنعوا فيه مدة وذكر صاحب الاغانى ما يستدل
منه على ان كسرى كان له التفوذ على هذه السوق (شأنه في سوق هجر
وعمان) يقيمها متى شاء ويعطلها متى شاء قال :

« أمر كسرى بالطعام فادخر في المشقر ، وقد أصابت بنى سعد
سنة شديدة ، والطعام عنهم محبوس ، وكان المشير على كسرى بذلك
هولة ، وكان له عليهم تارات فقال لكسرى : « أيها الملك ! احبس
الميرة عنهم ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك
فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك . » ففعل
كسرى وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ثم سرح الى هولة
فأناه . . . الخ ^(١) .

يقصد هذه السوق العرب وأهل فارس على السواء ويجاررها

(١) ج ١٦ ص ٧٨ والأساورة جمع أسوار وهو : قائد الفرس والجيد الرمي
بالسهام ، والثابت على ظهر الفرس ، والخبر كما في الأغاني ، ١٦ / ٤٥
عن ابن الكلبي :

بعث كسرى إلى عامله باليمن بعير وكانت باذان على الجيش الذي بعثه
كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً ، فكانت تبذوق (تحفر) من المدائن
حتى تدفع إلى النعمان ويذرقها النعمان بنخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها =

من قبائل العرب تميم وعبد القيس . وليس لها ما غيرها من الأمن

= إلى هوزة بن علي الحنفي فيبذرها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى بني سعد وتجعل لهم جمالة فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال بأذان باليمن . فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوزة للأساورة : « انظروا الذي نجعلونه لبني تميم فأعطونيها فانا أكفيكم أمرهم وأسير فيها معكم حتى تبلغوا ما منكم » ، فخرج هوزة والأساورة والعير معهم من هجر ، حتى إذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوزة فأساروا اليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة وسلبوهم وأسروا هوزة بن علي فاشترى هوزة نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هجر فأخذوا منه فداءه ففي ذلك يقول شاعر بني سعد :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوزة مقرون اليدين إلى النحر
وردنا به نخل الياصرة عانياً عليه وثاق القد والحلق السر

فعمد هوزة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سلبوا فكسام وحملهم ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هوزة رجلاً جليلاً شجاعاً ليلاً فدخل عليه فقص أمر بني تميم وما صنعوا ... فقال كسرى لهوزة : « أرايت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أينك وبينهم صلح ؟ » قال هوزة : « ايها الملك : بيني وبينهم حياء الموت وهم قتلوا ابي . » فقال كسرى : « قد أدركت ثارك ، فكيف لي بهم ؟ » قال هوزة : « إن أرضهم لا تطيقها أساورتك وهم يتمتعون بها ، ولكن احبس عنهم الميرة فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها فتصيدهم عند ذلك خيلك . » وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة الياصرة وقد أصابت الناس سنة شديدة ثم قال : « من دخلها من العرب فأمروه ما شاء » ، فبلغ ذلك الناس . وكان اعظم من اتاها بنو سعد فنادى منادي الاساورة « لا يدخلها عربي بسلاح . » فأقسم بوابون على باب المشقر فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا : « ضع سلاحك وامتر

والحرمة ، وجميع من يقصدها لا يستغني عن خفارة يسير في حمايتها .
(وكان من يؤمها من التجار يتخفرون يقريش لأنها لا تؤتى إلا من بلاد
مضر)^(١) . وملوك هذه السوق الذين يعشرون الناس فيها أناس ، من بني
عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى من بني تميم يسيرون هنا سيرة
الملوك في دومة الجندل ، وهم خاضعون لملك فارس « يستعملهم عليها
كما يستعمل بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان »^(٢) ، ومن يوافي
هذه السوق من فارس خلق كثير :

ولا تعرض تجارة ولا يقوم بيع حتى تنفق تجارة الملك بتمامها كما
هو الشأن في سوق دومة الجندل ، ولا ريب أن ملوك هذه السوق
ترضخ إلى حكومة فارس مما يحصلون عليه بالنصيب الأوفى .

= واخرج من الباب الآخر ، فيذهب إلى رأس الأماورة فيقتله .

فيزعمون أن خير بن عبادة قال : « يا بني تميم ما بعد السلب إلا القتل
وأرى قوما يدخلون ولا يخرجون . » فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم
وقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسین عندهم . اهـ

(١) المحبر ص ٢٦٥ (٢) الصفحة السابقة والازمنة والامكنة ج ٢ ص ١٦٣

سوف هجر

يتناول اسم هجر أرض البحرين عامة ، وهي واليمن وعمان من
أخصب بلاد العرب وأكثرها رخاء ، وذكر ياقوت في معجمه أنها
قاعدة البحرين . موقع هذه البلدة في جنوب الخليج الفارسي ، وتكون
على اتصال دائم ببلاد الهند وفارس ، يجلب إليها مختلف الأصناف ،
ولأهلها أسباب آخر للمعاش غير التجارة ، كالغوص على اللؤلؤ ، وهم
لا يزالون على ذلك إلى اليوم كسائر سكان البحرين ، والنسبة إليها
هجري على القياس وهاجري على غير قياس قال دريد بن الصمة :
ورُبَّتْ غارة أوضعت فيها كسع الهاجري جريم تمر^(١)
وهجر مشهورة بكثرة وبائها حتى قال عمر بن الخطاب : « عجبت
لتاجر هجر وراكب البحر . » يريد أنها سواء في التعرض للخطر

(١) جرم النخلة قطعها ، والجريم التمر اليابس ، والنوى ورواية اللسان
« كسع الخزرجي » وقال : « معناه أي صببت على أعدائي كصب الخزرجي
جريم التمر وهو النوى » وهجر أيضاً قرية من قرى المدينة تنسب إليها القلال
الهجرية ، انظر اللسان والتاج وياقوت . وشرح شواهد المغني ص ٦٨ فقد نقل
هذا أن هجر بلدتان : هجر البحرين ذات التمر وهجر الحجاز ذات القلال .

وصارت ديار القرامطة فيما بعد ، وقد احتف بها قبائل كثيرة من مضر .
وهي أكثر بلاد العرب تموراً وأطيبها ، وأروج تجارتها التمر ،
به عرفت وبها اشتهر حتى ضرب به المثل فقالوا : « كبضع تمر إلى هجر »
كما قالوا : « كجالب الدر إلى البحر » قال أبو عبيد : « هذا من الأمثال
المتبذلة ، ومن قديها : وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه
مخطف . » ونخلها كثير ملف غاية في الجودة والطيب . قال الشاعر
يذكر إبلاً خرجت للميرة إلى هجر فرجعت بغير كف ولا طعام :

حُبِسْنَ بين رملة وقُفٍّ وبين نخل هجر الملف

ثُمَّ أَصْدَرْنَ بغير كف^(١)

وقد استفاض على ألسنة الناس ذكر تمرها والثناء على جودته
وطيبه ، وملئت كتب الأدب بالإشارة إليه ، فهذا رسول جميل إلى
بثينة يبلغها ما أرسل به فتحفه بتمر من تمر هجر^(٢) .

وذاك أعرابي حضر وليمة لعبد الملك بن مروان عجز الفصحاء
عن وصف ما حوت من الأطايب والألوان فقيل له : « هل رأيت

(١) ياقوت ، والقُفُّ ما ارتفع من الأرض وحجارة غاص بعضها ببعض
لاتخالطها سهولة وهو جبل إلا أنه غير طويل . والكف : بقلة الحقاء والنعمة .

(٢) الأغاني ٢ : ١٣٨ .

يا أعرابي طعاماً أطيب وأكثر من هذا ؟ ، فقال : « أما أكثر فلا وأما أطيب فتعم .. » وذكر طعاماً فيه تمر هجر^(١) .

(١) ذكر الخبر مفصلاً صاحب الاغانى ٧ / ٥٠ فقال :

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا فقال بعضهم : « ما أطيب هذا الطعام ، ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . » فقال أعرابي من ناحية القوم : « أما أكثر فلا وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه . » وطفقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأدنى منه ، فقل : « ما أنت بمحق فيما تقول إلا أنت تخبرني بما بين به صدقك » فقال : « نعم يا أمير المؤمنين :

بينما أنا بهجر في ترب أحر في أقصى حجر ، إذ توفي أبي وترك كلاً وعيلاً وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها كأن ثمرها أخفاف الرباع ، لم يترقط أغلظ ولا أصلب ولا أصفر نوى ولا أحلى حلاوة منها وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها تأوي الليل تحتها فكانت تثبت رجلها في أصلها وترفع يديها وتعطوبهها فلا تترك إلا النبذ والمتفرق فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أنني أرجع من ساعتي فكشفت يوماً وليلة لأراها حتى كان السحر فأقبلت فتبأت لها فرشتها فأصبنتها وأجهزت عليها ثم عمدت إلى سرتها فافتريتها ، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعتة إلى رصف ثم عمدت إلى زندي فقدمت وأضرمت النار في ذلك الحطب وألقيت سرتها فيه وأدركني نوم السبات فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى أو سواد أو رماد ثم قلبت مثل الملاءة للبيضاء ، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمصفى فسبغت لها أطيباً كنداعي عامر وغطفان ثم أقبلت أتناول الشعبة واللحمة فأضعها بين الترتين وأهوي إلى فمي ، فبما أحلف لاني ما أكلت طعاماً مثله قط . » فقال له عبد الملك لقد أكلت طعاماً طيباً النع .

وليس هذا التمر معروفاً عند الأدباء وحدهم ، بل إن ذكره
لا بأس مسألة نحوية مشهورة ، فما على الأرض نحوي إلا يعرف لهجر
تمرها ، فقد أتى خلف الأحمر ويحيى اليزيدي أبا المهدي : أعرانياً
فصيحاً حجة ، وكانت به عارض فوجداه يصلي فلما التفت قال :
« ما خطبكما ؟ » ، قالا : « كيف تقول : ليس الشراب إلا العسل . »
فقال : « فما يصنع سودان هجر ، ما لهم شراب غير هذا التمر ^(١) . »

(١) والقصة على التمام ذكرها أبو علي القالي في أماليه ٣ / ٣٩ قال :
حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن
عند أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو ، « ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ » قال :
« وما هو ؟ » قال : « بلغني عنك أنك تجيز : ليس الطيب إلا المسك » بالرفع
فقال أبو عمرو : « نعمت يا أبا عمرو وأدابع الناس ؛ ليس في الأرض حجازي إلا وهو
ينصب ، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ، » ثم قال أبو عمرو : (قم
يا يحيى بعني - اليزيدي - ، وأنت يا خلف - يعني الأحمر - فاذهبا إلى أبي المهدي
فإنه لا يرفع ، واذهبا إلى المنتجع ولقناه النصب فإنه لا ينصب . »
قال فذهبا فأتيا أبا المهدي فإذا هو يصلي ، وكان به عارض وإذا هو يقول
« لقد أخسأناه عني » ثم قضى صلاته والتفت إلينا وقال : ما خطبكما ؟ قلنا :
« جئناك نسألك عن شيء » ، قال : « هاتيا » ، فقلنا : « كيف تقول : ليس
الطيب إلا المسك ؟ » فقال : « أتأمراني بالكذب على كبرة سني ؟ فأين الجادي
وأين كذا ؟ وأين بُنته الإبل الصادرة ؟ » فقال له خلف : « ليس الشراب
إلا العسل » . فقال : « فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر ،
قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : « ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله =

ولهجر شأن آخر في آداب اللغة العربية غير هذا المثل المضروب
وتلك القاعدة النحوية : إذ في دِهاسها^(١) هلك المهلهل ، أول من هلهل
الشعر وأرق نسجه ، مات عطشاً في حمارة القيظ (الأغاني ٦ / ١٢٨)
ومن الغريب أن سبب موته هو خمر هجر هذه : وذلك أن عمرو بن مالك
ومهللاً التقيا في خيلين من غير مزاحفة في بعض الغارات بين بكر
وتغلب ، فانهزمت خيل مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق
به إلى قومه وهم في نواحي هجر ، فأحسن إيساره ، ومر عليه تاجر
يبيع الخمر ، قدم بها من هجر وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر ،
فأهدى إليه وهو أسير زق خمر ، فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده
بكرأ وشربوا عند مهلهل في بيته - وقد أقرده عمرو بيتاً يكون
فيه - فلما أخذ منهم الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح
به على كليب ، فسمع ذلك عمرو بن مالك وهاج تغنيه كامن الغيظ في

والعمل بها » فقال : « هذا كلام لا دخل فيه ، ليس ملاك الامر إلا طاعة الله
والعمل بها ، فقال اليزيدي : « ليس ملاك الامر إلا طاعة الله والعمل بها . »
فقال : « ليس هذا الحني ولا لحن قومي » . فكتبنا ما سمعناه منه ثم أتينا المنتجع
فأتينا رجلاً يعقل فقال له خلف : « ليس الطيب إلا المسك » فلقناه النصب
وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى إلا الرفع .

فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح ، فأخرج عيسى بن
عمر خاتمه من يده وقال : « ولك الخاتم ، بهذا والله فقت الناس » . هـ .

(١) الدهاس المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

تقسه فقال: «إنه لربان ، والله لا يشرب ماء حتى يرد ريب» (وريب هذا جمل كان لعمر و بن مالك ، وكان يتناول الدّ هاس من أجواف هجر فيرعى فيها غباً بعد عشر في حمارة القيظ) ، فأشفق إخوان عمرو من هذا القسم وخافوا أن يزيد الشر بين الحين إن هلك مهلهل ؛ فأسرعت ركبانهم وخرجت في طلب البعير ريب ، وهم حراس على ألا يقتل مهلهل ، فلم يقدرُوا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحرو عمرو يومئذ ناقة مسنة فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه . وهكذا ذهب مهلهل من جراء نشوة من خمـر هجر^(١) ، وكم أفقدت الخمر الناس رؤوسهم وسادتهم ، وكم كانت نذير الشر والشوم منذ الزمن الأقدم ، فلنذكر هجر وخمرها ، وهذه الميته الروائية كلما ذكرنا المهلهل وما رقق من شعر .

* * *

تهبط العرب هذه السوق ولعلها كانت أكثر مسكاته من دومة الجندل ، لأنها فرضة يجدون فيها من أصناف التجارات التي يأتيهم بها تجار الهند وفارس ما لا يجدون في تلك ، ولأن بها من التمر ما طبقت شهرته الآفاق ، وضرب في الجودة مثلاً في البلاد ؛ وليس ذلك بقليل .

(١) في الجزء الأول من مسالك الأبصار فصل عن حاثات هجر المشهورة فأرجع إليه .

وكان بها عدا ذلك ضروب من البضائع ، فعلى مقربة منها «الخط» المشهورة برماحها . وفي (رياض الصالحين ص ٤٤٩) أن سويد بن قيس قال : « جلبت أنا ومخزومة العبدى بزاً من هجر . فجاء النبي ﷺ فساومنا سراويل . » فأنت ترى أنه يجلب منها بز يباع في المدينة . وكان كسرى يرسل إلى سوق هجر من تجاراته : يرسل إليها لطائم فيها الطيب فيباع فيها ثم ترجع موقرة عروضاً وتمراً . وحدث مرة أن أغارت بنو تميم على اطيمة لكسرى فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فأرسل جيشاً أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذراري بمدينة هجر وسميت تلك الواقعة « يوم الصفقة^(١) » . ولعل نفوذ كسرى في هذه السوق كان غير ضئيل .

تقصد العرب هذه السوق بعدا نقضاضهم من سوق دومة الجندل ، فإذا أهل ربيع الآخر اتقلوا إليها فقامت سوقها . وينظر في أمرها المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم ، يتولى أمرها ويعشر الناس فيها ، وهو ملك البحرين عامة .

(١) انظر الخبر مفصلاً في العقد الفريد ٣ : ٣٥٤ .

سوق عمان

كورة عرية في جنوب الخليج الفارسي تمتد على سواحل بحر اليمن ،
وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع ، وهي شديدة الحرارة
حتى إن حرها يضرب به المثل .

وبها فواكه جرومية^(١) (كالموز والمان والتين ونحو ذلك)
ولعل نخيلها متميز من غيره ، فقد ذكروا ان بالبصرة نخلة يقال لها
(العمانية) لا يزال عليها السنة كلها طلع جديدو كبائس مشمرة وأخرى
مرطبة . قيل إنها سميت بعمان بن قحطان بن سبأ أخى عدن^(٢) وقيل من
(عمن يعمن) إذا أقام ، وقد اشتقوا منها فعلا فقالوا : أعمن وعمن إذا
أتى عمان ، قال العبدى :

فإن تُشهِمُوا أنجد خلافاً عليكم وإن تُعْمِنُوا مستحقي الحرأعرق
عدها الحمداني في (صفة جزيرة العرب ص ٤٨) من مخالف اليمن

(١) مسالك الممالك للاصطخري .

(٢) تاج العروس . وعمان كغيرها من أعلام الامكنة تصرف ولا تصرف
وبكائها ورد الشعر ، فمن أمثلتها غير مصروفة قول الشاعر :

أحب عمان من حبي سليمان وما عهدي بحب قرى عمان .

نزلها الأزد على قبائل يحمده و حدان و مالك و الحارث و عتيك و جديده
(ص ٢١١) ، و استشهد على قوله بشواهد من الشعر منها :
و أزد لها البحران و السيف^(١) كله و أرض عمان بعد أرض المشقر^(٢)
ومنها :

وغسان الذين هم استتبوا قبائلهم بأطراف البلاد^(٣)
وحيأ منهم نزلوا عماناً أراهم لم يهوا بارتداد
وغسان من الأزد كما هو معلوم ، و استشهد أيضاً بهذا الشاهد
وهو يريد الأزد طبعاً :

فأقرت قرارها بعمان فعان محل تلك الحماة^(٤)
و تضرب بها العرب المثل في بعدها لأنها في أقصى الجزيرة إلى
الشرق و الجنوب تفصلها عن اليمن صحراء الاحقاف و هي بعيدة
عن الحجاز و العراق و الشام .

ذكر ياقوت أن الحسن بن عادية قال : لقيت عبد الله بن عمر
فقال : « من أي بلد أنت ؟ » قلت : « من عمان » قال : « أفلا أحدثك
حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ؟ » قلت : « بلى » قال : « سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « اني لأعلم أرضاً من أرض العرب يقال لها

(١) سيف البحر : ساحله . (٢) ٢٠٦ (٣) ٢٠٧ (٤) ٢١٠

عمان على شاطئ البحر : الحجة منها أفضل من حجتين من غيرها ،
ومن المفسرين من ذهب إلى أن المقصود بقوله تعالى : « وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . » (١) عمان .

ولو عرف الشاعر أبعد منها لذكره محلها في قوله يهجو قوماً :
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعُمان أصبح جمعهم بعُمان
والظاهر أنها على بعدها لم تكن تخلو من أخلاط القبائل ومختلف
الأمم ، شأن كل فرصة تجارية ، فلم تقتصر على الأزدي الذين روينا لك
فيهم ما ذكره الهمداني ، لأنها أقرب بلاد العرب من الهند وليس بينها
وبين فارس إلا المضيق فكان فيها النزلاء الغرباء من هؤلاء ، عدا من
يقصدها من العرب للتجارة فيقيم فيها ، وقد ظلت تحت نفوذ الفرس
الفعلي ، وكان ملوك فارس هم الذين يولون عليها الأمراء فاستعملوا
بني المستكبر - على رواية المرزوقي - وقد تقدم أن لهم نفوذاً على
هجر ، وعلى المشقر كما سبق ، فتكون فارس قد بسطت سلطانها على
سواحل الخليج الفارسي كله وعلى سواحل بحر اليمن حين أرسلوا
الاحرار فطردوا الحبشة منها ، وبذلك يكون لهم نصف سواحل
جزيرة العرب ، وما زالت الفرض والشواطئ عرضة للأطماع ينزلها

كل قوي ، فكيف إذا كانت خصبة فيها الغني كعمان ، وقد جاء في الحديث : « من تعذر عليه الرزق فعليه بهمان . » فتجاراتهم كثيرة ومعاشهم وافرة ، وفيها ذخائر متنوعة ومعادن جيدة وخصب ورخاء فجمعوا بذلك أسباب الثروة والغنى فلم يكن من الغريب طمع فارس فيهم .

وقد استتبع مركز عمان هذا كثرة الأعاجم فيها واختلاط أهلها بهم ، حتى أدخل ذلك الضميم على لغتهم فلم يعرفوا في العرب بالفصاحة . ولما رأى أبو عمرو بن العلاء أعرابياً من عمان فصيحاً لم يكتف استغرابه من حسن وصفه لبلده وفصاحة منطقه ، حتى عرف أن الأعرابي بعيد عن مراكز الاختلاط تلك ، ذكر القالي (١٦/٣) عنه أنه قال :

لقيت أعرابياً بمكة ، فقلت له : « بمن أنت ؟ » ، قال : « أسدي . »
قلت : « ومن أيهم ؟ » ، قال : « نهدي . » ، قلت من أي البلاد ؟ قال :
« من عمان . » ، قلت : « فأني لك هذه الفصاحة ؟ » قال : « إنا سكنا
قطراً لا نسمع فيه ناجخة التيار . » ، قلت : « صف لي أرضك . » ، قال :
« سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صرّوح ، ورمل أصبع . »
قلت : « فما مالك ؟ » ، قال : « النخل . » ، قلت : « فأين أنت عن الإبل ؟ »

قال : « ان النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخصها وعاء وقرؤها إناء ^(١) . » وذكر صاحب مرصد الاطلاع ان أهلها خوارج أباضية .

* * *

تقصد العرب هذه السوق إذا انتهت من سوق هجر ، فترحل الى عمان وتقيم سوقها حتى آخر جمادى الأولى . وهي لتوسطها بين فارس والهند والحبشة ، تجتمع فيها بضائع هذه الممالك الثلاث وكانت جمالها تحمل (الورس) من اليمن الى عمان حيث تعالج الاشياء التي يراد صبغها بالصفرة .

وذكر الألوسي أن بأرضها معادن جيدة وذخائر متنوعة . وقد كان يستخرج بها عنبر مشهور ، احتفظت عمان بشهرتها به حتى أيام الرشيد فقد ذكر في الأغاني أنه « جاء العباس بن محمد الى الرشيد يوماً يرنية غالية فوضعها بين يديه ثم قال : « هذه يأمر المؤمنين غالية صنعتها لك يدي ، اختير عنبرها من بحر عمان ، ومسكها من

(١) تاجفة التيار : صوت الموج ، والسيف الافيع : الشاطئ الواسع ، والصحصع : الصعراء ، والصروح : الصلب ، الاصبع : الذي يعاو بياضه حمرة والرشاء : الحبل . والقر : وعاء من جذع النخل ينبذ فيه .

مفاوز التُّبَّتْ ، وبانها ^(١) من ثغرتهامة ، فالفضائل كلها مجموعة فيها . . . الخ ^(٢) ،

في هذه السوق يجري التبادل بين بضائع فارس والهند والحبشة واليمن والحجاز والشام ، يصب فيها كل تاجر قطر ، ما حمل من قطره ويرجع الى بلده بما يأخذه من عروض ليست فيه ، ولهذا كانت فيها جاليات من كل أمة وكل قبيلة .

(١) البان شجر معروف ، ولحم ثمره دهن طيب - القاموس .

(٢) ١٥ / ٣٩ .

سوق حاشة

تقوم هذه السوق بتهامة في دياربارق نحو (قنونا) على ست ليال من مكة إلى جهة اليمن . فهي المتجر المتوسط المشترك بين الحجاز واليمن . وأصل الحبش الجمع ، والحباشة الجماعة من الناس ليسوا من جنس واحد ، ولعلها سميت بذلك لكثرة ما يجتمع بها من مختلف القبائل والأجناس للتجارة ، وليست من مواسم الحج . وكما سميت سوق تهامة القديمة بهذا الاسم سميت به سوق أخرى لبني قينقاع تقام في رجب أيضاً ، كما هي اسم للأزد أيضاً . والمشهورة منها هي الأولى التي بتهامة وقد تاجر فيها رسول الله ﷺ ، جاء في الحديث :

« لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة إلى سوق حاشة وهي سوق بتهامة واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش وكان من قول الرسول وهو يحدث عن هذه التاجرة الكبيرة : « ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا. » اهـ

كان لهذه السوق ،الغيرها من المزايا : يكون فيها فداء الاسرى
ونشدان الثأر ... عدا أمور التجارة . ولما قتل الشنفرى الشاعر
حرام بن جابر قاتل أبيه ، أتى رجلٌ أسد بن جابر أخا المقتول فقال :
« تركت الشنفرى بسوق حباشة ، فرصد له قوم القتل حتى أسروه
وقتلوه .

وليس لحباشة شأن الأسواق العربية الكبرى ، فانها تأتي في
الدرجة الثانية في الخطر ، وتكاد تكون لما حولها في الغالب ، على
خلاف الأمر في بقية الاسواق التي هي من مواسم الحج .

بقيت هذه السوق قائمة كل عام حتى سنة سبع وتسعين ومئة ، إذ
تركت في زمن داوود بن عيسى بن موسى العباسي . والسبب في خرابها
أن من عادة ولاية مكة أن يستعملوا عليها رجلاً يخرج معهم بجند
فيقيمون بها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب واستمر الأمر على هذا
حتى قتلت الأزدي واليا كان عليها من قبيلة غني ، بعثه داوود بن عيسى بن
موسى ، فأشار فقهاء مكة على داوود بتخريبها فخرّبها ، تركت منذ
ذلك الوقت ^(١)

(١) أخبار مكة للأزرقي ص ١٣١ .

ذيل - هذه السوق يد كبرى على العلم بنعم بفضلها كل باحث شرقي أو غربي ، =

= لانها كانت السبب المباشر في تزويدنا بأوسع معجم جغرافي تاريخي وهو (معجم البلدان) لياقوت رحمه الله ، فقد جاء في مقدمة هذا المعجم ما نصه :
« وكان أول البواعث لجمع هذا الكتاب أني سئلت بمرور الشاهجان في سنة (٦١٥ هـ) عن حياثة : اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، فقلت : أرى أنه حياثة بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللفظة لأن الحياثة الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حياثة أي جمعت له شيئاً . فأنبرى لي رجل من المحدثين وقال : إنما هو حياثة بالفتح ، وصمم على ذلك وكابر ، وجامم بالعناد من غير حجة وناظر . فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل ، فاستقصيت كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرور يومئذ وكثرة وجودها في الوقوف وسهولة تناولها فلم أظفر به إلا بعد اقتضاء ذلك الشغب والمراء ، وبأس مع وجود بحث وامتراء ، فكان موافقا والحمد لله لما قلته ، ومكياً بالصاع الذي كلته . فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم لكتاب في هذا الشأن مضبوط ، وبالإتقان وتصحيح الالفاظ محوط . ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً ، وإلى ضوء الصواب داعياً ، وشرح صدري ثيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون ولم يمتد الغابرون .. الخ ما قال ،

سوق صحار

بلد من أعر بلاد العرب وأغناها وأطفحها بالمتاجر، جاء في
(مسالك الممالك) للإصطخري عند الكلام على عُمان : « وقصبتها
صحار ، وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب . وهي
أعر مدينة بهائم وأكثرها مالا ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر
فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار، وبها
مدن كثيرة ، وبلغني أن حدود أعمالها (٣٠٠) فرسخ وكان الغالب
عليها الشراة . »

وياقوت وصفها لنا كما شاهدها وصفا أسهب وأدل على مكاتها
التجارية الكبرى فقال :

« صحار قصبة عمان مما يلي الجبل (وتوام : قصبتها مما يلي الساحل) :
مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه ، مبنية بالآجر والساج ،
كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها . وليس على بحر الصين (يريد فرض
الجزيرة التي على بحر الهند) بلد أجل منه ، عامر أهل ، حسن طيب
نزه ، ذو يسار وتجار وفواكه ، أجل من زيد وصنعاء ، وأسواق

عجبية وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج ،
شاهقة نفيسة ، ولهم آبار عذبة وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء .
وهو دهليز الصين وخزاة الشرق والعراق ومعونة اليمن . والمصلى
وسط النخيل ومسجد صحار على نصف فرسخ . فتحها المسلمون أيام
أبي بكر سنة (١٢) صلحاً .

ونستطيع أن نفهم من هذا الوصف - وإن كان لعهد ياقوت -
مدى الشأن التجاري الذي كانت تتمتع به صحار^(١) في الجاهلية أيضاً .
فقد كان بها تجارات واسعة تجلب الى مختلف أقطار الجزيرة العربية
وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ بثوبين صحاريين .

* * *

تقيم العرب السوق العامة في صحار من عاشر رجب الى الخامس
عشر منه بعد انقضاء سوق حباشة . والظاهر أنها تمتد الى ما بعد
الخامس عشر من رجب ، فإن من لم يشهد الأسواق التي كانت قبلها
لشغله عنها أو لأنه لا أرب له فيما يباع بما قبلها من الأسواق ، يوافيها
فيجد فيها من البز المنشور وغيره من البياعات . وذكر المرزوقي^(٢) :

(١) في فهرس الاماكن لكتاب (صفة جزيرة العرب) : «صغار في اليمن»
و «صغار في البحرين» ، فيها صغاران إذن . إلا أن المشهورة هي صغار اليمن
وهي التي نتكلم عليها هنا . (٢) الأزمعة والامكة ٢ : ١٦٣

« أنهم يقيمونها لعشرين يوماً من رجب . » ولا يناقض هذا ما قدمناه ، لأن افتتاح السوق وانقضاءها لم يكن بساعة محتمة لا تقدم عنها ولا تأخر ، بل إن من العرب من لا يكون حضر ما قبلها فيأتيها من أول رجب ^(١) . ومنهم من يكون في حباشة أو غيرها فيوافيها متأخراً . وتبقى البيوع قائمة حتى ينتهي أصحابها منها .

وليست صحار من الأسواق العامة ولا من المواسم مثل عكاظ حتى يحرصوا عليها ذلك الحرص ، وإنما هي سوق تجارية محضة لما حولها ولمن يقصدها ، على أنها كثيراً ما يأتيتها التاجر البعيد .

وقيام هذه السوق في رجب يعني قاصدها عن الحماية فيقدمها الناس غالباً بلا خفارة ولا حذر إلا من المحليين ، لأن رجب شهر حرام . فهي من هذه الجهة تمتاز من الأسواق التي تقوم في غير الشهر الحرام مثل سوق المشقر وغيرها .

يشر الناس في هذه السوق الجندى بن المستكبر ^(٢) ، وذكر الأزرقى أن يجمعهم فيها بإلقاء الحجارة على ما تقدم في فصل البيوع كما هو الأمر في سوق دومة الجندل .

(١) نص صاحب الخبر (ص ٢٦٥) على أن زمنها في الثاني الخمس من

أول رجب . (٢) الخبر ص ٢٦٥

سوق دبی

دبی "، سوق ذكرها المرزوقي في جملة أسواق العرب . والظاهر أنها كانت قديماً ذات شأن إذ كانت قصبة عمان ثم اضمحل مركزها وزاحتها صحار وصارت هي قصبة هذا القطر فن ثم لم يكن لها من الشأن مثل ما غيرها . وصفها صاحب مرصد الاطلاع بأنها سوق من أسواق العرب بعمان وأنها مدينة عظيمة مشهورة . قال ياقوت : « دبی سوق من أسواق العرب بعمان وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وكانت قديماً قصبة عمان . ولعل هذه السوق المذكورة كانت عندها . فتحها المسلمون أيام أبي بكر عنوة سنة ١١ للهجرة . »

* * *

جعل المرزوقي تاريخ قيام هذه السوق بين سوقي صحار والشحر . ونستطيع ان نفهم شيئاً من خطرها التجاري إذا علمنا أنها من فرض العرب المشهورة ، وأنه يكون فيها من لا يكون في غيرها من تجار

السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب^(١) ، وتمتاز من غيرها بالبضائع الأجنبية التي يحملها التجار من بلادهم في البحر وتتفد منها تجارات العرب الى الخارج .

تقوم سوقها آخر يوم من رجب ويشتري بها بضائع جزيرة العرب وبضائع الاقاليم . ومن البديهي أن البيع فيها لا يكون بإلقاء الحجارة ولا بالإيماء ولا بغيرهما من البيوع الخاصة، لمكان الأجانب منها ، بل هو بالمساومة^(٢) لأن السوق سوق مختلطة غير خالصة الصبغة . ولا يباع فيها شيء حتى يبيع ملكها الجلندي بن المستكبر كل ما عنده ، وهو الذي يعثر الناس فيها كما يفعل غيره من الملوك في غيرها من الأسواق .

سوق الشحر

يطلق اسم الشحر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان ، والشحر مأخوذ من مشحر الأرض وهو مسبخ الأرض ومنابت الحموض ، وتشتمل على بلاد وأودية وقرى ، والمراد بها هنا شحر مهرة وهي قصبتها ، وليس فيها زرع ونخيل وإنما أموالهم الإبل « وبها نُجِب من الإبل تفضل في السير سائر النجب »^(١) .

ونظراً لوقوعها في أقصى جنوب الجزيرة على بحر الهند ضربوا بها المثل في البعد فيقولون :

« لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر »^(٢) ، واختلاط أهلها بالنازلة من الحبشة والهند وفارس وغيرهم من التجار ، مسح ما في لسانهم من الفروق بينه وبين لغة الحجاز جعل أهلها غير فصحاء حتى قال الأصطخري « ألسنتهم مستعجمة جداً لا يكاد يوقف عليها . » وأرضهم في الجملة مقفرة ، وعيش أهلها من الأنعام والتجارة والصيد .

اشتهرت منذ القديم بعنبرها الذي لا نظير له ، فكل عنبر جيد

(١) مسالك الممالك للأصطخري (٢) صفة جزيرة العرب للهداني ص ٢١٣

إليها ينسب ، قال الثعالبي في (ثمار القلوب) : « عنبر الشحر يضرب به
المثل قال الشاعر :

.....
ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشحر ،
واللبان الذي يحمل الى الآفاق منها يجلب .

* * *

تهوم هذه السوق في النصف من شعبان بعد انقضاء سوق « دبي »
ويقصدها من كان ثمة من تجار البر والبحر ، والبضاعة الرائجة فيها البر
والأدم والكندر والمر والصبر والدخن^(١) .

ولا يسير إليها قاصدها إلا بخفارة لبعدها وانقطاعها فلا غنى
لتجار العرب عن خفارة يتخفرون بها ، وكان يقوم أحياناً بهذه
الخفارة أهل مهرة أنفسهم .

« ولم يكن بها عشور لأنها ليست بأرض مملكة وكانت التجار
تتخفر بيني محارب من مهرة^(٢) » وفي هذه السوق يوع كالتى تقدمت
في سوق دومة الجندل من رمي الحصاة وإلقاء الحجارة^(٣) . وموضع
هذه السوق - على ما ذكر محمد بن حبيب - تحت ظل الجبل الذي عليه
قبر هود عليه السلام^(٤) .

(١) الكندر : ضرب من العلك نافع لقطع البلغم ، والمر دواء معروف
نافع للسعال ولسع العقارب وديدان الأمعاء ، والدخن : حب أصفر من حب
الجاورس ، أملس جداً بارد يابس حابس للطبع (٢) المبحر ص ٢٦٦

سوق عدن آيين

قيل إن هذه التسمية نسبة الى آيين ، وعدن بالمكان: أقام، فمن هنا قول من قال إنها اشتقت من العدن لأن آيين، رجل من حمير أقام فيها . إلا أن صاحب تاج العروس قال : « نقل شيخنا عن حواشي الكشف للفاضل اليمني وهو أعرف ببلاده : آيين اسم قصبة بينها وبين عدن ثمانية فراسخ ، أضيفت إليها لأدنى ملابسة . »

وعدن مدينة ذات موقع جغرافي ممتاز ، على بحر الهند الى جنوبي مضيق باب المنذب نحو الشرق . فيها مرسى للسفن الواردة الى آسية من البحر الاحمر ، وبها كانت تمر مراكب الهند ومصر والحجاز والحشة منذ القديم للحط والإقلاع ، وهي في ذيل جبل ينتهي بسور الى البحر « رديئة الهواء لأماء بها ولا مرعى ، وشرب أهلها من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم^(١) ، والماء ينقل اليها على ظهور الدواب . وأهم تجارات هذه السوق الطيب بأنواعه ، ويجلب اليها الأدم

والبرود من (معافر) وتكثر فيها اللطائم ، وبها مغاوص اللؤلؤ ، بقيت على شأنها هذا حتى الاسلام فازدهت في عهده تجارتها حتى « أصبحت فرصة اليمن ومقر كل فضل مستحسن » وإن الطيب الذي يستعمله سائر الناس كان يتخذ بها وصار لأهلها بصنعه مهارة فائقة ، قال المرزوقي : « وكان طيب الخلق جميعاً بها يعبأ ، ولم يكن يحسن صنعه أحد من غير العرب ، حتى إن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول (بعدن) تفخر به في السند والهند ، وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم . وإن الناس على ذلك (إلى اليوم) ما يحسن اليوم حملة إلا أهل الاسلام بعدن ^(١) »

كان العرب إذا ارتحلوا من الشحر بعد انقضاء سوقها نزولاً عدن فأقاموا بها السوق مدة العشر الاول من رمضان ، أما تجار البحر فإنهم يستغنون عن شهودها بما شهدوا من الاسواق قبلها ، إلا من بقي من بيعه شيء لم ينفذ بعد ، أو فاته حضور ما قبلها ، فإياه يشهدا مع الناس فيستدرك بها ما فاته من اتجار . ثم ينفذ الناس منها إلى رمضان من قابل .

وقاصد هذه السوق في غنى عن خفارة الناس لقيام حكومة

(١) الأزمنة والامكنة ٢ : ١٦٣

متظمة فيها فإنها من مخالفين اليمن ، لذلك لا يتخفر أحد فيها وتؤدي
عشور هذه السوق إلى ملكها من حمير أو من خلف حمير على ملكها .
ولما صارت في حوزة الأبناء من فارس حين غلبوا على اليمن كما امتد
نفوذ مملكتهم على سواحل العرب الشرقية والجنوبية كلها ، جعل الناس
يؤدون العشور فيها إلى هؤلاء .

وذكر محمد بن حبيب أن « الأبناء تعشرهم بها ولا تشتري في
أسواقهم ولا تبيع »^(١)

ولعل حال الأخذ والعطاء في هذه السوق أنشط وأوسع ،
والتجارة فيها حرة أكثر ، لأن من قام على أمور عدن من حمير أو من
الفرس لم يكونوا يتاجرون لأنفسهم فيها كما يفعل أكيدر في دومة أو
الجلندى في صحار فينحجز الناس عن عرض بضائعهم حتى يبيع الملك
كل ما عنده من متاع ، فكانت التجارة تحظى في هذه السوق بشيء من
الانطلاق لكف ملوكها عن مزاحمة الرعية على هذا المورد من
الكسب .

سوق صنعاء

صنعاء أطيب بلاد اليمن ، بل جنة جزيرة العرب كلها ، هي مضرب الأمثال في طيب الهواء واعتداله وحسن العيش ، قال ياقوت : « صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها ، وليس بجميع اليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء . وهي من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الانسان من مكان طول عمره صيفاً ولا شتاء ، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف ، وغاية ساعات النهار بها اثنتا عشرة ساعة وإحدى وخمسون دقيقة ^(١) . طيبة الهواء كثيرة الماء ، قدم يزيد بن الصعق صنعاء ورأى أهلها وما فيها من العجائب ، فلما انصرف قيل له : كيف رأيت صنعاء ؟ فقال :

ومن ير صنعاء الجنود وأهلها وجنود حمير قاطنين ، وحميرا
يعلم بأن العيش قسم بينهم جلبوا الصفاء فأنهلوا ، ما كدرا
ويرى مقامات عليها بهجة يا رجن هندياً ومسكاً أذفرا .
وليس من الغريب أن نسمع يميناً كالهمداني يشيد بذكرها فيقول :

« هي إحدى جنان الأرض عند كافة الناس ^(١) ، فقد حيرت بحسنها وكثرة أشجارها ومياها ومروجها وأنهارها وطيب أوديتها غيره فدهش أول ما رآها وملكه الإعجاب ^(٢) : » قال أحمد بن موسى وهو من الشعراء المتأخرين حين رفع إلى صنعاء وصار إلى ثقل السود (على مقربة منها) :

إذا طلعتنا (ثقل السود) لاح لنا من أفق صنعاء مصطاف ومرتبِع
يا حبذا أنت يا صنعاء من بلد وحبذا واديك الظهر والضلَع ^(٣) ،
بقيت صنعاء ^(٤) دار سلطنة وإمارة حتى يومنا هذا . وقد كان بها
مقر ملوك اليمن قديماً وفيها قصر غمدان وهو بناء شاهق على تل عظيم
اتخذته أقبال اليمن وليس في اليمن جميعه بناء أرفع منه .

(١) الإكليل ٨ : ١٢

(٢) ومن الطريف أن يذكر ياقوت أيضاً أن صنعاء اسم لقرية على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون ، خربت وهي اليوم مزرعة وبساتين . وفي هذا دلالة على أن العرب مولعون بذكر ديارهم وأوطانهم أينما حلوا ، هم على الوفاء لعهد ما تحت كل سماء ، وإطلاقهم صنعاء على هذه القرية الخربة لعهد ياقوت ، كإطلاقهم في بلاد الأندلس وجناتها أسماء حمص ودمشق

(٣) تاج العروس

(٤) نعتها الحميداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) نعتاً جليلاً حوى معارف قيمة جداً عن هذه البلدة العظيمة ، وانظر على سبيل المثال ما ذكره عن ضروب =

« ويكون سوق صنعاء في واديهها ، قيل هو وادي عليب ،
وقيل هو أصل جبل نُقْم مما يلي قبيته ، وقيل غدير الحقل^(١) .
كان العرب اذا ارتحلوا من الشحر وعدن أقاموا سوق صنعاء
فاستمرت من نصف شهر ومضات حتى آخره . يأتونها « بالقطن

سفاكهة فلانها في هذا فاقت دمشق نفسها قال ص ١٩٦ :

« جميع الثمار بها من العنب الملاحى والدوالي والاشهب والدربج والنواصي
والزيادي والاطراف والعيون والقوارير والجُرشي والنشاني والتابكي والرازي
والضروع . ويؤتى اليها من خيوان بالرومي ، ومن الجوف بالوادي . وبها
الزمان الحلو والحامض والمزوج والمليس والسفرجل ، وليس يلحق به سفرجل
البلاد لأن فيه شيئاً من الحموضة والقبض ، والإجاص والمشمش والتفاح الحلو
والتفاح الحامض والمزوج . والخوخ الحميري والخوخ الفارسي والخوخ الهندي
والجوز الفرك واللوز الفرك ، والحلو منه والمر والكثير وقد وفد إلى صنعاء
قديمة . وبها الورد والباقلاء الأخضر ولا يتركونه يبلغ ؛ وجميع أصناف البقول
وجميع الحبوب ... » وكثير أن يكون ببلدة واحدة أربعة عشر صنفاً من
العنب وحده . وقد أفاض الهمداني بعد هذا بتفصيل مستفيض عن طعامها وألوانه
وعن خبزها بما هو غاية في الطرافة والخطر فليرجع إليه ثمة . ولو أن كل قطر
عربي حظي بباحث كالمهداني لما كنا اليوم في معارقتنا عن بلادنا في ظلمة وغلة
لا نجد لها أدنى ري .

(١) تاج العروس . وكان بدل (جبل نقم) في الطبعة الاولى من كتابنا
(جبل نعيم) فكتب اليها الامتاذ (كرنكو) أن الصواب : جبل نقم بضم
النون والقاف وهو الجبل المطل على صنعاء واسمه كذلك الى يومنا هذا . اهـ

الزعفران والأصباغ وأشباهاها مما يتفق بها ويشترون فيها ما يريدون من البز والحرير^(١) ، وكان أروج تجارتها الغالية والأدم والبرود وكان هذان الصنفان الأخيران يجلبان إليها أيضاً من معافر إحدى قرى اليمن فتباع فيها وتصدر إلى الاقطار وكذلك يجلب منها من الخرز شيء كثير .

كانت يعمهم فيها الجس جس اليد^(٢) ، وكان يعثر الناس فيها الأبناء^(٣) بعد أن كان يعثرهم أمراؤهم من حمير .

* * *

(١) ، (٢) الأزمنة والامكنة ٢ : ١٦٤ والمهجر ص ٢٦٦

(٣) اليعقوبي ، والمهجر ص ٢٦٦

سوق حضرموت

حضرموت إقليم واسع يشتمل على بلاد وقرى ومياه وجبال وأودية باليمن ، يكون الى جنوبه الشحر ، والى شرقه عمان والى غربه صنعاء . قريب من البحر وفيه رمال واسعة كثيرة تعرف بالأحفاف ، وهذا الصقع كثير الجبال والأودية وهو في جملة قاحل ، والبلد نفسها صغيرة ضئيلة الشأن ، راسل أهلها رسول الله ﷺ فدخلوا في طاعته صلحاً ، وقدم عليه الأشعث بن قيس في بضعة عشر راكباً مسلماً في وفد فأكرمه الرسول (١)

وأغلب قوت أهلها التمر ، لأن بها نخلاً كثيراً ، وقد كشفت الحفريات الآن في هذا القطر عن مدن خربة عليها كتابات بالخط المسند ، مما يدل ان لسكانه في القديم شأنأ يذكر .

(١) ياقوت ، وقد اهتم بعض القدامى من المؤلفين بما حظيت به من كثرة الاولياء ، ورأوا في تسجيل ذلك عوضاً مما فاتها من خصب وسعة فقال القزويني في عجائب المخلوقات : نقل شيخنا عن تفسير أبي الحسن البكري في قوله تعالى : (وإن منكم إلا وارىدوها) : يستثنى من ذلك أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك وشدة ، وهي تنبت الاولياء كما تنبت البقل وأهلها أهل رياضة .

يتخذ بها نعال جيدة ذات شهرة وتنسب إليها فيقال : نعل
حضرية وهي الملسنة من النعال .

* * *

تقوم السوق في راية بحضرموت فتعرف أيضاً بسوق الراية ،
من منتصف ذي القعدة حتى آخره ، وربما قامت هي وعكاظ في يوم
واحد ، فكان بعض الناس يأخذ الى عكاظ وبعضهم يتوجه الى راية
حضرموت ، وهذه السوق خاصة بمن حولها ، ولكن كثيراً ما يأتيا
الناس من بعيد ، ولقريش قوافل الى هذه السوق ترسلها في تجاراتها ،
وكثير من العرب يجوزها الى غيرها ولا يحضرها ، ونظراً لا قطاعها
عما حولها لم يستغن قاصدها عن دليل وخير قال المرزوقي :

« أما الراية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة ، لأنها لم تكن
أرض مملكة ، وكان من عز فيها بزاً صاحبها ، فكانت قریش تنخر
بيني آكل المرار من كندة ، وسائر الناس (يتخفرون) بآل مسروق
ابن وائل الحضرمي ، فكانت مكرمة لأهل اليتين ، وفضل أحدهما
على الآخر كفضل قریش على سائر الناس ^(١) »

فيستفيد هذان الحيان من الخفارة والدلالة معاً ربجاً مادياً إذ كان
كسبهم من أولئك التجار الذين يمشون بين أيديهم بسلاحهم يحرسون
بضائعهم ويحمون حياتهم ويدلونهم على الطريق .

(١) الأزمئة والأمكنة ١٦٥/٢ . والمحرر ص ٢٦٧

سوق عكاظ

عكاظ^(١) هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية ، معرض بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا نحن أبناء هذا العصر : فهي مجمع أدبي لغوي رسمي ، له محكمون تضرب عليهم القباب ، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأديهم ، فما استجادوه فهو الجيد ، وما بهرجوه فهو الزائف . وحول هذه القباب الرواة والشعراء من عامة الأقطار العربية ، فما ينطق الحكم بحكمه حتى يتناقل أولئك الرواة القصيدة الفائزة فتسير في أغوار الجزيرة وأنجادها ، وتلجج بها الألسن في البوادي والحواضر . يحمل الى هذه السوق التهامي والحجازي والنجدي والعراقي واليامي واليمني والعامي ، كل ألفاظ حية ولغة قطره ، فما تزال عكاظ بهذه اللهجات نخلًا واصطفاءً حتى يتبقى الأنسب الأرشق وي طرح المحفوف الثقيل .

وهي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة ، يحمل إليها

(١) ورد في (عكاظ) الصرف وعدمه . وقد جرينا على منعه لأننا رأينا مع هو الأكثر فيها والاشهر .

من كل بلد تجارته وصناعاته كما يحمل إليها أدبه ، فإليها يجلب الخمر من
هجر والعراق وغزة وبصرى ، والسمن من البوادي ، ويرد إليها
من اليمن البرود الموشاة والأدم ، وفيها الغالية وأنواع الطيب
وأدوات السلاح .

ويباع فيها الحرير والوكاء والحذاء والمسير والعدني ، يحملها
إليها التجار من معادنها ، وفيها من زيوت الشام وزبيبها وسلاحها
ما اعتادت قريش أن تحمله في قحولها إلى مكة . ويعرض فيها كثير
من الرقيق الذي ينشأ عن الغزو وسي الذراوي فيباع فيها مع المتاع
التجاري^(١) .

ويبيع فيها كل غاز سلبه وكثيراً ما يكون هذا البيع سبياً في
قتل صاحبه إذا أبصر السلاح أحد من ذوي المقتول فعرفه ، فإنه
يضمها في نفسه ويستظر أن يظفر بالرجل ليثأر منه .

(١) من ذلك أم عمرو بن العاص ، فقد كانت سبية بيعت في عكاظ ،
عرفنا أمرها في خبر طريف يقصه ابن عبد ربه ؛ «خاطر رجل إلى أن يقوم
إلى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول : (أيا الأمير ، من أمك ؟ »
ففعل ؛ فقال له : « النابغة بنت عبد الله : أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ،
فاستراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا
لك شيئاً فخذوه ! » - العقد الفريد ١/٦٣ (سنة ١٩٤٠)

وقد كانت تجارة فارس يصل منها أشياء الى عكاظ : فإن النعمان ابن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيمة (وهي في الأصل العير المحملة مسكاً) في جوار رجل شريف من أشرف العرب يجيرها له ويحميها من كل معتدٍ حتى تصل سالمة الى عكاظ فتباع هناك ويشري بثمنها ما يحتاج إليه من آدم (جلود) الطائف وسائر المتاع في عكاظ : من حرير وعصب مسير ، ويبتع فيها حلة ذي وزن فاشتراها حكيم بن حزام ليهدىها رسول الله ^(١) ، بل إن عكاظ نفسها مشهورة بما يعرض فيها من جلود حتى قالوا : « أديم عكاظي ، نسبة إليها .

حتى البضائع المجهولة الأصل المعروضة في عكاظ تجدد من شرائع القوم وأعرافهم التي التزموها ما يجعلها كاسدة لا يرغب فيها أحد ، فهذا بعض لصوص العرب « قرب إبلاً للبيع في سوق عكاظ وكان أغار عليها من كل وجه ، فلما عرضها قيل له : « ما نارك ؟ » (أي ماسمة إبلك ؟) وكانوا يعرفون علامة كل قوم التي يسمون إبلهم بها ويعرفون كرمها من لؤمها) ، فلما كثر ذلك عليه أنشأ يقول :

(١) انظر تفصيل هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر ص ٤١٤ ، ٤١٥

يسألني الباعة أين نأرها إذ زعزعتها فسمت أبصارها
كل نجار ابن نجارها وكل ناز العالمين نأرها^(١)
وهي معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية :
فأهانا (قس بن ساعدة) يخطب الناس ، يذكر الخالق ويعظم بمن
كان قبلهم ويأمرهم بفعل الخير^(٢) . وهناك خالد بن أوطاة الكلبي تتبعه
قبيلته وقد جاء لينافر جرير بن عبد الله البجلي ومع هذا حيه أيضاً
وقد ساق كل منها مالا عظيماً ينافر عليه ، وعرضا الحكومة على
رجال قريش فأبوا أن يحكموا خوف الفتنة بين الحيين ، فالرجلان
في عكاظ ينتظران الأقرع بن حابس ليقوم بهذه الحكومة وقد ساقا
الرهن فوضعوها عند عتبة بن ربيعة^(٣) دون جميع من شهد على ذلك
المشهد ، وأهانا عمر بن الخطاب في الجاهلية يصارع^(٤) ، وثمة كاهن

(١) ويروي البيهقي هكذا :

يسألني الباعة ما نجارها إن زعزعوها فسمت أبصارها
فكل دار لأفاس دارها وكل ناز العالمين نأرها - بلوغ الأرب ١٦٣/٢
(٢) زعم أحد الكتاب أنه كان بعكاظ (أستقبة) لنصارى - انظر مجلة

المشرق (السنة ٣٥) ص ٨٤

(٣) انظر تفصيل ذلك في رسائل الجاحظ ص ١٠٢ (جمع السندوي) ،

وبلوع الأرب ٣٠١/١ - ٣٠٥ وغيرهما .

(٤) طبقات ابن سعد ٢٣٥/١

وعراف وعاتف وقائف ، وقرد ، وغنم ، وصحيفة وكاتب .

وهناك أناس من غواة الشهرة : هذا يمد رجله وينشد شعراً ويقول : « من كان أعز العرب فليقطع رجلي » وآخر يأتي عكاظ بيناته ترويحاً لزواجهن ، وأناس قدموها لينتاروا من يتزوجون إليه .. قال المرزوقي :

« كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب : كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد ، والحلة الحسنة ، والمركوب الفاره ، فيقف بها وينادي عليه : « ليأخذه أعز العرب » يريد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته . وكان كسرى يبعث في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في تلك السوق وينادي مناديه : « إن هذا بعثه الملك الى سيد العرب » فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعاً بالسود فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية ، وكان كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم في أمور العرب فيكونوا عوناً له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب .. »^(١)

(١) منير الغزم الساكن في فضائل البقاع والاماكن لابن الجوزي ، مخطوطة بدار الكتب الظاهرية (أدب ٤٦) الكراس الخامس عشر .

وهي أيضاً ندوة سياسية عامة ، تقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل : فمن كانت له إناوة على قبيلة نزل عكاظ فجاؤوه بها ، ومن اراد تخليد نصر لحيه فعل فعل عمرو بن كلثوم فرحل الى عكاظ وخلده فيها شعراً ، ومن اراد إجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الناس ، ومن اراد اعلان حرب على قوم أعلنه في عكاظ ، حتى (جمعية الأمم) او (هيئة الأمم المتحدة) ومقاماتها من مجهود (رسمي) في سبيل السلم الخاص ، كان لها صورة مصغرة تشبهها بحسب الظاهر (لا في الحقيقة ، لأن عكاظ لم تكن تراثي فتستغل الدعاية الشريفة لتسيخ للقوي أكل الضعيف) ، فقد روى الأصفهاني أنه : « اجتمع ناس من العرب بعكاظ منهم قرّة بن هبيرة القشيري والمخبل وهو في جوار قرّة ، في سنين تتابعت على الناس فتواعدوا وتوافقوا ألا يتغاوروا حتى يخلص الناس ! »^(١) ولا يخفى علينا أنه كانت تكون في عكاظ « وقائع مرة بعد مرة »^(٢) .

وكانت هذه السوق تقوم من العرب يومئذ مقام الجريدة الرسمية في أيامنا هذه وقد تقدم آنفاً شيء من ذلك في أمر الجوار وأخبار

(١) الاغانى ١٩ / ٣٧

(٢) بلوغ الارب ١ / ٣٦٨

الحروب . فمن أتى عملاً شائناً تاباه مروءة العربي شهروا امره بعكاظ
ونصبوا له راية غدر^(١) فعرفوه فلعنوه واجتنبوه ، ومن أراد أن
يستلحق امرأً بنسبه استلحقه وأعلن ذلك للناس في عكاظ ، ومن أراد
التبرؤ من قريب لسبب ما ، تبرأ منه علناً ، فإذا أتى بعد ذلك جريمة
أو خيانة كان المتبرئ - في عرف العرب يومئذ - في حلٍ مما أتى
قريبه : ذكروا ، أن قيس ابن الحداذية من شعراء الجاهلية ، كان
شجاعاً فاتكاً صعلوكاً خليعاً ، وقد جر على قومه خزاعة عتاً وإرهاقاً
كبيراً ، فخلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه
فلا تحتل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه^(٢) .

وإذا أطلق لقب على أحد في عكاظ عرف صاحبه به ، وجرى
له مجرى اسمه واسم أبيه : قاتل أبو ربيعة بن المغيرة من قريش يوم

(١) لم يقتصر هذا على عكاظ ، بل نجد نحوه في عامة المواسم ولا سيما
مواسم الحج ، فإذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بنى أيام الحج على أحد
الأخشين ثم صاحوا : هذه غدرة فلان ليعنره الناس ، - بلوغ الأرب ١٦٢/٢
وهدد زهير بن أبي سلمى بني عبد الله بن غطفان أن لم ينصفوا بقوله :

وتوقد ناركم شرراً ويرفع لكم في كل جمعة لواء

العقد الثمين ص ٣١

(٢) الاغانى ٢٠/١٢ .

شَرَبَ (وهو من أيام عكاظ) برمحين فسمي ذا الرمحين وبه يعرف ،
وثبت في هذه الحروب من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الستة وهم
حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو فسموا
(العنابس) والعنيس الأسد ^(١) . وأمثال ذلك .

وغني عن البيان أيضاً ما يدخره الصغار الذين يصطحبهم أهلهم
إلى عكاظ من ذكريات عن تلك السوق لا تنسى ، هذه خولة بنت ثعلبة ^(٢)
تستوقف عمر بن الخطاب في خلافته فيقف لها فتقول : « إني يا عمر ،
عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تزرع الصبيان بعصاك ، فلم
تذهب إلا يوم حتى سميت عمر ، ولم تذهب إلا يوم حتى سميت أمير المؤمنين ! » ^(٣)
وخير ما يعطينا صورة واضحة عن عكاظ أن نعرض لأهم
الأحداث التي جرت فيها ، فتتمثل بوساطتها أحوال العرب في هذه
السوق الكبرى ، في بيعهم وشرايتهم وتخاصمهم وتفاخرهم وحربهم

(١) القاموس مادة (عنيس)

(٢) التي سمع الله كلامها من فوق سبع سموات وأنزل فيها « قد سمع الله
قول التي تجادل في زوجها وتشكي إلى الله .. » انظر خبرها في كتابي (الاسلام
والمرأة) ص ٣٩

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية ص ٦٨

وسامهم ، فإن في ذلك تفصيل ما أجملت ^(١) .

وأشد ما يثير الاستغراب ؛ هذا الشبه الكبير بين عكاظ ومعارض هذا العصر ، بل إن عكاظ لأوسع مدى فيما يعرض فإنه لا يقتصر على مواد التجارة والصناعة بل يتعداهما إلى الأدب والشعر والحرب والسلم والعادات . . . فإذا أنا أفضت في وصف عكاظ وما فيها ، فإن ذلك إفاضة في وصف سائر أسواق العرب أيضاً ، فليس فيهن سوق تساميهن . وما جرى في عكاظ جرى قريب منه في بقية الأسواق مع مراعاة صغر هذه واقتصارها أحياناً على أهل ناحية واحدة ، فليكن تاريخ عكاظ إذاً تاريخاً لكل أسواق العرب ، وتاريخاً لكثير من عاداتهم الاجتماعية أيضاً .

* * *

(١) هذه الاخبار مبثوثة في بطون الاسفار وقد لقيت في جمعها وقبورها من المصابرة والعناء نصيباً غير يسير ، فانه ليس لدينا تفصيل جلي عن عكاظ مجموع في موطن واحد ، وأوسع فصل عنها هو ما ذكره الألوسي رحمه الله في بلوغ الأرب ، ويكاد يقتصر هذا الفصل على ذكر حروب عكاظ ونتف تتعلق بالمفاخرة وهو شيء لا يتقع غلة ولا يكاد يرسم الخطوط الاولى للصورة . ونحن نعلم أن الكلمة والكلمتين والثلاث ، والسطر والسطرين .. مما يكون عرضاً في خبر من الاخبار ، قد يكون له من البلاء الحسن في الكشف عن الحقائق والدلالة على العادات ، مالا يكون للفصل المطول تروؤه في موضوع واحد .

عكاظ نخل في واد بين مكة والطائف على مرحلتين من مكة
ومرحلة من الطائف ، وموقعها جنوب مكة إلى الشرق . هذا زبدة
ما يستخلص من تعاريفهم المتضاربة في عكاظ " تقوم السوق في
مكان منه يعرف بالأيدياء فيه مياه ونخل ، وهو مستوٍ لا علم فيه ولا
جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت لأهل الجاهلية ، وبها من دماء

(١) من حسن الحظ أن ذهب فتعري موضعها بنفسه باحث عربي موصفه
لنا . وهو السيد خير الدين الزركلي الشاعر في كتابه (مارأيت وما سمعت)
ص ٧٩ قال : « على مرحلتين من مكة للذهاب إلى الطائف في طريق السيل ،
يميل قاصد عكاظ نحو اليمن ، فيسير نحو نصف الساعة فإذا هو أمام نهر في باحة
واسعة الجوانب يسمونها (القانس - بالكاف المعقودة) وهي موضع سوق
عكاظ ... وهذه الباحة هي مجتمع الطرق إلى اليمن والعراق ومكة ، وهي
مرتفعة تشرف على جبال اليمن ... والواقف فيها يرى على مقربة منه موضعين
مرتفعين أحدهما يسمى الدمة (بكسر ففتح) والآخر البيته (بصيغة التصغير)
وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل إلى الطريق التي يمر بها سالكو
درب السيل .. وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون : إن عكاظاً كان في
مكان يعرف اليوم باسم (القهاوي) في وادي لبنة من الطائف . غير أن
الشيوع يؤيد ما قلناه آنفاً من أنه هو (القانس) نفسه وعليه أكثر العارفين من
أهل هذه الديار ، .

هذا وقد نشر الدكتور محمد حسين ميكل كتابه « في منزل الوحي » بعد
صدور الطبعة الأولى من كتابنا هذا بنحو سنة ، فإذا فيه بحث عن عكاظ
وقد رجع المؤلف أن موضعها جنوب الطائف مستنداً إلى قول (ابن رسته) =

البدن كالأرحاء العظام^(١). كانوا يطوفون حول صخور فيها ، وربما

= في الاعلاق النفيسة والى أن (مولر) رسم خريطة الادريسي الغامضة وحل ألغازها فكانت عكاظ جنوب شرقي الطائف أما قول ابن رسته فليس فيه تصريح بذلك وأما حل مولر للغاز خريطة الادريسي فلن يقف بحال لما تضافر عليه باحثو العرب قدامؤم ومحدثوم ، وخريطة الادريسي نفسها حافلة بالاغلاط ، ثم ينقل عن المسترقلي رأيه في أن عكاظ في مكان السيل الصغير ص (٣٨٠) وقد مضى المؤلف بالسيادة الى حيث قيل له ورجع أن السوق كانت في موضع السيل الكبير ص ٣٨١ .

وخلو مصادر الدكتور هكل من (أسواق العرب) دليل على أن هديتنا اليه لم تصله وقد ارسلناها اليه بعنوان (مجلة السياسية الاسبوعية) قبل صدور كتابه (في منزل الوحي) بعشرة اشهر . وكان الظن بمثله أن يطلع على الكتاب وقد كتب عنه في المجلات العلمية قبل طبع مجته المذكور .

وفي شهر رمضان ١٣٧٠ هـ (تموز ١٩٥١ م) اي بعد صدور الطبعة الاولى من (اسواق العرب) بـ ١٤ سنة نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٧٧ / ٢٦) محاولة للسيد حمد الجاسر في تحديد السوق فإذا به يجعلها شرقي الطائف اي لاهلى طريق القاصد من مكة الى الطائف (في نحو ثلثي الطريق) على ما في تعاريف القدماء . ومع ما بذل من جهد فان النفس لا تطمن الى مذهبه مع اعترافه بأن اغلب الاعلام التي كانت حول عكاظ لا تعرف اليوم . ومع هذا فقد يوفق باحث في المستقبل الى الصواب المقنع .

ولما زرت الطائف بعد أيام الحج سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) حرصت أن أرجع بما يشفي النفس وتقرجت على المسيل الذي وصفوه ، وسألت العارفين وخرجت بصحبة وجيه الطائف السيد محمد صالح نصيف وعرفت منه ان الذي = (١) معجم ما استعجم للبكري ٦٦٠ ومراصد الاطلاع وياقوت .

كان ذلك شعيرة من شعائرهم فقد ذكروا أنهم كانوا يحجون إليها .
وبالأيداء كانت أيام الفجار .

والظاهر أن ما يطلق عليه (عكاظ) من الأرض متسع فسيح
فيه حرار وفيه أرضون مسقية ذات نخيل . وقد مر في حروب الفجار أن
(شرباً) من عكاظ ، وأن (العبلاء) إلى جنب عكاظ ، وأن (شمطة) موضع
في عكاظ وأن (الحريرة) حرة إلى جانب عكاظ مما يلي مهب جنوبها ،
وعرفت أن بني نصر صبروا مع ثقيف لأن عكاظ بلدهم وذلك الذي أحماهم .
ولا شك أن أرضاً اتسعت بعض أجزائها لمعارك عدة أرض
فسيحة واسعة ، وبذلك فهم كيف كانت السوق تتنقل في عكاظ
فلا تلازم بقعة واحدة لاتحيد عنها يمينا ولا شمالاً على مدى
السنين المتطاولة .

وهي وما جاورها ديار قيس عيلان وهو اذن منهم خاصة .

وقد عرفت من حرب الفجار ص ١٧٠ أن قریشاً بادرت من

استقر عليه رأي الباحث المرحوم السيد رشدي ملخص وابن بليهد وسموا الامير فيصل
في عكاظ : انها منتقلة على ارض تمتد من جنوبي العشيرة الى المسيل الصغير (الحاوية) .
وأظن جهداً يبذله الافاضل العارفون من اهل تلك الناحية موصل الى
الكشف عن موضع عكاظ بما يزيل كل ريب ان شاء الله .

عكاظ مسرعة إلى الحرم خوفاً من هذه القبائل بعد قتل البراض ،
إذا كانت عكاظ في ديارهم ، وهم بها أكثر ما يكونون منعة وعددا .
أما اشتقاق عكاظ ولم سميت بهذا الاسم ، فقد ذهب اللغويون
فيه مذاهب ، وقلبوا الكلمة على معانيها المختلفة : فالقهر والحبس ورد
الفخر والتجادل والتعاج . . . كل هذه معان للعكظ وكلها صالحة
لأن يعلل بها التسمية فيقول قوم : سميت عكاظ لأن العرب كانت
تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً في المفاخرة أي يقهره ويعركه ،
وقال آخرون إنها من تعكظ القوم إذا تحبسوا لينظروا في أمورهم ،
وذهب غيرهم إلى أنها من التعاكظ بمعنى التفاخر .

تقوم هذه السوق في ذي القعدة ، وللعلماء بعد خلاف في تعيين
أيامها من هذا الشهر ، فالمرزوقي يجعلها تبدأ من نصفه حتى آخره ،
وآخرون يجعلون وقتها في شوال (١) إلا أن الأكثرين على أنها تبدأ
من أول ذي القعدة وتستمر حتى العشرين منه ، إذ تبدأ سوق مجنة
فيرتحل إليها الناس وهي أقرب من مكة ، فإذا أهل ذو الحجة انقشع
الناس من مجنة إلى ذي المجاز قرب عرفة وبقوا فيها حتى يوم التروية
فيبدأ الحج .

(١) ذكره صاحب مراصد الاطلاع وياقوت في إحدى روايته .

ويمكن جمع الأقوال المتقدمة بأن عكاظ قد تحفل بالناس في شوال ويتم تقاطرهم إليها في ذي القعدة : الرمن الرسمي للسوق . وحين تذهب جماعاتهم الى بحنة في العشرين من ذي القعدة يتخلف كثير ممن لم يكن أنهى بيعه وشراؤه فلا يتم خلوت السوق تماماً إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج^(١) .

والسوق لقيس بن عيلان وثقيف وهي بمعكد هوازن ، وأرضها لنصر ، حتى لقد منعت هوازن قريشاً مرة من حضور عكاظ ، فقد روى الهمداني أنه لما طرد عبد الله بن جدعان القرشي مئة ناقة لكلاب ابن ربيعة من هوازن ، أرسل هذا الى قريش : « إن سفيهم أغار علي فطردنا^(٢) مئة ناقة ، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ، ولي عليكم ترة ، وكان عكاظ في وسط أرض قيس عيلان^(٣) » ، ونوت قريش قتل ابن جدعان لعدم استغنائها عن حضور السوق .

(١) هناك من نقل : أن لعكاظ غير تلك السوق السنوية التي تجتمع بها القبائل ، لها ايضاً سوق اسبوعية تقوم كل يوم أحد لليع والشراء . انظر (مدنية العرب في الجاهلية والاسلام) لرشدي ص ٥٩

(٢) كذا ولعلها (طرد لي)

(٣) الاكليل، ج ٨ ص ١٨٤

ينزل السوق « قرش وهوازن وخطفان وخزاعة والأحايش
وعضل والمصطلق وطواقف من أفناء العرب ^(١)، يؤمونها من العراق
والبحرين واليامة وعمان والشحر واليمن وسائر أطراف الجزيرة .
فهي عامة حتى إنه ليس فيها مكّاس ولا عشار لأنه لم تكن في ملك
أحد من الأمراء . وقربها من مكة ومشاعر الحج ألبسها حرمة
تتقصف دونها مطاعم الكبراء ، ولعل من أهم ميزاتها صفتها العامة
هذه ، أما الفصل بين الناس فيها فزعم المرزوقي : « أن أمر الموسم
وقضاء عكاظ كان في بني تميم يكون ذلك في أفخاذهم : الموسم على
حدة ، وعكاظ على حدة ، وكان من اجتمع له ذلك منهم عامر بن الظرب
العدواني وسعد بن زيد مناة من تميم ، وقد فخر الخبيل بذلك في شعره فقال :
ليالي سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب
ثم وليه (فلان وفلان ..) حتى جاء الإسلام فكان يقضي
بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان أبوه قاضيا في
الجاهلية ، فمات فصار ذلك ميراثا لهم ، وكان آخر من قضى منهم ووصل
إلى الإسلام الأقرع بن حابس . »
وكان الناس ينزلونها منحازين على مداعيمهم وراياتهم في المنازل ،

تضبط أمور كل قبيلة أشرافها وقادتها . ويختلط بعض الناس في بعض
إذا هبطوا بطن السوق للبيع والشراء .

تقيم العرب هؤلاء الأيام في عكاظ يتهيئون للحج ويتبايعون
ويتناشدون ويتفاخرون ويتقارعون ويتنافرون ويتعاضمون ^(١) .
ولم يكن مجمع للعرب أحفل من عكاظ ، فكانوا يضربون بكثرة
أهلها المثل ، وبقيت لها هذه الشهرة بعد الإسلام ، فقد جاء في الأمالي :
أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب لما سئل عن قتله علياً
قال : « ضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ لقتلتهم » ^(٢) .

وكما كان يقوم بأمر الحكومة عامة فيها بنو تميم ^(٣) . كانت
الحكومة في الشعر للناطقة الديباني .

لا عاشر لهذه السوق ، وأما يعيهم فيها فهو السرار وجس اليد ^(٤) .

(١) المفاخرة ان يتعاكم اثنان في : أيها آباؤه أكثر مفاخرة . والمتافرة
ان يتعاكفي : أيها أعز نفراً من صاحبه . والمعاضمة ان يتعاكفي : أيها أعظم
مصيبة . والمقارعة شبيهة بالمناقرة . هذا وقد يكتفي المتنافران بالحكم مجرداً
وقد يجعلان بينها جعلاً للذي حكم له بالغلبة ؛ إبلاً أو جارية أو مالا . . .

(٢) ج ٢ ص ٢٥٦

(٣) انظر كتاب (المحبر) ص ١٨٢

(٤) انظر فصل (بيوع الجاهلية) من هذا الكتاب ص ٤٦

واليك الآن مثلاً عما كان يجري في عكاظ سياسة ومنافرة وفداء
أسرى ، وأدباً وحرباً ومتاجرة :

١ - منافرة

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ،
وقدم أمية بن الأسكر الكناني وتبعته ابنة له من أجل أهل زمانها
فخطبها يزيد وعامر . فقالت أم كلاب امرأة أمية :

« من هذان الرجلان ؟ » فقال : « هذا يزيد بن عبد المدان ، وهذا
عامر بن الطفيل . » فقالت : « أعرف بني الديان ، ولا أعرف عامراً . »
فقال : « هل سمعت بملاعب الأسته ؟ » فقالت : « نعم » قال : « فهذا
ابن أخيه » وأقبل يزيد يفاخر خصمه فقال :

- « يا أمية إن ابن الديان صاحب الكتبية ورئيس مذبح ومكلم
العُقَاب ، ومن كان يصوب أصابعه فتنتطف دماً ويدلك راحتيه
فتخرجان ذهباً . »

فقال أمية : - « بخ بخ ! مرعى ولا كالسعدان ^(١) »

(١) في جمع الأمثال للميداني « السعدان أخثر العشب لبناً ، وإذا خنول
الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم . ومنابت السعدان . السهول وهو
من تجمع المراءى في المال ، ولا يحسن على ببت كما يحسن عليه » ثم كرر ويتبين في أول من
أرسل هذا المثل : الأولى أنه الحنساء الشاعرة ، والثانية - رواه عن الفضل - : أن قوله
امرأة من طيء كان تزوجها امرؤ القيس . وارجع الى القصة هناك .

(فأرسلها مثلاً) :

فقال يزيد : - يا عمر ! هل تعلم شاعراً من قومي سار بمدحة

إلى رجل من قومك ؟

قال : اللهم لا .

قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟

قال : اللهم نعم .

قال : فهل لكم نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو

ركن يمان .

قال : لا

قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟

قال : نعم

فنهض يزيد وأنشأ يقول مخاطباً أبا البنت

أمي " يابن الأسكرين " مدلج لا تبعلن هوازناً كمذحج

إنك إن تلهج بأمر تلجج ما النبع في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالمزج

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . ثم لجج التهاجي بين الرجلين .

٢ - في ميل بني

وافى معاوية بن عمرو بن الشريد ، عكاظ في موسم من مواسم العرب ، فينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماً المُرّية ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغياً فدعاها إلى نفسه فامتعت عليه وقالت : « أما علمت أنني عند سيد العرب هاشم بن حرملة ؟ » فأحفظته فقال : « أما والله لأقارعنّه عنك . » قالت : « شأنك وشأنه . »

فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له فقال هاشم :

« لعمرى لا نريم أياتنا حتى تنظر ما يكون من جهده . »

ثم مضى عام وأصاب قوم هاشم غرة من معاوية فقتل في خبر طويل ، وكان بين الحيين يوم حوزة الأول ويوم حوزة الثاني ويوم ذات الأثل ويوم ملحان وهي من أيام العرب المشهورة الطائفة أدباً وشعراً ورجزاً . ولها الفضل في إتخاف اللغة العربية بأكثر قصائد الحنساء لأنها أخت معاوية هذا وأخيه صخر ، فلهذه الأيام قالت الحنساء أبلغ الرثاء في الشعر العربي .

٣ - خطبة غدر

لقي زُرعة بن عمرو بن خويلد النابغة بعكاظ ، فأشار عليه أن
يتبر على قومه بقتال بني أسد وترك حلفهم ، فأبى النابغة الغدر ، فبلغه
أن زُرعة يتوعدّه فقال من قصيدة :

نبث زُرعة والسفاهة كاسمها	يهدى إليّ غرائب الاشعار
فحلفت يازرع بن عمرو إنني	رجل يشق على العدو ضارري
أرايت يوم عكاظ حين لقيتني	تحت العجاج فما شقت غباري
أنا اقسمنّا خطبتنا يبتنا	فحملت برّ قواحتملت فجّار ^(١)
فلتأتينك قصائد وليدفعنّ	جيشاً إليك قوادم الأكوار ^(٢)
رهط ابن كوز محقي أذراعهم	فيهم ورهط ريعة بن حذار.و..
وبنو جذيمة حي صدق سادة	غلبوا على خبت إلى تعشار
متكنني جني عكاظ كليها	يدعويها ولدانهم عرعار ^(٣) .الخ

وهكذا لم يخنع للتهديد قاضي الشعراء في عكاظ ، بل التزم

(١) برة اسم مرّف للبر . وفجار : اسم للفجور .

(٢) الكور : رجل الناقة . والقادمة مقدمته .

(٣) عرعار : لعبة لصبيان الاعراب ، كانوا يتداعون بها ليجتمعوا للعب .

يعني انهم آمنوا وصبيانهم يلعبون في عكاظ .

الوفاء وشهر هذا الذي يريد أن يحمله على الغدر تشهيراً يدرك عاره كل من في عكاظ .

٤ - معالمة في المصائب

أيام حوزة والأثل وملحان ، ذهبت بوالد الحنساء عمرو بن الشريد وبأخويها صخر ومعاوية ، فطفقت الحنساء تبكي قتلها ولا تزدد على الأيام إلا إعظاماً لمصبتها فقرحت أجفان الناس بما بكت على هؤلاء وخاصة أخاها صخر .

انحدرت هذه الشاعرة العظيمة إلى عكاظ تسجل فيها رسمياً أنها أعظم العرب مصيبة ، فليس أحد أصيب بما أصيبت ، فكانت تنزل كل عام على هودج سوّته لتلفت إليها الأنظار ، وجرت على هذه العادة أعواماً .

ثم كانت وقعة بدر، التي اتصف فيها الاسلام من مناوئيه وقتل فيها من أعدائه صناديد قريش : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم . وبلغها تسويم الحنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد

سومت هودجها براية وأنها تقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك ، فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت : « أنا أعظم من الخنساء مصيبة . » وأمرت بهودج فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وجعلت تندب قتلها بقولها :

من حس لي الأخوين كالا فخصنين أو من راهما

قرمات^(١) لا يتظالما ن ولا يرام حماهما

ويلي على أبوي وال قبر الذي واراها

لامثل كعلي في الكهو ل ولافتي كفتاهما . . . الخ

وقالت : « اقرنوا جملي بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما أن دنت منها

قالت لها الخنساء : « من أنت يا أختي ؟ » قالت : « أنا هند بنت عتبة ،

أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيتك

فيم تعاظمينهم ؟ »

فألت الخنساء : « بعمر بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو ،

وبم تعاظمينهم أنت ؟ »

قالت : « بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة وأخي الوليد

ابن عتبة . »

قالت الخنساء «أو سواء هم عندك؟»، ثم أنشدت تقول :
أبكى أبي عمراً بعين غزيرة قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي ، لأنسى معاوية الذي له من سراة الحرثين وفودها
وصخراً ، ومنذا مثل صخر إذا غدا بساهمه الآطال قُباً يقودها^(١)
فذلك ياهند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها
فقال هند تحيها :

أبكى عميد الأبطحين كليها وحاميه من كل باغ يريد
أبي عبة الخيرات ويحك فاعلمي وشية والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العز منها حين يُنمى عديدها
وأمر هند والخنساء هذا في عكاظ ، من أغرب ما يؤثر في باب
التنافس واعتناء الناس بمصائبهم واهتمامهم بالتبويه بها وتخليدها في
آدابهم ومحافلهم العامة . ولعل هذا المنظر ، منظر تينك السيدتين
بلباسها الاسود وجملتها المسوّمين ، أطرف منظر شهده عكاظ .

(١) الساهمة : الضامرة . والآطال جمع اطل : وهو الخاصرة . والقُبّ :
جمع أقب وهو الدقيق الحصر الضامر البطن .

٥ - الفجار الاول

جلس بدر بن معشر الغفاري في مجلس له بعكاظ - وكانت بدر
رجلاً حدثاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ - فجعل يقول
ورجل على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يظرف كأنهم لجة بحر مسدف^(١)
وهو باسط رجله يقول : « أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز
مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني » ، فوثب رجل من بني نصر
ابن معاوية فضربه على ركبته فأندرها ثم قال له : « خذها إليك أيها
المخندف » ، وأنشد وهو شاهر سيفه :

نحن بنو دهمان ذي التغطف بحر لبحر زاخر لم ينزف

بني على الأحياء بالمعرف

فتحاور الحيان عند ذلك وثارا حتى كادت تكون فتنة ودماء .
ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .
وهذا الذي هاج أول أيام الفجار بين كنانة وهوازن .

(١) الغطرفة : الحيلة والعبث والمسدف : المظلم .

٦ - إناوة

كان لزهير بن جذيمة العبسي إناوة على هوازن ، وكان إذا كانت أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإناوة التي كانت له في أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأقط والغنم ... ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفقات .

أنت زهيراً يوماً عجوز من هوازن ، بسمن في نحي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين التي تتابعن على الناس ، فذاقه زهير فلم يرض طعمه ، فدعسها (طعنها) بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت على قفاها فانكشفت وبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن واضطغنتها عليه ، مع ما كان في صدرها من الغيظ والحسد . فتدامرت عامر بن صعصعة يومئذ ، وتآلى خالد بن جعفر (من سراة هوازن) وقال : « والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل . » وجعلوه من شأنهم في حروب وأيام حتى ظفروا به فقتلوه .

٧ - ظفر بتار

« أقبل شأس بن زهير العبسي من عند النعمان بن المنذر ، وكان قد حباه بجباء جزيل ، وكان فيما حباه قطيفة حمراء ذات هذب ، وطيلسان وطيب ، فورد منعجاً (وهو ماء لغني) فأناخ وراحلته إلى جانب الردهة ، وعليها خباء لرياح بن الأسمل الغنوي ، وجعل يغتسل ، فناداه الغنوي : « استتر » فلم يحفل بما قال ، فقال : استتر ويحك ، البيوت بين يديك ، فلم يحفل ، وامرأة رياح تنظر إليه وهو مثل الثور الأبيض ، فاتزعه رياح بسهم فقتله ونحر ناقة فأكلا وضم متاعه وغيب أثره .

فقد شأس بن زهير ، ومكث قومه كذلك ما شاء الله حتى رأوا امرأة رياح هذه باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباه الملك ، فعرفوها وعلموا أن رياحاً صاحب ثأرهم . فغزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية . وهرب رياح منهم ، وكان لعكاظ الفضل في معرفة القاتل إذ عملت في ذلك عمل رجال التحري اليوم .

بقي قوم شأس ووالده زهير خاصة يكثرُونَ القتل في غني

ولا يشتفون ، وضرب الزمان ضرباته فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب ، هو ووالد شأس القتل العبي في عكاظ في الشهر الحرام ، فقال خالد لزهير : « لقد طال شرنا منك يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف ؟ » قال زهير : « أما والله مادامت لي قوة أدرك بها ثأراً فلا انصرام له . » وأغلظ له زهير وحقره . وكان ذلك الكلام بينها أمام رجال من قريش كانوا في عكاظ ، فلما حقره زهير وسبه قال خالد : « اللهم أمكن يدي هذه ، الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه . »

فقال زهير : « اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلّ بيننا . »

فحالت قريش : « هلكت والله يا زهير . » فقال : « إنكم والله - الذين لا علم لكم . »

وكانت هوزان توثي زهير بن جذيمة الإثارة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ وحقد .

ومضى الرجلان وتفرق الجمع عن عكاظ وبقي خالد وقومه يتربصون بزهير حتى وجدوا منه غرة فقتلوه .

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :
بل كيف تكفرني هو اذن بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحراراً
وقلت ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتاراً
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم عقل الملوك هجائناً وبكاراً

٨ - سيف يثار لصاحبه

قُتل الحارث بن ظالم - وكان أحد الجبارين الفتاكين الذين
أضرموا الجزيرة فتناً ودماء - ، قتله ابن الحُسن التغلي ، ثاراً بأبيه
الذي كان كاهن يزيد بن عمرو الغساني أمره بقتله الملك في
خبر طويل ..

فأخذ ابن الحُسن سيف الحارث بن ظالم ، فأتى به عكاظ في
الأشهر الحرم ، فجعل يعرضه على البيع ويقول : « هذا سيف الحارث
ابن ظالم . » فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة ، فأراه إياه فعلاه به
حتى قتله ثم أنشد قيس يرثي الحارث :

وما قصرت من حاضٍ دون سترها أبر وأوفى منك حارٍ بن ظالم
أعز وأحمى عند جار وذمة وأضرب في كابٍ من النقع قاتم^(١)

(١) حارٍ في البيت الاول . مرخم حارث . وكبا الغبار : علا

٩ - شريف غير مقنع

كانت الفرسان إذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا كيلاً يعرفوا ، وكذلك كان حال الشرفاء ، فإنه لا يوافي عكاظ شريف إلا على وجهه برقع ، مخافة أن يؤسر يوماً فيكبر فداؤه ، وكان طريف بن تميم العنبري من مشهوري شجعان العرب وفرسانهم ، لا يتقنع كما كانوا يتقنعون .

فوافي عكاظ يوماً وقد قتل رجلاً من بني شيبان . وتطوع منهم رجل للأخذ بثأره من طريف فقال لقومه : « أروني طريفاً ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به تأمله ونظر إليه فأمعن النظر . ففطن طريف فقال : « مالك تنظر إلي ؟ » فقال : « أتوسمك لأعرفك ، فله علي إن لقيتك يوماً أن أقتلك » .

فقال طريف في ذلك :

أوَ كَلَّمَا وَرَدْتُ عَكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَاكِي سَلَا حِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمُ
تَحْتِي الْأَغْرُ ، وَفَوْقَ جِلْدِي ثَرَّةٌ زَغَفُ تَرْدِ السِّيفِ وَهُوَ مِثْلُ^(١)

(١) الثرة : الدرع الواسعة . والزغف : الدرع اللينة أو الرقيقة الحسنة

حولي أسيد والهجوم ومازن وإذا حلت فحول يتي خضم^(١)
ولكل بكري لدي عداوة وأبوربيعة شانيء ومعلم
فمضى لذلك ماشاء الله ثم ظفر الرجل بطريف في يوم من أيام العرب
فقتله ثاراً لقتيله .

١٠ - تأريب منبه

كان عبد الله بن جعدة سيداً مطاعاً ، وكانت له إتاوة بعكاظ
يؤتى بها : يأتيه بها هذا الحي من الأزد وغيرهم ، فجاء سُمير بن
سلمة القشيري وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته .
فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رباح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل - وهو
الخليع ، سمي بذلك لتخلعه عن طاعة الملوك لا يعطيهم الطاعة - فقال
للقشيري : « مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حوله ؟ »
فقال القشيري : « كذبت ، ماهي له . » ثم مد القشيري رجله
فقال : « هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزاً . » قال : « لا لعمرى ،
لا أضرب رجلك . » فقال له القشيري : « فامدد لي رجلك حتى

(١) قبيلة العنبر بن عمرو بن تميم ، والجمع الكثير من الناس . وانظر تفصيل
هذا الخبر ومقتل طريف في يوم مبايض في العقد الفريد ٢٠٨/٥ (طبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٥ هـ) وبلوغ الأرب ٣٦٨/١

تعلم أضر بها أم لا ؟ ، فقال : « ولا أمد لك رجلي ، ولكن أفلح
ما لا تنكره العشيرة ، وما هو أعزّ بي ، وأذلّ لك » ، ثم أهوى الى
رجل القشيري فسحبه على قفاه ونحاه وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه .

١١ - اغارة

أغار قيس بن عاصم المنقري على بني مرة بن عوف بن ذيان ،
فأسر أحد رجلين من هوازن ؛ جاورا في بني مرة . فهدى كل قوم
أسيرهم من قيس بن عاصم ، وتركوا الهوازي فاستغاث أخوه بوجوه
بني مرة فلم يغيثوه .

ركب الهوازي الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى
بذكر أسيره ومن استغاث بهم فردّوه :

دعوت سناناً وابن عوف وحارثاً	وعاليت دعوى بالحسين وهاشم
أعِذْهُمْ في كل يوم وليلة	بترك أسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم	ومن كانت عما سرهم غير ناثم
فصمّوا وأحداث الزمان كثيرة	وكم في بني العلات من متصامم
فيا ليت شعري من لإطلاق غنمة	ومنذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات :

ألا أيهذا الذي لم يُجَبَّ عليك بحمي يجلي الكرب

عليك بهذا الحي من مذبح فإنهم للرضي والغضب
فناد يزيد بن عبد المدان وقيساً وعمرو بن معد يكرب
يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم في العرب
أولاك الرؤوس فلا تعدّهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب؟

فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً . فقدا على المكشوح قيس بن عبد
يغوث المرادي فقصّ عليه قصته وأمر الأبيات التي سمعها ثم قال له :
« بدأت بك لتفك أخى . » فقال المكشوح : « والله إن قيس بن
عاصم لرجل ماقارضة معروفاً قط ولا هو لي بجار ، ولكن اشتري
أخاك منه وعلي الثمن ، ولا يمنعك غلاؤه . » ثم أتى عمرو بن
معد يكرب فقال له مثل ذلك وسأله : « هل بدأت بأحد قبلي ؟ » قال :
« نعم ، بقيس المكشوح . » قال : « عليك بمن بدأت به . » فتركه
وأتى يزيد بن عبد المدان فقال : « يا أبا النضر إن من قصتي كذا
وكذا ... » فقال له : « مرحباً بك وأهلاً ، أبعث الى قيس بن عاصم :
فإن هو وهب لي أخاك شكرته ، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك ،
فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت به
أخاك . » فقال أخو الأسير : « هذا الرضى » فأرسل يزيد الى قيس
ابن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم إني بكل الذي تأتي به جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بُغصته فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي
فافكك أخا منقر عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه يأنجز
فبلغه الرسول ذلك وقال : « إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك
السلام ويقول لك : « إن المعروف قروض ومع اليوم غد ، فأطلق
لي هذا الجسمي فقد استعان بأشراف بني جشم ، فلم يصب حاجته
فاستجار بي . ولو أرسلت اليّ في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت
حقك . » فقال قيس بن عاصم لمن حضره من تميم :

« هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن
لا يزال له فيكم يد ، وهذه فرصة لكم فماترون ؟ » قالوا : « نرى أن
نغليه عليه ونحكم فيه شططاً فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله
كله . » فقال قيس :

« بشمار أيتم ، ألا تخافون سجال الحروب ، ودول الأيام ، ومجازاة
القروض ؟ » فأبوا عليه فقال : « يعبونه . » فاشتطوا بالثمن فتركه
بأيديهم واعتذر إلى يزيد قائلاً : « إن الأسير يد رجل من سعد وقد
اشتطوا في ثمنه . » فأرسل يزيد إلى السعدي وقال له : « احكم . »

فقال : « مئة ناقة ورعاؤها معها . » فقال يزيد : « إنك لقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بني الحارث ، أما والله لقد غبتك يا أخا بني سعد ، ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم . » وأعطاه ما احتكم . وفك الأسير الذي بقي هو وأخوه مجاورين لمن فكاه حتى ماتا بنجران .

١٢ - صروب الفجار

اختلاط أحياء العرب بعضها ببعض ، وجمع عكاظ للأعداء المتنافرين في صعيد واحد ، وتحريمها قتال بعضهم بعضاً في أيامها التي هي في الأشهر الحرم ، لم يمنع الشغب بين الناس ولا الخصومة والنضال بالكلام أو الشعر . وكثيراً ما كان يهان أحد أفراد قبيلة بكلمة يثلبه بها خصمه من القبيلة المعادية فينادي : يال فلان ، وينادي الآخر : يال فلان ، ويهيج الشر بين القبيلتين . وكما جرّ من حروب على الحيّ سفهاؤه ، وما أكثر ما ألقى أراذل قوم كلمات غير مبالين ، فجرت من أجلبها الدماء حتى أشرف الحيّان على الفناء والهلكة . وهذا ما وقع في أكثر أيام الفجار وهي حروب كانت في عكاظ بين قريش وكنانة من

جهة ، وهو ازن من الجهة الثانية . وقد تعددت الوقائع فيها مرة بعد مرة ولذلك يقول دريد بن الصمة :

تغيبت عن يومي عكاظ كليها وإن يك يوم ثالث أتغيب
وإن يك يوم رابع لا أكن به وإن يك يوم خامس أتجنب^(١)
تعرف كتب الأدب والتاريخ من أحداث الفجار أربعة ، فأما
الرابع الذي هو أهمها وأكبرها فقد تقدم الكلام عليه في فصل مخصوص
أول الكتاب ص ١٦٢ .

ونتكلم هنا عن أيام الفجار الثلاثة الأولى وهي جميعاً لم تنته
بحروب وإن كادت تشرف عليها ، لأن أسبابها تافهة ولأن عقلاء الفريقين
حالوا دون الشر ، وبذلك نلم بأحوال سوق عكاظ
إماماً شافياً .

الفجار الأول : - تقدم آنفاً وهو حادث بدر بن معشر الغفاري
(ص ٣٠٠)

الفجار الثاني : - كان بين قریش وهوازن^(٢) . وكان الذي هاجه

(١) بلوغ الأرب ٣٦٨/١

(٢) العقد الفريد

أن فتية من قريش جلسوا في سوق عكاظ إلى امرأة وضئثة من بني عامر بن صعصعة ، وقيل بل أطاف بها شباب من بني كنانة لا من قريش ، وعليها برقع وهي في درع فضل ، فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة إلى ظهرها وهي لا تدري . فلما قامت تقلص الدرع من خلفها فضحكوا وقالوا : « منعنا النظر إلى وجهها فقد رأينا خلفها . » ، فنادت المرأة : « يا آل عامر ! » فتجاوز النار وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

الفجار الثالث : - « وهو بين كنانة وهوازن ، وكنانة هم حلفاء قريش . وكان الذي هاجه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية . وكان الكناني فقيراً ، فرآه دائئه النصرى بسوق عكاظ ، ومع النصرى قرد وافي به السوق . فوقف في السوق وتنادى : « من يبيعي مثل هذا القرد بمالي على فلان الكناني ؟ » وجعل يعيد النداء حتى أكثر ، تعبيراً للكناني ولقومه . فمر به رجل من بني كنانة فسمعه فحمي وضرب القرد بسيفه فقتله . فهتف النصرى : يا آل هوازن ! وهتف الكناني : يا آل كنانة ! فهياج الناس حتى كاد

يكون بينهم قتال . ثم رأوا أن الخطب أيسر مما تكلفوا له فتراجعوا
ولم يفقم الشر بينهم .

١٣ - راعظ

احتشد الناس في ناحية من عكاظ يتوسطهم شيخ وقور ، على
وجه سمات اليقين والخير ، وهو على جبل أورق ، قد
أرهف الناس إليه آذانهم مصغين ، وأعينهم الى وجهه ، وقد شدهتهم
الحيرة من ألفاظ تجري على لسانه من خبر السماء وما بعد الممات ،
وعظاته لا عهد لهم بمثلها في أحيائهم النائية وأوطانهم الشاحبة ، وإذا
هو بخطبهم ويقول :

« أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ،
وكل ما هو آت آت ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ،
ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ،
وأنهار مجرأة ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعلوا ، ما بال الناس
يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ؟

يقسمُ قس بالله قسماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى لكم
وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً :

في الزاهين الأوليـ سن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر.
سمع الناس هذا ثم أخذت أبصارهم أولئك الذين يطوفون حول
الصخور في السوق ، فانصرفوا حيرى ، في أنفسهم شيء . وكان بين
المنصرفين غلام حدث ، هو صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ . بقي
يذكر هذا المشهد حتى بعد أربعين سنة وقد طبقت الجزيرة دعوة
الإسلام فأغار وأنجدت ، وقدمت على صاحبها وفود الأقطار
بالطاعة والإجابة ، وكان منهم وفد من إياد قوم قس ، وفدوا على رسول الله
فسمع منهم وقال لهم : « ما فعل قس بن ساعدة ؟ » قالوا : « مات
يا رسول الله . » قال :

« كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورك وهو يتكلم
بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه . »

فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله . ، فتلاه عليه

فلما انتهى قال النبي ﷺ :

« يرحم الله قساً ، إنني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده . »^(١)

١٤ - تنافس شعراء

كان تابعه بني ذبيان تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ : يجتمع إليه فيها الشعراء . فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى قد أنشده شعره وحكم له ، ثم أنشدته الخنساء قولها :

قذى بعينك أم بالعين عوآر

حتى انتهت الى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرأ لكافينا وسيدنا وإن صخرأ اذا نشتو لنحار

فقال النابغة : لولا أن أبا بصير (كنية الأعشى) أنشدني قبلك

لقلت : إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من كل ذات مشاة .

قالت : « والله ومن كل ذي خصيتين . »

فقال حسان : « أنا والله أشعر منك ومنها . » قال : « حيث

تقول ماذا ؟ » قال : حيث أقول :

(١) قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : « لقى ولقومه فضيلة ليست

لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ

وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه

الأماني وتتقطع دونه الآمال . »

لنا الجففات الغري يلعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً
فقال النابغة : « إنك لشاعر لولا أن قلت عدد جفانك وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك ! »^(١)

١٥ - ترويح بنات

كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة . وكان المخلق الكلابي
مثنائاً مملقاً ، فقالت له امرأته « يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض
لهذا الشاعر ؟ فما رأيت أحداً اقتطعه الى نفسه إلا وأكسبه خيراً . »
قال : « ويحك ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل . »
قالت : « الله يخلقها عليك . » قال « فهل له بد من
الشراب والمسوح ؟ »

(١) وفي رواية ثانية : « إنك قلت (الجففات) ولو قلت الجفان لكان
أكثر ، وقلت (يلعن في الضحي) ولو قلت يورقن بالدجى لكان أبلغ في
المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت (يقطرن من نجدة دماً)
فدلت على قلة القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فقام حسان منكسراً . وأي الروايتين كانت فإن
حكم عكاظ خليف بنفوذ البصر وصحة النظر وقوة البديهة ، فما عن قليل رضى به
العرب بحكم في شعراء عكاظ .

قالت : « إن عندي ذخيرة لي ولعلي أن أجمعها . »

مرّ الشاعر فلتقاه المخلق قبل أن يسبق إليه أحد ، وابنه يقوده ،
فأخذ الخطام فقال الأعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ »
قال : « المخلق » قال : « شريف كريم . »

ثم ساعه إليه فأناخه فتحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها
ثم سقاه ، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحته ، فقال : « ماهذه الجواري
حولي ؟ » قال المخلق : « بنات أخيك وهن ثمان شريدتهن ^(١) قليلة . »

ثم خرج الأعشى من عنده ولم يقل فيه شيئاً .

فلما وافى المخلق عكاظ ، إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها
وإذا الأعشى ينشدهم قصيدته التي مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المورقُ ومايي من سقم ومايي تعشق
ولكن أراني لا أزال بحادث أغادى بما لم يمس عندي ويطرق

* * *

ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تُشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى و«المخلق»

(١) أي بقية أموالهن .

رضيحي لبان ندي أم تقاسما بأسحم داج: عوض^(١) لا تفرق^(٢)
تري الجوديجري ظاهر أفوق وجهه كما زان متن الهندواني روتق
يداه يدا صدق : فكف ميده وكف إذا ماضن^(٣) بالمال تنفق
ومنها :

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم^(٤) فأنجد أقوام به ثم أعرقوا^(٥) .. الخ
فما أتم الأعشى قصيدته إلا والناس ينسلون إلى المخلق يهشونه .
ثم أتى المخلق الأعشى فلم عليه فقال الأعشى :
« مرحباً بسيد قومه » ثم نادى : « يا معشر العرب هل منكم
مذكرار يزوج ابنة إلى الشريف الكريم . »
فتسابق الأشراف إليه جرياً ، يخطبون بناته لمكات شعر
الأعشى ، فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها . ولم تمس
واحدة منهن إلا في عصمة رجل خير من أيها وأفضل .

(١) البفاع : الأرض المرتفعة . تشب النار : تضرم . والمقرور : من
أصابه البرد ، وتقاسما : حلفا الأيمان . والأسحم : الأسود . والداجي : المظلم
(يعني بالاسحم الداجي : الليل) عوض : ظرف لاستغراق الزمن المستقبل .
(٢) الكف الميده : المهلكة التي لا تبقي على مال . أنجد : أتى نجداً
أعرق : سار إلى العراق .

فما قولك بفطنة امرأة المخلق ، وحسن دعاية الأعشى ؛ وهذه النوع من البضاعة التي روجتها عكاظ .

١٦ - منحة محررة

حضر عكاظ من سراة الناس في أحد المواسم عمرو بن الشريد السلمي ، وابناه معاوية وصخر أخوا الخنساء الشاعرة . وحضرها معمر بن الحارث جد جميل الشاعر الغزلي . فلما نظر معمر إلى عمرو صافه (قام حذاءه) وأمر ولده أن يخدموه ففعلوا .

فلما تقوّضت السوق دعا عمرو بن الشريد ابنه معاوية وصخرأ

« إن معمرأ قد طوقني مالم يطوقني أحد من العرب ، وقد أحيت أن أكافيه . » فقالا : « افعل ما بدا لك . » فدعا بكاتب وصحيفة فكتب :

(هذا مامنح عمرو بن الشريد السلمي ، معمر بن الحارث

العدري) :

منحه ماله بالوحيدة من أخلاف يثرب ، أطلال ذاك ومغانيه ورسومه وأعراصه ودواويه وزحاليفه وقريانه وبراذعه وقسوره

وعُجْرُمُه وبَشَامُه وَيُنْعُه ونَالِه وحِمَاطُه وشَبْحُه وأَرَاكُه وأَحْزَتُه
وحَذَارِيَه وآكَامُه وبُرْقَه وَعُلْجَانُه، وكل ماصاء وصمت فيه، وبكت
السَّاء عليه وضحكت الأرض عنه فهو لمعمر دون عمرو . وممنوح به
من نيات الصدر ، لا يشوبه كدر الامتحان ولا أمارات الامتحان ،
مستنزل من هضاب الجندل وجرثومة ود بعيد المحل لا تخلق الأيام
جدته ولا يركد لمتنسم بارحه مادام الزمان ، وتوقد الحرات
وسمر ابنا سمر وأقام حراء وثير^(١) .

(١) الوحيدة : من أعراض المدينة بينها وبين مكة . الحِلْف : ما أنبت
الصيف من العشب والجمع أخلاف . الأطلال جمع طلل : وهو ماشخص من
آثار الدار . والمعنى : المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا . والرسم : رَكِيَّة
تدفنها الأرض ، وما لا شخص اه من الآثار . والاعراض جمع عَرَصَة : وهي
كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . الدويّة : الأرض غير الموافقة ، والدو
والدويّة والدويّة : القلاة . والزحاليف جمع زُحْلُوفَة : وهي (هنا) المكان
المتحدر المملس . والقَرِيّ : مسيل الماء من التلاع ، ومدّفعه من الربو الى
الروضة ، والقرو ، حوض طويل ترده الإبل والأرض لا تكاد تقطع ، ومسيل
المعصرة ، وأسفل النخلة ينقر فينتبذ فيه والجمع قَرِيّ . والبراذع جمع برذعة :
وهي الأرض لا غليظة صلبة ولا سهلة . والقسورة : نبات سهلي ، والجمع قسور ،
وقسور النبات : كثر . والعُجْرَم ، جمع عجرمة : وهي شجر . والبشام :
شجر عطر الرائحة يسود الشعر ويستاك بقضيبه والينع : جل الشجر . والحماط جمع
حماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر الى الحيات أوالتين الجبلي أو الأسود الصغير

وكتب لحسن وثلاثين عاماً خلت من عام الفيل .

ثم بحث بالكتاب مع طرف من طرايق اليمن وعدد الى معمر .

قال الاصمعي : فهي باقية الى الآن يفيض على ولده دخلها وذلك

في أيام الرشيد رحمه الله^(١)

وهذا سند تملك محرو ، صدر عن عكاظ ليعرفنا كم تهز الأريحية

من نفوس الكرام .

= أو الجيز . الشبع : الباب العالي البناء وأشباح المال : ما يعرف من الإبل والغنم
وسائر المواشي . والأراك : القطعة من الأرض ، وشجر من الحمض يستاك
به . والأحزة جمع حزيز : وهو الموضع الغليظ المتقاد ، كثرت حجارتها
وغلظت كأنها سكاكين . والحذاري جمع حذرية : وهي الكلمة الغليظة ،
والقطعة الغليظة من الأرض ، وحررة لبني سليم وهم قوم عمرو صاحب هذا
القول . والبرق جمع بركة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل . وطين مختلطة
وبرق ديار العرب تنيف على مئة ذكر صاحب القاموس كثيراً منها فارجع إليه .
والعلجان : كل شجر ذي شوك ، وكل عظيم طويل من الشجر . وماصمت
من المال : الذهب والفضة . وماصاء منه : الإبل وما إليها . وودة : الوتد ،
واسم جبل ، واسم صنم معروف . والبارح : الريح الحارة في الصيف . وابنا
سمير : الليل والنهار تقول : لأفعله ماسمير السمر وابن سمير وابنا سمير : أي
ما اختلف الليل والنهار .

(١) الأزمئة والامكنة ٢ : ١٦٨

١٧ — صفقة خاسرة

« أخسر صفقة من شيخ مهو »

كانت إِيَاد تسبّ بالفسو وتعيّر به ، فقام رجل من إِيَاد بسوق
عكاظ ومعه بردا حبرة فقال :

« من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين ؟ »

فقام عبد الله بن يدرّة أخو مهو (ومهو حي من عبد القيس)
فقال :

« هاتهما ، واشهدوا أني اشتريت عار الفسو من إِيَاد لعبد
القيس بهذين البردين . »

فلما أتى رحله وسئل عن البردين قال : « اشتريت لكم بهما عار
الدهر . » فوثبت عبد القيس وقالت :

إن الفساة قبلنا إِيَادُ ونحن لا نفسو ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياح عبد القيس عار الفسو حتي
قال الشاعر :

يامن رأى كصفقة ابن يدرّة من صفقة خاسرة مخسرة

المشتري الفسوي يردى حبرة شلت بين صافق ما أخسر
وسارت هذه الصفقة الخاسرة مثلاً بين الناس .

قال ابن دارة :

وإني إن صرمت حبال قيس وحالفت المزون على تسميم
لأخسر صفقة من شيخ مهو وأجور في الحكومة من سدوم^(١)
وتلك غريبة في بابها بين جميع ما أتى القوم في عكاظ .

١٨ - فتنة جمال

زعموا : « أن جارية بن سليط كان أحسن الناس وجها وأمدم
جسماً ، وأنه أتى عكاظ فأبصرته امرأة من خثعم فأعجبها ، وتلطفت
له حتى وقع عليها ، فلما فرغ قالت : « إنك قد أتيتني على طهر ، وإني
لا أدري لعل سأعلق لك ولداً ، فوعدك فصال ولدي إن حملت
لك . » فسمى لها اسمه .

ثم وافى عكاظ لرأس ثلاثة أحوال . وأقبلت المرأة مع أمها
وخالتها يلتمسنه بعكاظ حتى رآته المرأة فعرفته وقالت لأمها : « هذا
جارية . » قالت أمها : « بمثل جارية ، فلتزن الزانية ، سرّاً أو علانية . »

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص ٨٢ في الاصل (ضربت حبال قيس)

ووجد الرجل أن المرأة قد ولدت غلاماً وقطعته . ثم دفن إليه القلام
فسماه عرفاً فشرف وساد قومه وهو عرف الأصم^(١) .

١٩ - - راية غدر

والذي يثلج الصدر ويشفي النفس من مآثر عكاظ ، مشهد
نستطيع أن نقيد فيه درساً بليغاً . ومثلاً فعالاً وأسلوباً ناجحاً في
محاربة الخائنين ، ووددت - والله - لو أخذنا به في أيامنا العvisية هذه ،
واحذينا مثاله ؛ إذ أبقى كل ساع في فساد يذوق الموت ألواناً حتى
يلاقى ربه بالموت المريع . قال المرزوقي :

« كانوا إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة ، انطلق أحدهم
حتى يرفع له راية غدر بعكاظ ، فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر
فيقول : « ألا إن فلان بن فلان غدر . فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه
ولا تجالسوه ولا تسمعوا منه . »

فإن أعتب وإلا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن
ورجم !! وهو قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونصبت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين .

وهي خطوة حاسمة موقفة في السياسة السلبية لمحاربة الرذائل ،
ما أظن أن أحداً اهتدى إليها قبل العرب ولا بعدهم .
لم يغفل العرب في عكاظ أن يرفعوا مقابل ذلك راية وفاء
لمن أتى مكرمة كلفتهم المغارم ثم مضى فيها ولم ينكص ، فقد ذكروا :
أن عامر بن جوين رفعت له كندة راية غدو في صنيعة بامرئ القيس
ابن حجر في وجهه إلى قيصر ، ورفعت له فزارة راية وفاء في صنيعة
بمنظور بن سيار حيث أقحمته السنة فصار بماله وإبله وأهله إلى الجبلين
فأجاره عامر ووفى له . وصار الناس بين حامد له وذام^(١)

٢٠ - راحة الاسلام

وقف رسول الله ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين في عكاظ ،
يدعو الناس إلى الخير والهدى والسعادة . وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة
حزن عميق على قومه الذين كفروا بنعمة الله ، وآلمه ألا يراهم
مسارعين إلى ما به صلاحهم ، فعزم ليقصدن المواسم وليأتين فيها
القبائل ، كل قبيلة بمنزلها ، وكل جماعة في حبيم ، يعرض عليهم هذا

(١) انظر كتاب الازمنة والامكنة ٢ : ١٧٠

الدين الجديد . ولقد حرص الحرص كله على أن يبتدوا ، وكان أسفه
يشدد كلما ألح قومه بالصد ، قام في عكاظ يقول :

« يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا ، ويتبعه
رجل له غدیرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول :

« يا أيها الناس إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه ،
فعرف الناس أن هذا (الصاد عن سبيل الله) هو عمه أبو لهب بن
عبد المطلب ، يكذبه كلما قال كلمة الحق .

عاود الدعوة مراراً فلم يُجيب ولم يياس ورجا أن يجد فيهم
الحامي والمجير على الأقل إذ لم يجد المجيب ، فكان يقول للحي في
موسم عكاظ :

« لا أكره منكم أحداً على شيء . من رضي الذي أدعوه
إليه قبله ، ومن كرهه لم أكرهه ، إنما أريد أن تحوزوني بما يراد بي
من القتل ، فتحوزوني حتى أبلغ رسالات ربي ويقضي الله لي ولمن
صحبني بما شاء ^(١) ،

كان الناس يعجبون من أمره وأمر عمه ، وهم بين راض وغاضب

ومتعجب يرى بعينه ثم يمضي كأن الامر لا يهمه ، منهم من لا ينكر ما يسمع ومنهم من يرد اقبح الرد ، ومنهم من يقول : قومه أعلم به .
كان هذا دأبه أبداً يوافي به القبائل سنة بعد سنة ، حتى إن منهم من قال له : « أيها الرجل ، ما آن لك أن تيأس ؟ » من طول ما يعرض نفسه عليهم .

* * *

انتهى رسول الله في تطوافه على القبائل في عكاظ الى بني محارب ابن خفصة . فوجد فيهم شيخاً ابن عشرين ومئة سنة ، فكلمه ودعاه الى الإسلام وأن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه فقال الشيخ : « أيها الرجل قومك أعلم بنبتك ، والله لا يؤوب بك رجل الى اهله الا آب بشر ما يؤوب به أهل الموسم ، فأغن عنا نفسك . » وإن أبا هب لقائم بسمع كلام المحاربي . ثم وقف أبو هب على المحاربي فقال : « لو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذي هو عليه ، إنه صائب كذاب . » قال المحاربي : « أنت والله أعرف به ، هو ابن أخيك ولحمتك . » ثم قال المحاربي : « لعل به يا أبا عتبة لمأ ، فإن معارجلنا من الحي يهتدي لعلاجه . » فلم يرجع أبو هب بشيء^(١)

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا :

[أنا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ فقال : « من القوم ؟ »

قلنا : « من بني عامر بن صعصعة . » قال : « من أي بني عامر ؟ »

قلنا : « بنو كعب بن ربيعة . » قال : « كيف المنع فيكم ؟ » قلنا :

« لا يرام ما قبلنا ولا يصطلي بنارتنا . » فقال :

« إني رسول الله فإن أتيتكم تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولم

أكره أحداً منكم على شيء ؟ » قالوا : « ومن أي قريش أنت ؟ »

قال : « من بني عبد المطلب » قالوا : « فأين أنت من بني عبد مناف ؟ »

قال : « هم أول من كذبني وطردني . » قالوا : « ولكتنا لا نظردك

ولا تؤمن بك وتمنعك حتى تبلغ رسالة ربك . »

فنزّل إليهم والقوم يتسوقون إذ أتاهم بجرة بن قيس القشيري فقال :

« من هذا الذي أراه عندكم أنكره ؟ » قالوا : « هذا محمد بن عبد الله

القرشي . » قال : « وما لكم وله ؟ » قالوا : « زعم لنا أنه رسول الله ،

يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . » قال : « فماذا ردّتم عليه ؟ »

قالوا : « قلنا : في الرحب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما تمنع

به أنفسنا . » قال بجرة : « ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع

بشيء أشرف من شيء ترجعون به ، بدأت لتنا بذكر الناس وترميكم العرب
عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آتسوا منه خيراً لكانوا أسعد
الناس به ، تهمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذبوه فتوؤونه
وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيستم . ثم أقبل على رسول الله ﷺ
فقال : « قم ، الحق بقومك . فوالله لو لا أنك عند قومي لضربت عنقك . »
فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمر الخبيث بحجرة
شاكتها فقصت برسول الله ﷺ فآلقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة
بنت عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله
ﷺ ، جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت : « يال عامر ولا عامر لي !
أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ »
فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى بحجرة ، وثلاثة أعانوه ، فأخذ كل
رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ثم علقوا
وجوههم لطمأ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك على هؤلاء
والعن هؤلاء . »

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركته
السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه

حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عن كان في
الموسم فقالوا :

جاءنا فتى من قريش ثم حدث أنه أحد بني عبد المطلب يزعم أنه
نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به معنا الى بلادنا .
فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال :

« يا بني عامر ! هل لها من تلاف ؟ هل لذئابها من تطلب ؟
فوالذي نفس فلان يده ، ما تقوت لها إسماعيلي قط ، ألا إنها الحق ، فأين
كان رأيكم ؟ » [١] .

٢١ - صم

بعث رجل من بني جشم امرأته - واسمها عبلة بنت عبيد بن
خالد ... بن حنظلة - الى عكاظ بأنحاء سمن تبيعها له فيها ، فباعت
السمن وراحتين وشربت بضمنها الخمر ، فلما نفذ الثمن رهنه ابن
أخيه وهربت ، فطلقها فقالت في شربها الخمر :

شربت براحتي محجن فياويلتي ، محجن قاتلي
وبابن أخيه على لذة ولم أحتفل عذلة العاذل

وتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أمية الأصغر ،
وعبد أمية ونوفلاً ، وهم العبلات .

٢٢ - ثقيب

ساوم ربيعة بن عمرو بقدح في عكاظ فاستغفره فقال لصاحبه :
« لو وضعت في حوثرتي (حشفتي) للملأته . » فسمي حوثرة بذلك .

٢٣ - نصارب القر

وهذا غلام وقع في الأسر وبيع في عكاظ وكان له في هذا البيع
وذلك الأسر كل الخير ، إذ افتتح لنفسه صفحة في التاريخ مجيدة
فأصبح من أعلامه ، ولترك الطبري يقص كيف بدأ أمره في عكاظ
في مواسم الحج :

زارت أم زيد بن حارثة قومها من بني معن بن طي وزيد معها ،
فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية ، فمروا على أيات بني
معن رهط أم زيد ، فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة قدأوصف ،
فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام
لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ

وهبته له ، فقبضه رسول الله ﷺ إليه وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين قتله قال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة فحسي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرني الشمس عند طلوعها وتعرض ذكرها إذا قارب الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي وكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل
وأوصي به عمراً وقيساً كليهما وأوصي يزيداً ثم من بعدهم جبل
قال : (يريد جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أكبر من زيد ، ويعني

يزيد أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .)

وحج ناس من كلب فأروا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال أبلغوا
أهلي هذه الآيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي وقال :

الكني إلى قومي وإن كنت ثائياً بأني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدة كإبراهيم بن عبد كابر
فانطلق الكليون فأعلموا أباه ، فقال : ابني ورب الكعبة ،
ووصفوا له موضعه وعند من هو ، فخرج حارثه وكعب ابنا شراحيل
بفدائه وقدمامكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد ، فدخلا
عليه فقالا : يا بن عبد الله يا بن عبد المطلب يا بن هاشم يا بن سيد قومه !
أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطعمون
الأسير ، جئناك في ابنا عندك فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإننا
سنرفع لك في الفداء) قال : « من هو ؟ » قالوا : « زيد بن حارثة » ،
فقال رسول الله ﷺ فهلا غير ذلك ؟ قالوا وما هو ؟ قال أدعوه
فأخبره فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي
أختار على من اختارني أحداً ، فقالا قد زدتنا على النصف وأحسننت ..
فاختار زيد محمداً وقال : « إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا
بالذي أختار عليه أحداً أبداً » فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ
أخرجه الى الحجر فقال : « يا من حضر : اشهدوا أن زيدا ابني أخته
ويرثني » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا^(١)

(١) المنتخب من (ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين)

٢٤ - نداء

وهذا منادي عامر بن الطفيل وهو واحد من منادين كثيرين
قائمين وطوافين ، نستمع إليه فإذا هو يقول :
« هل من راجل فتحمله ، أو جائع قطعمه ، أو خائف فتؤمنه .. »^(١)

٢٥ - مهرب المعزى

في ناحية من عكاظ ، وقف شيخ هم حطمته السنون فلا يكاد
يستقل واقفاً ، ومن وراءه معزى كثيرة تكاد تملأ السهل ، وأسارير
الشيخ ناطقة بالغضب وخرج الصدر ، وإن الناس يتساءلون - وقد
عرفه بعض وجهه بعض - : ما باله ؟

فيجيب المجيب : « ذلك سعد بن زيد مناة بن تميم الملقب بـ (الفز) »
أكثر قومه مالا وولداً ، ويجتمع عليه الناس وقد علموا أن له لشأناً ،
فإذا به يقول :

« أيها الناس ، ألا إن هذه معزاي ، فلا يحل لرجل أن يدع أن
ياخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين . »

(١) تاريخ دول العرب والاسلام لمحمد طلعة حرب ٩٩/١

فاندفع الناس على الغنم ينتهبونها ويذهب كل لطيته ، فما هو أن
يسأل سائل عما حمل سعداً على إنباب معزاه حتى يعلم انه طلب يوماً الى
ابنه هيرة ان يسرح في معزاه فيرعهاها فأجاب هيرة : « والله لا أرعهاها
سن الحسل^(١) » ، فنادى سعد ولده الآخر صعصعة قائلاً : « يا صعصعة
اسرح في غنمك . »

قال : « لا والله لا أسرح فيها ، ألوة^(٢) الفتى هيرة »
فغضب سعد وسكت على ما في نفسه حتى اذا أصبح ساق المعزى
كلها الى عكاظ ، فكان منه ما رأى الناس .

* * *

سار هذا الحدث في عكاظ بين العرب واشتهر حتى صار مثلاً
يضرب ، إذا أراد أحدهم قطع أمل صاحبه من أمر قال : لا أفعله « حتى
يجتمع معزى الفزّر » وأصبحت هذه القولة من أمثال العرب .
قال شبيب بن البرصاء :

ومرّة ليسوا نافعيك ولن ترى لهم مجعاً حتى ترى غنم الفزّر^(٣)

(١) انظر أمثال الضبي ص ٢٢ طبعة الجوائب - الحسل : ولد الضب ولم
توجد دابة قط أطول عمراً منه ، وسن كل دابة يسقط إلا سن الحسل .
والمعنى : لا أرعها أبداً . ألوة : يمين ، قسم .

٢٦ - نهب الرزق

أما هذا ففتى المشرق نيك بن مالك ، « قدم مكة بطعام ومتاع للتجارة ، فرآهم مجهودين ، فأنهب العير بما عليها ، وهام أولاء الناس يتهاقون على أرزاقه في عكاظ يأخذ كل ما يقشع به عن نفسه وأهله الجوع والفقر . فلما انكشف الناس ولم يبقوا في أرض عكاظ من مال نيك شيئاً ، وكان الخبر قد طار في أقطار عكاظ ، أقبل خاله عليه يعاتبه على انهاب ماله ، فقال نيك :

ياخالُ ذرني ومالي : ما فعلت به وما يصيبك منه ، إني مودي إن نيكاً أبى إلا خلاثقه حتى تئيد جبال الحرة السود فلن أظيعك إلا أن تخلدني فانظر بكيدك : هل تستطيع تخليدي الحمد لا يشتري إلا له ثمن ولن أعيش بمال غير محمود^(١)

٢٧ - فرسان العرب

« اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة :

فقارس تميم عتيبة بن الحارث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع

ابن حنظلة : صياد الفوارس وسم الفرسان .

(١) الإصابة ٨٤/٦ آخر الترجمة ٨٩١١

وفارس قيس : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
وفارس ربيعة بسطام بن قيس ... بن بكر بن وائل ،
ثم اختلفوا فيهم حتى نعو عليهم سقطاتهم^(١) .

٢٨ - مارأيت شيخاً أكذب .

مر المستوغر بن ربيعة ، شاعرٌ معمرٌ ، بعكاظ يوماً وعلى ظهره
ابن ابنه شيخاً هرمًا ، فأعيا من حمله فوضعه بالأرض وقال : « عنيتني
صغيراً وكبيراً » فسمعه رجل فسأه ذلك فالتفت إليه ناصحاً :
- يا عبد الله أتقول هذا لأبيك ؟ أحسن إليه فطالما أحسن إليك .

قال : أو تدري من هو !

قال : نعم ، هو أبوك أوجدك .

قال : هو والله ابن ابني

قال الرجل : مارأيت شيخاً أكذب ، لو كنت المستوغر بن

ربيعة ما زدت . قال : فأنا المستوغر بن ربيعة^(٢) !



(١) هذا قول أبي عبيدة - الكامل للبرد ص ٨٩ طبعة ليدن

(٢) عمر طويلاً جداً وأدرك صدر الاسلام ، ولقد بالغوا في عمره حتى

بلغوا به (٣٢٠) سنة ورووا قوله : =

الآن وقد استعرضت هذه المشاهد ، وذكرتك هذه الفقرات
جواً خاصاً تتصوره لعكاظ كلما مرت بك في قفلة من قفل الأدب أو
التاريخ ، الآن تستطيع أن تفهم : لم يعد مؤرخو الادب عكاظ في
أول ما وُحِد لهجات القبائل العربية قبل نزول القرآن الكريم
بأكثر من قرن ، وهياً لقريش خاصة تلك الزعامة والتحكم في اللغة
والالتقاء فسامت من عيوب اللهجات ، وعرفت أيضاً أن عكاظ دنيا
تعب بالقاصدين من كل فج عميق ، وأن فيها الخطباء المصاقع يخطبون ،
والشعراء الفحول ينشدون ، والأعزة والأشراف يتفاخرون

= مئة أمت من بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا

وقد سمى حياته حين كان أحفاده صغاراً ووصف حاله بقوله :

إدأما المرء حمّ فلم ينجى ولم يك سمعه إلا ندايا

ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر مجترش العظايا

فذاك المهم ليس له دواء سوى الموت المنطق بالمتايا

العظايا جمع عظاية وعظاءة : دابة على خلقة صام أبرص ، أعظم منه قليلاً -

المنطق المحاط في موضع النطاق .

انظر : معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٣ ، والشعر والشعراء

ص ٣٤٤ ومختلف تأويل الحديث لابن قتيبة ص ٣٦٠ .

ويتنافر ونؤيتسابقون^(١) ، والموتورين يؤمونها للبحث عن واتريهم ،
ومن له أسير سعى إلى عكاظ في فكاكه ، ومن أراد أن يأتي عملاً
تعرفه له العرب عامة أتاه في عكاظ ، ومن أتى مكرمة في قطر فأحب
أن تخلد جاء إلى عكاظ فشر فيها أمره .

قال أبو ذؤيب :

إذ بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

وقال آخر يضرب بها المثل :

فإنك ضحاك إلى كل صاحب وأنطق من قس غداة عكاظها

وهجا أمية بن خلف الخزاعي حسان وأراد إيلامه فعنونها إلى

عكاظ فقال :

ألا من مبالغ حسان عني مغفلة تدب إلى عكاظ

(١) جلس القلمس في عكاظ يسابق بين ابنتي الحس قائلا: «إني سألكما لأعلم أيكما أبسط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقاناً» ، ثم كانت الأسئلة لكل منها حول الابل والخيول والمعزى والسحاب والرجال والنساء «أيها أحب إليك؟» ثم «أيها أبغض إليك؟» ثم استنشدهما فأنشداه في الحكم وتجارب الحياة . في حوار طريف وحديث مسهب ، ثم ختم المجلس بقوله : «أحسننا وأجملنا فبارك الله فيكما» ووصلها وحباهما . وانظر المجلس بطوله في (بلاغات النساء) ص ٥٨-٦٤ فهو قيم حافل .

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشدّ ككراً وينفخ دائماً لهب الشواظ^(١). الخ
فيجيبه حسانت :

أتاني عن أمية زورقول وما هو بالمغيب بذي حفاظ
سأشر ما حيت لهم كلاماً ينشر بالمجامع من عكاظ^(٢)
فأنت إذ تجول في عكاظ يتقسم سمعك خطب وقصائد ومفاخرات
ومنافرات وخصومات وأنماط من البيع لا تشابه ، وأزياء في اللبس
والتكلم والمراكب .. تجمعت من كل صوب .

ولما قال عمرو بن كلثوم قصيدته :

ألا هي بصحنك فاصبحنا . . .

في العراق ، أحب أن تسير في الناس ويكتب لها الخلود ، فسعى
إلى عكاظ في الموسم ، فقام بهذه القصيدة خطيباً ثم قام بها أيضاً في
موسم مكة .

وكذلك قل في بقية القصائد الطوال التي يسمونها (المعلقات) ،

(١) المغلغة: الرسالة السريعة . والقين : الحداد . والفسل : الرذل الساقط

(٢) ديوان حسان ص ٢٤١ وتاريخ النقائض ص ٩٧ ، وبعده

قوافي كالسلام إذا استمرت من الصم المعجزة الغلاظ

فما كان الإجماع ليعقد على أنها أجود الشعر لولا أن المحكمين في عكاظ شهدوا لها بذلك وأقر السامعون بتفوقها .

تلك مشاهد عامة مما كان يجري في عكاظ ، وكان العرب الذين عرضوا في هذه السوق متاجرهم وأموالهم وأنعامهم ، وعرضوا فيها أدبهم وشعرهم ، أبوا إلا أن يعرضوا بقية مقوماتهم فرأينا مشاهد عن سياستهم وصلحهم وحربهم . ولو كان لعربي أن يصبر على ضيم قريب أو بعيد لصبر هؤلاء الجيران في هذه السوق العامة ، ولكن طرح الخسف ورد الضيم في نفس العربي هو قبل التجارة والأدب ، ورفع الذل عنده أهون وسائله إهراق الدماء وقطع وريد الحياة ، لأنه لا يفقه عيشاً بقيد ولا يتصور حياة بذل .

والظاهر أن احتفال الناس بعكاظ لم يكن واحداً دائماً ، فقد كان في بعض السنين يربي على الغاية في الازدحام والحركة ، حتى تضيق السوق بمن فيها وحتى يربح التاجر والجالب إليه ربحاً عظيماً لا يتأتى إلا في الفرط النادر . قال المرزوقي : « فلما دخلت سنة خمس وثلاثين من عام الفيل حضر السوق من نزار واليمن ما لم يروا أنه حضر مثله في سائر السنين ، فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقر وتقدوا بتاعوا أمتعة مصر والعراق والشام . . . »

هي إذا معرض عام للجزيرة العربية : فيها عرض لتجارات
جميع الاقطار وعرض للبيوع وعرض للعادات وللأديان واللغات
والآداب ، وللسياسة . . . وفيها لجان رسمية على نحو ما نألف في
معارضنا اليوم ، تحكم للمتفوق بتفوقه حكماً نافذاً من أقصى الجزيرة
إلى أقصاها . وتزيد على معارضنا بميزة جليلة ، وهي صهرها لعادات
القبائل ولغاتها ومواضعاتها لتنتقي منها أحسنها وأخلقها بالبقاء .

لسنا نعلم لهذه السوق بداية محدودة إلا أنا نرجح وجودها قبل
القرن السادس الميلادي ^(١) ، ولما جاء الإسلام وتوطدت أركانه في

(١) في بعض المراجع القديمة والحديثة تخبّط في تعيين سنة افتتاحها وتناقض
ظاهر : نخذ لك مثلاً هذه المصادر : بلوغ الأرب للألومي ، دثرة معارف
وجدي ، الوسيط للأستاذين الإسكندري والعناني ؛ فإنها اتفقت على أن
عكاظ افتتحت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة مع أن هناك حديثاً
يقيد أن رسول الله ﷺ كان ينبل على أعمامه في حروب الفجار وعمره أربع
عشرة سنة أي بعد الفيل بأربع عشرة سنة فتكون الفجار ونبيل الرسول فيها
قبل وجود عكاظ بسنة وهو تناقض بيّن . والغريب حقاً أن ينقل صاحب
الوسيط - وهما ما هما فضلاً وتحقيقاً - هذا التحديد عن بلوغ الأرب على علته
في الطبعة الخامسة للوسيط ص ١٢ ثم ينقضه هما نفسهما ص ٢٧ من الكتاب
المذكور فيذكر أن نبيل الرسول وعمره أربع عشرة . كما فعل الألومي تماماً .
ولو نجأ أحد من زلل لنجا هؤلاء الأفاضل الثقات .

أما دثرة معارف وجدي فمع ارتكابها الخطأ نفسه فقد عزّزته بثان فقالت : =

الجزيرة والعراق والشام بدأ شأنها يضؤل ، ولم تزل قائمة إلى أن
خرجت الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف بمكة سنة (١٢٩)
للهجرة فتهبوا فتركت إلى الآن .

وعلى هذا تكون هذه السوق قد عمرت أكثر من قرنين
ونصف القرن .

— عكاظ اتخذت سوقاً بعد الفيل بنحو خمس عشرة سنة أي سنة (٥٤٠) ميلادية ؟
وهذا غير صحيح لأن حادث الفيل كان سنة (٥٧٠-٥٧١) م . ولعل الألومي
رحمه الله أراد قبل الفيل بـ ١٥ سنة ، فغيرت في الطبع كلمة (قبل) بـ (بعد)
ثم تابعه على الخطأ من بعده .

ثم اطلعنا بعد صدور الطبعة الاولى بسنة فإذا الدكتور محمد حسين هيكل
يقول في كتابه (في منزل الوحي ص ٣٦٤ الطبعة الاولى) : « أدق ما يروى (١)
أنهم اتخذت بعد الفيل بـ ١٥ سنة وقد عرفت آنفاً مبلغ هذا النقل في الدقة .
وإذا تأملت أحداث عكاظ التي عرضنا لها عرفت أن بعضها يرتفع إلى
ما قبل جميع هذه التواريخ التي ذكرناها : فالمرأة التي باعت أنفها السن بعكاظ
تزوجت بعد ذلك بعبد شمس ، وعمرو بن كلثوم الذي أنشد قصيدته في عكاظ
عاش حول سنة (٥٠٠ م) . وإذا أضفت إلى هذا ما فطن له الاستاذ أحمد أمين
(الرسالة : السنة الاولى : العدد ١٣ ص ٢٥) في بجزته عن عكاظ والمربد ،
من أن المرزوقي عد عشرة ولوا القضاء بعكاظ قبل الإسلام ، استظهرت أن
السوق مضى على إنشائها زمن قبل أن تصير فيه هذه الاحداث كلها . من
كل ذلك تعرف صحة ما ذهبنا إليه من أنها كانت قبل سنة (٥٠٠ م) حتماً .

سوق مجنه

نَجْنَة موضع (وقيل بلد) قرب مكة على أميال منها ، تقع بمر
الظهران ، قرب جبل يقال له الأسفل وهو بأسفل مكة على قدر
يريد منها ، ميمها بالفتح وتكسر ^(١) . والظاهر أنها من المواطن التي
لا ينساها أهل مكة لبعض جمال فيها ولأنها ذات مياه ، فقد جاء في
في كتب السيرة : أن بلالاً لما هاجر الى المدينة وأصيب بالحمى ، تشوق
الى مكة ومواطنها وتغنى بقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخٍ وحوالي إذ خير وجليل
وهل أردت يوماً مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل ^(٢)

(١) لهم في اشتقاقها أكثر من مذهب ، فقد جاء في تاج العروس أن
الجنة الكثيرة الجن ، وفي الصحاح : أرض مجنة : ذات جن . قال ابن جني
« مجتل مجنة وزنين ، أحدهما أن يكون مفعلة من الجنون كأنها سميت بذلك
لشيء ينصل بالجن أو بالجنة أعني للبستان أو ما هو سيئه ، والآخر أن يكون
فعلّة من مجن يمجّن كأنها سميت بذلك لأن ضرباً من المجنون كان به . هذا
ما توجه صنعة علم العربية ، فأما لأي الامر بن وقعت التسمية فذلك أمر
طريقه الخبر . »

(٢) أخبار مكة للزرقي ص ١٣١ . الإذخر والجليل : نبتان . وشامة
وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة .

هذه السوق لكناثة وأرضها من أرض كناثة ، تقوم في العشر
الآخر من ذي القعدة^(١) ويقصدها العرب بقضهم وقضيضهم بعد
أن تنفض سوق عكاظ ، يتممون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء
وتفاخر و... على شبه التفصيل المتقدم في عكاظ. ويجلب إليها
ما يجلب إلى تلك من متاع وعروض ، ولم تكن الحمر لتقل فيها شأنًا
عن بقية الأسواق فقد كانت تحمل إليها من معادنها من الشام ، ومن
بصرى وغزة حتى صار يشيد بذكورها الشعراء ، قال أبو دؤيب الهذلي :
سُلَاقَةٌ رَاحَ ضُمِّتَتْهَا إِدَاوَةٌ مَقْبِرَةٌ رِدْفٌ لِمُؤَخِرَةِ الرَّحْلِ
تَزُودُهَا مِنْ أَهْلِ بَصْرَى وَغَزَةٍ عَلَى جَسْرَةٍ مَرْفُوعَةِ الذِّلِّ وَالْكَفْلِ
فَوَافَى بِهَا عُسْفَانٌ ثُمَّ أَتَى بِهَا «مَجْنَةُ» تَصْفُو فِي الْقَلَالِ وَلَا تَغْلِي^(٢)
ومجنة وعكاظ وذو المجاز تستوي في نظر المحرمين من العرب

(١) هذا قول جمهرة العلماء ، أما باقوت فمع أنه وافقهم على هذا عند كلامه
على (مجنة) ، خالفهم وناقض قوله هو نفسه فدل عند الكلام على عكاظ هذا
القول الغريب : « كانت العرب تقيم سوق عكاظ في أول شهر شوال ثم تنتقل
إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز
فتقيم فيه إلى أيام الحج »

(٢) السُلَاقَةُ : الحمر وكذا لراح . والإدَاوَةُ : المطهرة . والمَقْبِرَةُ : المطلبة
بالقار . الرِدْفُ : الراكب خلف الراكب وكل ما تبع شيئاً فهو رِدْفُهُ . =

وتتمتع منهم جميعاً باحترام واحد حتى إن بعضهم لا يردها إلا محرماً .
قال الأزرقى :

« كانت قریش وغيرها من العرب تقول : « لا تحضروا سوق
عكاظ ومجنة وذی المجاز إلا محرمين بالحج . » وكانوا يعظمون أن
يأتوا شيئاً من المحارم أو يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم
وفي الحرم ^(١) . »

ومجنة . وإن قرنت في أغلب الأحيان مع عكاظ وذی المجاز .
دون هاتين السوقين شأناً حتى إن المزدوقي لم يذكرها مستقلة كما
ذكر غيرها بل اكفى بقوله : « وزاد بعضهم في الاسواق المجنة
وهو قريب من ذی المجاز . »

= والراحل : مركب للبعير . والجسرة : الناقة العظيمة الماضية . والكفل :
مركب للرجل يؤخذ من كساء فيعقد طرفاه فيلقي مقدمه على الكاهل ومؤخره
بما يلي العجز . القلال جمع قلة : وهي الجرة العظيمة .

سوق ذي المجاز

لهم في تحديد ما قولان : أحدهما أنها على فرسخ من عرقة بناحية
كَبْكَب ، وكبكب جبل بعرفات خلف ظهر الإمام اذا وقف .
ذكره ياقوت وغيره وهو أحد قولين نقلها الزبيدي ، والثاني : أنها
موضع بمنى ؛ ومنى بين مكة وعرفات في نصف الطريق تقريباً ،
والذين نقلوا الأول أكثر عدداً وان كان القول الثاني أدنى الى القبول .
وسمي ذا المجاز لأن إجازة الحاج كانت منه ، ولعل السوق أحياناً تمتد
أو ينتقل الناس فيها : يقتربون ويتعدون حتى تشغل هذه المسافة^(١) .
وذو المجاز من ديار هذيل ، هم أهلها وجيرانها الأدنون .

يكثر ورود ذي المجاز في شعر العرب ولا سيما شعراء هذيل ،
لأنها من أسواقهم الكبرى ، ومن المواسم أيضاً قال أبو ذؤيب الهذلي :
وراح بها من ذي المجاز عشية يادر أولى السابقات الى الحبل

وقال اللبي :

(١) وذو المجاز علم يضا على موضع قريب من العراق لاشان لبغشابه .

للغانيات بذى المجاز رسومٌ في بطن مكة عهد من قديم
أما التي ذكرها الحارث بن حلزة في معلقته :
واذكروا حلف ذى المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
فالغالب أنها التي في شمال الجزيرة ، لأث مقام قبيلته يشكر
والأحداث بينها وبين غيرها كانت هناك .

* * *

إذا اتشع الناس عن تَجَنَّة حين ييل ذو الحجة ، ساروا بأجمعهم
الى هذه السوق وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة ، وهو
يوم التروية ، سمي بذلك لانهم كانوا يرتوون فيه من الماء ويملؤون
أوعيتهم لما بعده اذ لا ماء بعرة . والى هذه السوق تتقاطر وفود
الحجاج من سائر العرب ممن شهد الاسواق قبلها ، او لم يشهدا وأتى
للحج خاصة ، اذ أن ذا المجاز من مواسم الحج عندهم .

تحفل^(١) ذو المجاز لوقوعها أيام الحج بجوع العرب وتجارهم

(١) خير تعبير عن ازدحام هذه السوق بالناس كلمة فاه بها أبى بن خلف
دلت على أنهم يضربون المثل بمن فيها كثرة ، وذلك أنه قصد الرسول ليفتله وهو
يقول : « أين محمد ؟ لانجوت إن نجاء ، فلما دنا تناول الرسول حربة من أحد
أصحابه وانتفض بها انتفاضة أطارت من حوله من الأصحاب ثم استقبل بها أيما
قطعنه طعنة وقع بها عن فرسه فكسر ضاعاً من أضلاعه ولم يخرج له دم ، فلما =

وأشرفهم ، وهي تلي عكاظ في الشأن ، ويجرى فيها مايجري في هذه من تبايع وتناشد وتفاخر وفداء أسرى وطلب ثأر .. الخ ، يقصدها صاحب الثأر ليتعرف فيها واتره ، فيترصد به اقضاء الشهر الحرام ان كان من المحرمين والا عاجله فأخذ بثأره واليك بعض أحداثها :

١

روى الأصفهاني : « أن قيس بن الخطيم لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه يثرب فقتله ، وظفر بقاتل جده بذي المجاز ، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس ، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري فاستنجده فلم ينجده ، فأتى خدش بن زهير فنهض معه بيني عامر حتى أتوا قاتل عدي (جد القيس) فإذا هو واقف على راحلته في السوق ، فطعنه قيس بحربة فقتله ثم استمر . فأراد رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه ... الخ . »

- رجع أبي قريش قال : « قتلي والله محمد ، فقالوا : « ليس عليك بأس ، ما أجزعك ! إنما هو خدش لو كانت بين أحدنا ماضره » فقال : « والللات ، لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لما أتوا أجمعين !! » - انظر شرح الزرقاني للمواهب ٢ / ٤٥

حالف ابو الازهر الدوسي وكان عظيم الشأن في الأزدي أبا سفيان
ابن حرب عظيم بني أمية ، وكان بين أبي الازهر هذا وبني الوليد بن المغيرة
محاكمة في مصاهرة ، فإن أبا الازهر لقاعد في مقعد أبي سفيان بسوق ذي
المجاز إذ جاء هشام بن الوليد فضرب عنقه في مقعده ذاك بذي المجاز
وانتظر الناس أن يأخذ ابو سفيان بثأر حليفه من هشام فلم يفعل ولم
يدرك به عقلاً ولا قوداً من بني المغيرة ، وتحدث بذلك أهل السوق
من قبائل العرب وراجت في الناس حتى عيروا بها أبا سفيان وحتى
قال حسان بن ثابت فيها :

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة

وجار ابن حرب لا يروح ولا يغدو

كساك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلق مثلها جدياً بعد^(١)

٣

كثيراً ما يغير قوم على قوم فيسبون من ذراريهم فيستعبدونهم .
فينشأ هؤلاء الذراري أرقاء في غير قومهم ، فيباعون في الاسواق
أيام المواسم ، فكانت الجواري والأطفال من جملة العروض التي

(١) رسائل الجاحظ (جمع السندوبي) ص ٧٦ بتصرف يسير

يقتنيها العربي في الجاهلية ويبيعها ويشتريها كما يفعل بالتمر والسياب
والسلاح حتى جاء الاسلام فأبطل سي العربي ، جاء في الاغانى
(٧٥ : ١١) :

« أن أبا وجزة لحق أباه عبيداً - وهو صبي - سباء في الجاهلية ،
فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من سعد واستعبده ، فضرب
عبيد هذا يوماً ضرع ناقة لمولاه فأدماه ، فلطم المولى وجه العبد ، فخرج
عبيد الى عمر ' مستعدياً فلما قدم عليه قال : « يا أمير المؤمنين انا رجل
من بني 'سليم ثم من بني ظفر أصابني سباء في الجاهلية كما يصيب العرب
بعضها من بعض ، وأنا معروف النسب ، وقد كان رجل من بني سعد
ابتاعني فأساء إلي وضرب وجهي ، وقد بلغني أن لاسباء في الاسلام .
فما فرغ من كلاله حتى كان مولاه قد أتى عمر على أثره فقال : « يا أمير
المؤمنين هذا غلام قد ابتعته بذى المجاز ، وقد كانت يقوم في مالي ،
فأساء ، فضربه ضربة والله ما أعلمني ضربه غير عساقط ،
وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها فكيف بعده ؛ وأنا أشهدك أنه
حر لوجه الله . » فقال عمر لعبيد : « انه لاسباء على عربي ، وإن هذا
الرجل قد امتن عليك ، وقطع عنك مؤونة البينة ، فإن أحبت فأقم

معه فله عليك منه ، وان أحيت فالحق بقومك . ، فأقام عييد مع
السعدي واتسب في بني سعد بن بكر بن هوازن ، اه
وعمر نفسه اشترى خادمه « أسلم » من سوق ذي المجاز ، وكان
أسلم هذا حبشياً أسود مشروطاً^(١)

* * *

هذه الأسواق الثلاث ، عكاظ ومجنة وذو المجاز التي كانت تقوم
في أيام الحج ويؤمها العرب قاطبة من كل حذب وصوب ، شهدت الى
جانب مناظر البيع والشراء ، والمفاخرة والإنشاد ، مشهداً من أفضع
مشاهد الجفاء والتنكر والأذى لصاحب الشريعة الاسلامية ﷺ
وابتلعت تلك الأسواق بضجيجها وما كانت تعج به من حوادث ، صوت
الدعوة الاسلامية فيما ابتلعت من دعوات ، وغاب صوت صاحبها في ذلك
الرُغاء والصخب والزحام ، فلقد مكث الرسول بمكة مستخفياً ثلاث سنين
ثم أعلن في الرابعة ودعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافي فيهن
المواسم كل عام ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذو المجاز ،

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/٣ و (أسلم) هذا روى الناس لسيرة عمر رضي
الله عنه وكان ابن عمر يعظه ، ومن طريق ما يذكر ابن عساكر عنه أن (أسلم)
وعاصم بن عمر حكما عمر في : أيها أحسن غناء !

يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فلا يجد أحداً ينصره أو
يحبيه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردون عليه
أقبح الرد ويؤذونه ويقولون له ، « قومك أعلم بك »^(١) .

كان قاصد هذه الأسواق أيام الحج ، موزع السمع بين داع الى
ثار وناشد ضالة ، ومنشد قصيدة ، وخطيب ، وعارض بضاعة ،
وحامل مال لفك أسير ، وقاصد شريف لإجازة او حمالة ، وداع الى
عصية ، وأمر بمنكر ... فيجد شيئاً معروفاً قد ألفه منذ عقل وأبصر
الدنيا . لكنه بعد عام الفيل بثلاث واربعين سنة يجد أمراً لم يألّفه
قط ، ولاسمع بمثله : رجلاً كهلاً وضيقاً عليه سمات الوقار والخير ،
يسأل عن منازل القبائل قبيلة قبيلة : هذه بنو عامر بن صعصعة ، وهذه
محارب ، وتلك فزارة ، والرابعة غسان ، وهناك مرة وحنيفة ، وسليم
وعبس ، وهنا بنو نصر وكندة ، وكعب ، وعذرة ، وهؤلاء الحارث
ابن كعب وأولئك الحضارمة ... الخ

يؤم منازل كل قبيلة ، ويقصد الى شريفها يدعو بالرفق الى الله ،

(١) شرح المواهب ١ : ٣٠٩ . وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/١٥٠

وفعل الخير ، فيتجههم له هذا ، ويعبس ذاك ، ويحييه ذلك ويحقره آخر .. فيلقى من الصدأ ألواناً يضيق ببعضها صدر الحليم ، فلا يؤيسه مالقي ، ولا يكفه ما أودى ، فيمضي متشداً حزيناً الى قبيلة اخرى وشريف آخر : يعرض نفسه عليهم ويقول : « هل من رجل يحملني الى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي . » فلا يجد مجيئاً ، حتى تدارك الله نيته بوفد الأنصار .

هذا ما حفظته لنا كتب السير والأدب من مشاهد مؤثرة ، فرأينا أن تلك الأسواق لم تخل من دعوة الى خير ، فقد تردد في أجوانها الصوت الضعيف الخافت ، يطلب حماية وإجابة . واثن صدف عنه الناس وازوروا في أسواق الجاهلية لقد ملأ هذا الصوت فيما بعد ما بين المشرق والمغرب ، وطبق الخافقين بآثاره التي بها في العالمين رحمة وعدلاً وعلماً وإنسانية وسعادة ومثلاً علياً . وما زال يستجيب لهذا الصوت كل يوم ، أفواج من أمم الحضارة والعرفان ، في آسية وأوربة وأمريكة ، صدت عنه قديماً أجلاف البادين ، وهرع إليه اليوم زُمر المتحضرين من كل عالم ومخترع ومصلح وأديب وسياسي ، ومفكر يستضيء بعلمه وفكره الملايين من الخلائق .

فلنأخذ من هذه الأسواق العبرة ، ولنتحفظ بهذا الدرس ، فإن الحق مهما بدا ضعيفاً وبدا خصيمه الباطل قوياً صائلاً ، لا بد أنه ظافر في النهاية عليه . ولنعلم أن اليأس لا ينبغي أن يجد سيلاً إلى قلب المؤمن ، وأنه :

(لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)

سوق نطاة خير

خير قرية شمالي المدينة ، بينها وبين تبوك . وهي عدة حصون لليهود وفيها مياه ومزارع . ونطاة اسم حصن بها واسم عين أيضاً . وقيل هي خير نفسها . وحول القرية نخيل كثير يسقى بعين فيها والبلدة وبنة معروفة في العرب بحماها .
أهلها يهود استوطنوا الحجاز منذ القديم واشتغلوا بالزراعة والتجارة^(١) .

ونظراً لوقوع هذه القرية على الطريق التجارية الكبرى بين اليمن والشام أسهم أهلها بتجارة الجزيرة ، وكانت إحدى محطات القوافل التجارية في سفرها الى الشام . ونجح أهلها في متاجرهم حتى أفادوا منها غنى واسعاً واستفاضت لهم ثروات طائلة ونشأت فيهم رؤوس الأموال الضخمة . ولا نبعد إذا قلنا إن خير مصرف الجزيرة المالي . ولما فتحها الرسول ﷺ صالح أهلها على الشطر من الثمر والحب . ويذكر أصحاب السيرة غنائم خير وما وجدوا فيها من

(١) انظر ص ٢٢ وما بعدها في هذا الكتاب

كنوز ، فيذكرون أموالاً جمة ودنيا عريضة . بنى اليهود فيها حصوناً عديدة جعلوا فيها أموالهم وميرتهم من طعام وحب وثمر . وهم في الجملة أهل بأس وشكيمة قاوموا كثيراً قبل أن يفتح المسلمون حصونهم ، ثم غلبوا على أمرهم فافتتح المسلمون حصن ناعم ثم القموص ثم حصن الصعب بن معاذ وهو أعظم حصونها غناء وأكثرها طعاماً وودكاً ، ثم الوطيح ، ثم السلام ثم الشق . وكان في الغنائم ذهب كثير وفضة كثيرة ، فجعل الصحابة يتبادلونها حتى نهى الرسول ﷺ أن يتباع الذهب بالذهب والفضة بالفضة . بين تلك الحصون حصن الشق وحصن نطاة وحصن الكتيبة . كان لكل حصن خازن يخبئ أموال أهله وكان كنانة بن الربيع عنده كنز بني النضير فلما أسر سئل عنه فأنكر فاهتدى الفاتحون إليه فوجدوا أموالاً طائلة .

اتسعت تجارات اليهود في خير وغيرها حتى استطاع الرجل الواحد منهم كأبي رافع الخيري أن يسير قوافل تجارية لحسابه إلى الشام . وهم نشروا في الجزيرة التعامل بالربا كما تقدم في أول الكتاب وأثروا إثراء ضخماً . وكلها مرت عير لقريش أو لطيمة من لطائم النعمان قامت لها سوق في خير . وقد جعل المرزوقي زمنها بعد زمن سوق ذي المجاز أي بعد أشهر الحج وقبل أن تبتدىء سوق حجر .

سوق حجر

تقع بلاد اليمامة إلى غربي البحرين وجنوبي العراق . والطريق إليها من العراق وغيره طويلة شاقة . وقصبتها وأمّ قراها (حَجْر) وذكر اللسان أنها (الحَجْر) بالتعريف وحكى فيها الكسر أيضاً . ينزل أمراء اليمامة وولاتها في حجر ، حيث السوق وحيث تجلب إليها الأشياء ، إذ هي مصر اليمامة عامة وفي وسطها . وهي في قاع فيه نخيل وماء وكان به قصور في القديم حين كانت البلدة ذات شأْن . وأصلها لبني حنيفة إلا أنها شركة كالبصرة والكوفة : لكل قوم فيها خطة . لكن العدد فيها لبني عبيد من بني حنيفة وكان قد تحصن فيها مسيلمة الكذاب لما تبعته سجاح المتنبة قبل أن يتزوجها ويقتسما الأرض بينهما . وهي ذات شهرة في العرب ، اشتهرت منها زرقاء اليمامة التي ضرب المثل بحدة بصرها واشتهر أيضاً منها عرافها الذي كان يقصد من بعيد ، والذي روي فيه بيت عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني

حَجْر من الأسواق المتوسطة ، يقصدها العرب لما يقصدون إليه بقية الأسواق من بيع وشراء وتناشد . ثم صار لها في الإسلام

ذكر مكرّر في أحاديث الأدب والأخبار لأنها دار جرير بن الخطفي الشاعر ، وكثيراً ما كان ينزلها أيضاً ذو الرمة ، وكانت في مأمن من السلطان ، لبعدها . وبقيت سوقها حتى آخر العصر الأموي ، وذكروا أن عمران بن حطان هرب من الحجاج إلى اليمامة فنزل بحجر . كان يجري في هذه السوق قريب مما يجري في عكاظ من المفاخرة .

١ - منافرة

قال علي بن شفيع : « إني لواقف بسوق حَجَر ، إذ أنا برجل عليه مقطعات خَزّ وهو علي نجيب مهري ، رجل من هيئته وحالته .. لم أرقط أحسن منه وهو يقول : « من يفاخرني ؟ ، من ينافرني بيني عامر بن صعصعة ، فرساناً وشعراء وعدداً وفعالاً ؟ ، قلت : « أنا . ، قال : « بمن ؟ ، قلت : « ببني ثعلبة بن . . . بن بكر بن وائل . ، فقال « أما بلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن المنافسة ؟ . ، ثم ولى هارباً . فقلت من هذا ؟ فقيل : « عبد العزيز الكلابي . ،

٢- جرير يكي الفرزدق

ولعل أفحل من بها (وبغيرها) من الشعراء في الإسلام جرير ،
كان إذا انتهى من أحداثة الشعرية في العراق أو الشام وملأ الأجواء
بهجائه وفخره ، أوى إلى بلده وقومه الذين ينافح عنهم ، فأكرموا
مشواه وطاروا بأشعاره ، وإن مجلس جرير ليعدّ أحد المشاهد في
سوق حجر :

« كان يوماً جالساً بفناء داره في حجر فإذا راكب أقبل فقال له
جرير : « من أين وضح الراكب ؟ » قال « من البصرة . » فسأله عن
الخبر فأخبره بموت الفرزدق ، فقال :

هلك الفرزدق بعدما جدّ عته^(١) ليت الفرزدق كان عاش قليلاً
فقال له المهاجر : « بش ما قلت ، أتهجو ابن عمك بعدما مات ،
لورثته كان أحسن بك . » ففكر قليلاً ثم قال : « والله إني لأعلم
أن بقائي بعده لقليل ، وإن كان نجمي ليوافق نجمه ، أفلا أريه .. »
فقال له : « لو كنت بكيته مانسيتك العرب . »
ثم قال جرير من أبيات يرثيه :

(١) جدعه : قطع أنفه

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من تقاس تبلت^(١)
هو الوافد المأمون والواثق الرضى إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت .

٣ - شاعر يظاف به مجاوراً

هجا البيث بطناً من باهلة يقال لهم بنو أصخب، فاستعدوا عليه
إبراهيم بن عدي عامل الوليد بن عبد الملك ، فضربه بالسياط وأمر
فطيف به في سوق حجر . ويراه جرير فيقول :

لئن هجوت (بنى صخب) لقد تركوا للأصبحية في جنيسك آثاراً

قوم هم القوم لو عساد الزير بهم

لم يسلموه وزادوا الحبل إمراراً^(٢)

وهكذا كانت سوق حجر خاتمة المطاف لهذه النقائص الممتعة
والحرب السجال الطويلة بين فحلين . أهل شعراء العرب ، استأثر
سوق المربد بالبصرة بأكثرها وختمت هنا في حجر .

ففي هذه السوق إذاً ، آثارات مما كان يكون في عكاظ من بيع
وشراء ومفاخرة ومجالس أدب .

كانت تقوم هذه السوق بين عاشوراء وآخر المحرم .

(١) صغت وعرفت

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٢/٥ - الأصبحية : السياط

سوق دير ايوب

دير أيوب قرية بحوران من نواحي دمشق يزعمون أنها مسكن
أيوب النبي عليه السلام ، وأن الله ابتلاه فيها ويزعمون أيضاً أن
العين فيها هي التي ركضها برجله .

هذا ما ذكره ياقوت . أما القرية فهي الى شمال بصرى وغرب
أفرعات (درعا) وتعرف اليوم باسم (شيخ سعد)^(١) ولا يزال
الى اليوم فيها مقام للنبي أيوب وفيها العين التي أشار إليها ياقوت وهي
من القرى الصغيرة في حوران ، قليلة النفوس والشأن .

ويظهر أن لها في القديم خطراً كبيراً يقارب ما لبصرى فقد
هبطتها منذ سنين بعثة أثرية (تشيكوسلوفاكية) ونقبت في تربتها
فعثرت على آثار رومانية قديمة ، حملت منها الى بلادها قسماً مهماً وكان
في جملة ما عثرت عليه آثار حثية ومصرية وأبقت منها نصباً في دار
العظم بدمشق .

(١) انظر في ذلك (الطبوغرافية الأثرية لسورية وفلسطين) لدوسو ص ٢٤٤

فالبيلة إذن ذات مكانة قديمة لعهد الجاهلية وصدر الاسلام .
ويذكر الطبري^(١) أنه لما « انصرف مروان (الجعدي) منهزماً ،
جمع قومه وجنده ، ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق من معه
وأسر ثلاثة رجال من ولده وهم نعيم ، وبكر ، وعمران فبعث بهم
الى مروان . . . وهو بدير أيوب فأمر بمداواة جراحاتهم . » ثم ذكر
ما يفيد أن مروان جعلها قاعدة حرية لتجهيز جنده وبعثهم الى الاطراف
المنتقضة فيقول : « فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه
البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم حتى حلوا بالرصافة^(٢) . »
وبقيت دير أيوب من القرى المهمة في حوران حتى ضؤل شأنها
كما ضؤل شأن بصرى وأذرعات وسائر حوران .

وهذه السوق أول أسواق الشام قياماً . فكان العرب وقريش اذا
انتهوا من أسواقهم الموسمية : عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وأنهوا حجهم
ورجعت وفود البلدان ، نظموا عيهم وتهيؤوا للسفر الى الشام
فأقاموا تجارتهم فيها وبدؤوا بسوق دير أيوب هذه .

ومتى انتهوا منها وانتقضت اعتدوا سبعين يوماً^(٣) ثم أقاموا

سوق بصرى .

سوق بصرى

بصرى من مشارف الشام وهي عاصمة حوران ومن كبار مدن الشام منذ الزمن الأطول قبل الإسلام ، حتى إن اسمها ليردد في كثير من أشعار العرب . وكان أهل الشام عامة على علاقات متواصلة مع سكان الحجاز ، لكثرة أسفار هؤلاء إلى الشام . وكان النبط كثيراً ما يحملون تجارتهم بين الحجاز والشام وينقلون الأخبار بين البلدين . بل إننا نجد لبصرى من الشهرة في الجاهلية ما لا نجد لدمشق نفسها ، لأنها كانت محطة رحال تجار العرب من بلاد الشام يقصدون إليها بحاصلات الحبشة والهند واليمن . فكانت هذه العلائق سبباً في جريان الألسنة بذكرها دون دمشق التي لا نكاد نثر على ذكر لها في الأشعار القديمة .

كانت بصرى أيام الرومان على جانب من العظمة والمكانة وقد أنجبت أحد أباطرة الرومان : « فيليبس » الذي نصب إمبراطوراً سنة (٢٤٤) من الميلاد فقد كان عربياً من بصرى حوران . جاء في خطط

الشام^(١) في صدد الكلام على حوران وعمرانها :

« ولا تزال خرائب بصرى عاصمة حوران وأحسن مدن
(باشان) ومقل الرومان ، شاهدة بما كان في بلاد تلك المدينة من
الفخامة والعظمة . وكان طولها داخل السور كما قال بورتز ميلاً وربع
ميل وعرضها ميلاً . ويحيط بالسور ربض كثير المباني ، ومحيطها
خمسة أميال ، لها سور عالي الجدران وثيق البنيان ، وقلعة لا أحسن
منها في عامة بلاد الشام . ويقطع المدينة شارع كبير على طولها يمر في
وسطها له بابان جميلان على طرفه ، وشوارع رحبة ، وفيها ما يفوق
الوصف من غرائب الصناعة . وبدائع البناء ، وأساليب النقش في
الهيكل والكنائس والقبور والمذابح ، ورُكّام الاقناض ويوت
الأقدمين . وقوس نصر أقيم للقائد فيليبس الذي صار إمبراطوراً وهو
من أهالي بصرى . والمشهد نصف دائرة قطره (٢٧١) قدماً وهو
مكشوف من الأعلى مثل كل المشاهد الرومانية . وفيها مشيدات
وسنة هياكل وعشر كنائس . عدا القصور والحمامات والسبل
والقنوات وأقواس النصر وغير ذلك من المباني الكثيرة . وبعضها
ما يصلح أن تزدان به أعظم عواصم أوروبة الآن . » اهـ

ونظراً لمركزها التجاري المهم وكونها سوقاً عامة للقوافل الآتية من جزيرة العرب وتوسطها بين أماكن قبائل النبط والبدو وغيرهم حصنها الرومانيون وعنوا بها عناية فائقة وجعلوا فيها الحاميات القوية لمراقبة قبائل الصحراء وحركاتهم ، فهي قلعة الرومان في وجه البادية والصحراء ، ومعقلهم يصدون منها ما قد تتعرض له الشام من هجمات القبائل .

انتظم سير القوافل التجارية العربية إلى بصرى قبل الإسلام بزمان طويل . وكان رحل إلى الشام فسكنها وماحولها : عرب من اليمن بعد حادث سيل العرم . وكانت تزرع لها الشهرة قبل هذا الحادث أيضاً فقد جاء في الأغاني :

لما أرسل الله سيل العرم . على أهل مأرب قام رائدهم فقال : من كان يريد الخمر والخير ، والأمر والتأثير ، والديباج والحرير ، فليلق ببيصري والحفير ، وهي من أرض الشام فكان الذين سكنوه غسان . اهـ

ولما عظم أمر قریش صارت غيرهم ترد بصرى في مقدمة ما ترد من مدن الشام وتعددت أسفارهم إليها ، وليس في قریش تاجر إلا رحل إليها مراراً وعرفها حق المعرفة ، كما عرف أغلب مدن الشام ، فاستفادوا من خبرتهم بهذه

الديار فوائد جلتى لما بدأت الفتوحات بعد الإسلام . وفيما يذكر رواة الأخبار دليل على احتفال العرب ببصرى وسوقها ، فيروي الحافظ ابن عساكر مثلاً عن الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله أحد العشرة أنه قال : « كنت في سوق بصرى ، فإذا راهب في صومعته يقول : « سلو أهل هذا الموسم : أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ » فقال طلحة : « نعم أنا ، فقال : « هل ظهر أحمد بعد ؟ » .. الخ ^(١) فالموسم جامع للناس من أقطار شتى وأهل الحرم ممن يرد .

وكتب السيرة تذكر أن رسول الله ﷺ سافر إليها مرتين : مرة طفلاً ومرة تاجراً ابن خمس وعشرين سنة ^(٢) وتزعم اجتماعه بأحد الرهبان في دير ^(٣) هناك ، وأن الراهب دعا إلى وليمته جميع من في العير... مما يدل على

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧٣/٧

(٢) انظر ص ١١٣ من هذا الكتاب

(٣) جاء في مسالك الأبصار ١ : ٣٤٧ ما يأتي :

دير بصرى : هو بالشام ، وقيل هو الذي كان فيه بحيرى الراهب ، حكى المازني : قال : نزلت بدير بصرى . فرأيت في رهبانه فصاحة ، وهم عرب متنصرة من طيء من بني الصادق ، أفصح من رأيت . فقلت لهم : مالي لا أرى فيكم شاعراً مع فصاحتكم ، فقالوا والله ما فينا رجل ينطق بالشعر ، إلا أمة لنا كبيرة =

وجود العلائق بين الفريقين وتفاهمهم معاً باللغة العربية . بحيث يجوز لنا أن نعد كورة بصرى قطراً عربياً في الجاهلية . وقد راسل رسول الله ملك بصرى عاصمة حوران فأرسل إليه كتاباً مع الحارث بن عمير كما بعث الى غيره من الملوك . ولما كانت خلافة أبي بكر لم يفت المسلمين شأن بصرى وعظمتها ، فكانت أول ما فتحت صلحاً بعد حصار قليل ، لما سار خالد بن الوليد من العراق لمدد أهل الشام وقدم على المسلمين وهم نزول بصرى ، وضايقوا أهلها فصالحوهم ، على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة ثم افتتح المسلمون حوران جميعها وقد تم ذلك سنة ١٣ للهجرة . قال القعقاع بن عمرو يذكراً أمر بصرى هذا وقد كان في الجيش المحاصر .

بدأنا بجمع الصُفَرين فلم ندع لغسان أنفاً فوق تلك المناخر

= السن . قلت : جيئوني بها . فجاءت ، فاستنشدتها فأنشدتني لنفسها :
 = أيا رفقة من آل بصرى تحملت تؤم الحمى لُقيت من رفقة رشدا
 إذا ما بلغت سالمين فبلغوا نحية من قد ظن أن لا يرى نجدا
 وقولوا : تركنا الصادري مكبلاً بكبل هوى من حبكم ، مضرا وجدا
 فيا ليت شعري هل أرى جانب الحمى وقد أنبت أجراعه بقلا جعدا
 وهل أردت الدهر ماء رقيقة كان الصبان سدى على منته بُردا
 فوهبت لها دربهات . وبت في دبرهم وأكرموا ضيافتي .

صبيحة صاح الحارثان ومن به سوى نفر نجتذهم بالبواتر
وجئت إلى بصرى وبصرى مقيمة فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس في اليرموك جمع العشائر
ونحن - وإن لم يكن في يدنا نص عربي قديم يشير إلى غناها
و كثرة أرزاقها - نجد في شروط الصلح ما يدل على وفرة خيراتها ،
حتى لقد ادعى صاحب بصرى مرة أنه صالح المسلمين على طعام و خل
وزيت فكذبه أبو عبيدة ^(١) . كما أن في كثرة ورودها على ألسنة الشعراء
ما يدل على شأنها ، فإننا إذا أردنا التقصي تعذر علينا إحصاء ما في الشعر
القديم من مثل :

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا رسالتنا لقيت من رفقة رشدا ،
وقول الصمة بن عبد الله القشيري :

نظرت و طرف العين يتبع الهوى بشرقي بصرى نظرة المتطاوّل
وقول المتأسس (وهذا كان له ولد يقال له عبيد المنان هلك
ببصرى ولا عقب له) :

لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق إذا ديس الكراديس

(١) طبقات ابن سعد

وقول الآخر :

ولو أعطيت من يبلاد بصرى وقنّسرين من عرب وعجم
وورد في كتب السيرة ذكر لقصور بصرى هذه .

* * *

لم ينقطع قيام سوق بصرى بعد الاسلام بل زاد أمد قيامها .
وكان العرب في جاهليّتهم اذا انتهوا من سوق دير أيوب أقاموا سوق
بصرى حيث كان يشرف عمال الرومان . وتطول مدة هذه السوق
طويلاً يتناسب هو وما قطعوا في سفرهم إليها من زمن . وقد بقيت
تلك السوق حتى زمن المرزوقي (القرن الخامس الهجري) إذ ذكر
أنه أدركها تقوم خمساً وعشرين ليلة ، ونقل أنها كانت تقوم بولاية بني
أمية من ثلاثين ليلة الى أربعين وهي مدة طويلة ليس للعرب مثلها
في عامة أسواقهم .

اشتهر لبصرى نوعان من البضاعة اختصت بهما . أما الأول فالخمر
لأنها كانت من مدن الشام التي يحمل منها الخمر ^(١) ويتبجح العرب
بذكرها . قال ابو ذؤيب الهذلي يذكر خمرتها :
سُلّاقة راح ضمنتها إداوة مقيرة ردف لمؤخرة الرحل

(١) كذلك صرخد ، وحلبون كانتا مشهورتين بخمرهما أيضاً .

تزودها من أهل بصرى وغزة على جسرة مرفوعة الذيل والكفل^(١)
وأما الثاني فالسيوف وقد اشتهرت بصنعها بصرى كما اشتهر
كثير غيرها من قرى الشام التي تدنو من الريف حتى قيل للسيف
« مشرفي » نسبة الى مشارف الشام وبصرى أحدها فتنسب إليها
السيوف البصرية قال الشاعر :

يعلون بالقلع والبصريّ هامهم^(٢)

وقال الحصين بن حمام المري يصف خيل الغارة :

عليهن فتیان كساها مُحَرَّق وكان اذا يكسو أجاد وأنما
صفائح بَصْرِيْ أخلصتها قيونها ومُطَرَّد آمن نسج داوود معلما^(٣)
وأمر هذه السوق من إشراف ومكس ، الى عمال الروم عليها
وكثيراً ما يكونون عرباً من غسان .

(١) مر مرجعها ص ٣٤٥

(١) القلع : فأس صغيرة تكون مع البناء ، ومعدن ينسب إليه الرصاص

الجيد . (٢) الصفائح : السيوف . والقيون : الحدادون . والمطرّد : الدرع .
والمُعَلَّم : ما عليه علامة .

سوق أذرعات

أذرعات بلد بالشام قرب البلقاء (وهي اليوم تعرف بدوعا)
أمرها قريب من أمر بصرى وتليها في الشأن ، وعلائق العرب التجارية
بها في الجاهلية كعلائقهم ببصري ، واستفاضتها على ألسن شعرائهم
تشبه ما لبصرى ، من مثل قول امرئ القيس :
تورّتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي^(١)
وقول الآخر :

وهيجتني من أذرعات وما أرى بنجد على ذي حاجة طرباً بعدا ؟
واشتهرت بنخمرها في الشعر فقال أبو ذؤيب الهذلي :
فما إن رحيقٌ سبّتها التجا ر من أذرعات فوادي جدّر
وقال :

فما فضلة من أذرعات هوت بها مذكرة عَنَس كهادية الضحل^(٢)

(١) تورّ الناس من بعيد : أبصرها . (٢) المذكرة : الناقة العظيمة
الرأس . والعَنَس : الناقة الصلبة . والضحل : الماء القليل . وهادية الضحل
وأثانه : صخرة على فم الرّكبة ، ملساء أو بعضها وبعضها غائر . ديوان
الهذليين ٣٩/١ (طبعة دار الكتب المصرية) .

سلاقة راح . . . الخ ، وتنسب إليها فيقال خمر أذرعية .
كان يحكمها في الجاهلية عمال للروم فلما جاء الإسلام صولح أهلها
ونالوا عهداً لأنفسهم وبلدهم . فلما كانت جيئة عمر إلى الشام استقبلوه .
قال عبد الله بن قيس :

« كنت بمن لقي عمر مع أبي عبيدة مقدّمه الشام ، فبينما عمر
يسير إذ لقيه المقلّسون ^(١) من أهل أذرعات بالسيوف والريحان فقال
عمر : « مه ، امنعهم . » فقال أبو عبيدة : « يا أمير المؤمنين هذه
ستهم ، وإنك إن منعتهن منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم . » فقال
عمر : « دعوهم . »

تقوم هذه السوق بعد سوق بصرى بسبعين ليلة ^(٢) . ويطول
أمدّها . والغالب أنهم يقيمونها مدى الصيف . وبقيت هذه السوق
قائمة بعد الإسلام بكثير ، فقد أدركها المرزوقي ووصف طول قيامها
بقوله : « وسوق أذرعات اليوم أطولها قياماً وربما لقيت الناس
صادرين منها وأنا وارد . »

(١) التّغليس : الضرب بالدّف والفناء واستقبال الولاية عند قدومهم
بأصناف الهر ، وأن يضع الرجل يديه على صدره ويخضع - القاموس .
(٢) الازمنة والامكنة ٢ : ١٧٠ .

سوق الحيرة

لم يذكر هذه السوق أحد ممن تعرض لذكر أسواق العرب مع
عظم شأنها وقصد تجار العرب إليها . وليس من المعقول أن تقصد
قرش وأهل الطائف ، فارس ، للتجارة فيها ولا يكون لهم أسواق
موسمية في العراق وهي طريقهم وأهلها عرب .
إلا أن في الأغاني ما يدلنا على أن بها سوقاً عظيمة موسمية ، قال
أبو الفرج :

« خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه عطر
يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة^(١) . »
وبلدة كالحيرة بعيدة الصيت في جزيرة العرب ، يتحدثون بخصيها
وعظمتها ومنازلها... وأحداث ملوكها بني نصر ، وعلاقاتهم مع من
جاورهم من العرب ، ويتحدثون عن الشعراء العظام الذين قصدوا
ملوكها للنوال والهبات كالنابغة الذبياني والأعشى وحسان بن ثابت
وغيرهم... بلد كهذا لا بد أن يكون مرتبطاً بما جاوره من الأقاليم

ارتباطاً تجارياً وثيقاً ، وهي أولى من بصرى وأذرعاً بأن يكون فيها للعرب أسواق عامة .

ويطلعنا التعمق في التنقيب على أسواق ثانية تقام في أماكن من العراق ولا تقتصر على العرب وبضائعهم ، بل يخالطهم فيها أجانب من فرس وغيرهم ويحمل إليها متاع الهند وفارس كما يحمل إليها أمتعة الشام واليمن والبحرين فقد جاء في الطبري عند كلامه على فتوح العراق :

« سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس ويجتمع بها ربيعة وقضاة يخفرونهم ... قال رجل من أهل الحيرة للمثنى : « ألا ندلك على قرية يأتيا تجار مدائن كسرى والسواد وتجتمع بها في كل سنة مرة ، ومعهم فيها الأموال كبيت المال ؟ وهذه أيام سوقهم ... » فصباحهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف ... وأخذوا ماشاؤوا . وقال المثنى : « لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته . وهرب أهل الأسواق وملا المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء ... »^(١)

* * *

الحيرة مدينة واسعة الشهرة منذ القديم . ذكروا أن بناها
بختصر ، وأنه بناها لتجار العرب الذين وجد بحضرته ثم صارت من
بعده عاصمة ملوك العراق حتى إن الطبري ليدكر أن لها قبل الاسلام
أكثر من خمسة قرون ^(١) . وموضعها الى شمال الكوفة على ثلاثة
أميال منها . طيبة الهواء كثيرة البساتين . ورد ذكرها الشعراء منذ
الجاهلية وفتنوا بها وبخمرها وحاناتها وأديارها فكانت بحق مقصف
العرب عامة . ونسبوا إليها فقالوا : (حاري) على غير القياس ؛ وقالوا :
(حيري) على القياس ، فمن الأول قول عمرو بن معد يكرب :

كأن الإثم الحاري منها يسف بحيث تبتدر الدروع ^(٢)

ومن الثاني قول بعضهم :

فلما دخلنا ساء أضفنا ظهورنا الى كل حاري قشيب مشطب ^(٣)

ولها تاريخ طويل يدل على قدمها وشهرتها قبل الإسلام وأنها
كانت ميداناً لحوادث جسام ليس هذا مقام سردها فليرجع إليها
في مظانها .

(١) تاريخ الطبري ١ : ٧٤٨ طبع أوردية

(٢) الإثم : حبر الكحل . وأسف الجرح دواء : أدخله فيه .

(٣) الحاري : السيف ، والمعنى أنهم احتبوا بالسيوف - لسان العرب ،

مادة (حير) .

وذكر ياقوت في سبب بنائها أن : ، يختصر قد جمع من كان في
بلاده من العرب بها فسمتها النبط أنبار العرب . . . فصار في الحيرة
من جميع القبائل من مذحج وحمير وطى وكلب وتيم وتنوخ . . . فأهل
الحيرة ثلاثة أصناف : فثلث : تنوخ وهم كانوا أصحاب المظالم
ويوت الشعر ينزلون غربي الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها .
والثلث الثاني : العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها ، وهم
قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا هناك ، وثلث : الأحلاف وهم
الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها . . . وأشار إلى بعض هؤلاء الشعاع :
وغزا تبع في حمير حتى نزل الحيرة من أهل عدن
واشتهر في ظاهر الحيرة بناءان عظيمان هما قصر الخورنق وقصر
السدير . وبقيت مسكن ملوك العرب من بني نصر ولحم حتى كان
آخرهم المناذرة الذين اتقضى ملكهم بالإسلام .

ارتباط هذه البلدة بفارس وخضوع أمراءها لهم وكثرة العلاقات
بين البلدين ، وسع أفقها التجاري وأكثر فيها الغنى والترف وأحدث
فيها نوعاً من الثقافة ليس في غيرها . فقد مر بك أنت قريشاً تعلمت
الكتابة من أهل الحيرة ، وأن الذي قرأ صحيفة المتأس غلام حيري ،
وأن النضر بن الحارث شيطان قريش تعلم من الحيرة أخبار ملوك

فارس وأحاديث دياناتهم وأساطيرهم فكان إذا جلس رسول الله يدعو قريشاً إلى الاسلام ويحذرهم ، خلفه في مجلسه قصص عليهم من أحاديثه التي نقلها من الحيرة ، وعلمت أن لقريش رحلات وقوافل تجارية إلى الحيرة، وأن للنعمان ملك الحيرة لطائم يجهزها إلى عكاظ كل سنة . وهذا الاختلاط الشديد بين أهلها والفرس والأنباط جعل أنساب الحيريين في منزلة دون منزلة بقية أنساب العرب ، حتى إن من العرب من يُعبر بالنسب إلى الحيرة . وانظر إن شئت ما كان بين قيس بن عاصم وعمرو ابن الأهتم بين يدي رسول الله ﷺ فقد جاء في الاغاني أن قيس ابن عاصم قال في عمرو : « والله يارسول الله ما هم منا ، وإنهم لمن أهل الحيرة !! » وقال فيه :

لولا دفاعي ككنتم أعبداً مسكنها الحيرة فالتسلحون

فقال عمرو بن الأهتم متأثراً بهذا التعبير الذي لم يجد له ما يفي به إلا أن ينسب خصمه إلى الروم : « بل هو يارسول الله من الروم وليس منا . » ثم قال :

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب^(١)
هكذا وإن نحن استرشدنا بنتف من الاخبار تأتي عرضاً في

مطاوي الكلام ، عرفنا أن للحيرة شأنًا تجاريًا ممتازاً ، وأن عادة العرب جرت منذ القديم بالتجارة الى الحيرة ، وأنها كانت تؤمها القوافل الكبرى التي تقصد البرّ حاملة متاجر الهند من عُمان الى الشام ، فكانت الحيرة محطة كبرى لتلك القوافل المحملة . وكان أكثر الطُراء عليها تجاراً يختلفون إليها ^(١)

ولما قتل الشَّيْظَم بن الحارث الغساني رجلاً من قومه وهرب الى الحيرة تظاهر بأنه « رجل من خير أقبل إلى هذه البلدة بتجارة » ^(٢) .
وخرج خمسة نفر من طيء من ذوي الحجا والرأي يريدون سواد بن قارب الدوسي ليمتحنوا علمه .. فأهدوا اليه طرفاً من طرف الحيرة فضرب عليهم قبة ونحر لهم .. ^(٣) ،

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن الأعشى باع في سوق الحيرة « كبرشاً مدبوخة مملوءة عنبراً بثلاثمائة ناقة حمراء » ^(٤) ،

مما تقدم ، ومما سند ذكره بعد قليل ، يتبين أن للحيرة مع شأنها التجاري شأنًا صناعياً راقياً حتى صارت طرفها مما يتهادى به ، وليس

(١) الطبري ١ : ٢٦٧٧ . (٢) الامالي : النوادر ص ١٧٩ طبعة دار

الكتب المصرية . (٣) المصدر نفسه ٢ : ٢٨٩ . (٤) الاغانى ٩ :

١٢٥ دار الكتب .

هذا بغريب فإن اختلاطها الواسع بفارس جعل أهلها يحذقون صناعات كثيرة مما أفادوه من الإيرانيين ، والمعروف أن سجاجيد ذات زخارف حيوانية كانت تصنع في الحيرة قبيل الإسلام ،^(١)

يعرض في هذه السوق الأدم والعطر والبرود والجواهر والخيل والاموال وسائر ما يعرض في بقية أسواق العرب ، مما يحمل من الشام أو اليمن أو عمان أو الحجاز أو البحرين أو الهند وفارس ، عدا ما يحمل الأعراب إليها من إبل وشياه وقرود أحياناً^(٢) وفيها أيضاً إلى هذا ، أدب وشعر وخطابة ومنافرات ومماجدة كما يكون في غيرها من الأسواق ، وسنعرض لبعض ما يجري فيها بعد قليل .

فلما كان الإسلام تضاعف شأنها التجاري ، وانصرف الناس إلى الفتوحات فلم يمض القرن الأول للهجرة حتى صارت الحيرة ذات لون أخاذ يفتن الشبان وأهل اللهو والمجون . فطار لها صيت بعيد ساحر في منازلها وخمرها وحاناتها^(٣) وأديارها ، وصرنا بعد هذا

(١) زكي حسن (مجلة المقتطف ، عدد يوليو سنة ١٩٣٨ ص ٢٣٣)

(٢) الأمازي : ٢ : ٤٤ . وانظر تاريخ ملوك الحيرة الأعظمي ص ١٣٦

(٣) عقد صاحب مسالك الأبصار فصلاً في كتابه عن حانات الحيرة فراجع

إليه في ١ . ٣٨٩ - ٢٩١ وكذلك من في أديارها .

الزمن لانبجذ ذكراً للحيرة إلا حيث مجلس شراب ، وجماعة قصف
وبذخ ، وخليفة يخرج للترويح عن النفس ، وفتيان سثموا حياة الجد
فخرجوا الى الحيرة فقلوا أحد أديرتها أو إحدى حاناتها فذبجوا
وطعموا وشربوا وغنّوا وأنشدوا . وأثرى أصحاب الحانات من
وراء ذلك إثراء عظيماً فصاروا يتنافسون بتجويد الخمر ، وجذب الزائرين
حتى كثر الذين ذهبت ثرواتهم وفدّ حهم الدين من جراء خمرة الحيرة .
« ولما حرم بعض امراء الكوفة بيع الخمر على نخاري الحيرة
وركب فكسر نبيذهم . . جاء بكر بن خازجة يشرب عندهم على
عادة ، فرأى الخمر مصوبة في الزجاج والطرق ، فبكى طويلاً وقال
شعراً^(١) ويظهر ان الأمراء لم يشددوا على الخمارين حتى رأوا من
إقبال الفتيان عليهم الشر المستطير ، وحتى كانت رجال كأبي حية
التميري يشربونها في الحيرة بنسيئة ، وصارت السكرة في الحيرة
إحد المنى الغالية :

هل إلى سكرة بناحية الحية رة يوماً قبل المات سليل ؟
أما بساتين الحيرة فحدث ولا حرج عما فيها من منازة نضرة
وفتنة تحير اللب وتأسر العقل ، وحسبك أن تعلم أن إبراهيم الموصلي

خرج في ركب الرشيد إلى الحيرة ، فلما نام الرشيد اغتسم غفلته
فركب يدور في ظهر الحيرة فنظر إلى بستان فقصدته فإذا على بابه
شاب حسن الوجه . . وإذا جنة من الجنان في أحسن تربة وأغزرها
ماء . . . فقال فيه :

جنان شبارى ليس مثلك منظر لذي رَمَدٍ أعياء عليه طيب
ترابك كافور ونورك زهرة لها أريج بعد الهدوء طيب
ثم صنع فيه لحناً وغناه الرشيد ، فأعطاه ثمن البستان أربعة
عشر ألف دينار .

لم نهتد إلى الزمن الذي تقوم فيه هذه السوق . أما رَيع الطريق
فقد جعله النعمان طُعْمَةً لبني لام من طيء لأنهم أصهاره^(١) ونظراً
لوقوع هذه السوق في سلطة المناذرة كانت كانت عشورها اليهم لأنهم
هم المسيطرون عليها . والأمر فيها على كل حال اكمل وأتم من بقية
الأسواق من حيث النظام والأمن لأنها في أرض مملكة .

واليك الآن مشاهد مما كان يجري في تلك السوق على سبيل
المثال ، ولا تعجب إذا كانت أكثرها في الخمرة لأن الخمرة والنضرة
والعزف والشعر والغناء ، هن الطابع الخاص للحيرة :

١ - مناقرة حامية

خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه عطر يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليها العرب كل سنة . فمر بحاتم بن عبد الله الطائي ، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة ، فأجاره . ثم أمر حاتم بجزور فتعرت وطبخت أعضاء فأكلوا .

ومر حاتم بسعد بن حارثة بن لام (وكان النعمان جعل ربيع الطريق لبني لام لأنهم أصهاره) وليس من بني أبيه غير ابن عمه ملثعان ، فوضع حاتم سقرته وقال : « اطعموا حيّاكم الله . » فقالوا : « من هؤلاء معك يا حاتم ؟ » قال : « هؤلاء جيرانني . » قال له سعد : « أفأنت تجير علينا في بلادنا ؟ » قال له : « أنا ابن عمكم وأحق من لا تخفرون ذمته . » فقالوا : « لست بهذاك . » وأرادوا أن يفضعوه كما فضع عامر بن جويثن قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول أحدهم حاتم فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ، ووقع الشر حق . تحاجزوا ، فقال حاتم :

وددت وبيت الله لو أن أنفه	هواء كما مت الخياط عن العظم
ولكننا لاقاه سيف ابن عمه	فأب ومرت السيف منه على الحطيم ^(١)

فقالوا لحاتم : « بيننا وبينك سوق الحيرة فمناجذك ونضع الرهائن . » ثم نفذوا ما قالوا فوضعوا تسعة أفراس رهناً على يد رجل من كلب ، ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة .

وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي ، فخاف أن يعينهم النعمان ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه ، فجمع إياس رهطه من بني حية وقال :

« يا بني حية إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمك في مجاده . » فقال رجل منهم : « عندي مئة ناقة سوداء ، ومئة ناقة حمراء أذماء ، وقام آخر فقال : « عندي عشرة حصن ، على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه » وقال حسان بن جبلة الخير :

« قد علمت أن أبي قد مات وترك مالاً كثيراً ، فعليّ كل نمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة ! »

ثم قام إلياس فقال : « عليّ جميع ما أعطيتكم كلكم . » وكان هـ تم لا يعلم بشيء مما فعلوا . فذهب إلى مالك بن جبار ابن عم له بالحيرة كان كثير المال ، فقال : « يا بن عم ، أعطني على مخايلتي (مفاخرتي) » فقال مالك : « ما كنت لأخرب نفسي ولا عيالي وأعطيك . » فانصرف عنه . ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له وهم بن عمرو ، وكان حاتم يومئذ م صارماً له لا يكلمه ، فقالت له امرأته : « أيّ وهم ! هذا والله أو سفانة حاتم ، قد طلع . » فقال : « مالنا ولحاتم ، ثببني النظر . » فقالت : « حاتم ! » قال : « وبجك ، هو لا يكلمني ، فما جاء به إليّ ؟ » فنزل حتى سلم عليه فرد سلامه وحياء ثم قال : « خاطرت على حسبك وحسبي . » قال : « في الرحب والسعة ، هذا مالي (وعدته يومئذ تسعمائة بعير) تأخذها مئة مئة ، حتى تذهب الإبل أو تصيب ماتريد . » فقالت له امرأته : « أنت تخرجنا عن مالنا وتفضع صاحبنا (تعني زوجها) ؟ » قال :

« اذهبي عني فوالله ما كان الذي غمك ليروني عما قبلي . » ثم إن إلياس بن قبيصة قال : « احملوني إلى الملك . » وكان به نقرس ، فحمل حتى أدخل عليه . فقال : « أنعم صباحاً أييت اللعن . » فقال النعمان : « وحيّاك إلهك . » فقال إلياس : « أتد أختانك بالمال والحيل وجعلت بني ثعل في نعر الكنانة ؟ ^(١) أظنّ

(١) الأختان : الأصهار . والكنانة : حبة السهام .

أختانك أن يصنعوا بجاتم كما صنعوا بعامر بن جُؤَيْن ، ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ؟ فإن شئت والله نأجزئك حتى يسفح الوادي دماً ، فليحضروا لمجاهد غداً بجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب في وجهه وقال له :

« يا أحلنا لا تغضب فاني سأكفيك . »

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه : « انظروا ابن عمكم حاتمًا فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه ، وما أطبق حبه »

فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا له : « أعرض عن هذا المجاهد . » وتركوا أرضه أنتف صاحبهم وأفراسهم وقالوا :

« قبحها الله وأبعدنا ، فانما هي مقاذيف . »

فقدوا لها حاتم فعقرها وأطعمها الناس^(١).

٢ — حرمه شاعر في ولده

قدم لبسطة بن الفرزدق الحيرة فمرّ بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقرّوه ثم قالوا له : « من أنت ؟ » قال : « ابن شاعركم ومادحكم ، أنا ابن الذي يقول :

أضحي لتغلب من نيم شاعر يرمي الأعادي بالقريض الأثقل^(٢)

(١) الاغاني ١٦ : ٩٥ . والأرض : الدية .

(٢) ثقله : ثمره بمرة واحدة . وثقل الرحي : وضع تحتها ما يقبها من الأرض ولا ينفلون الرحي إلا إذا كانت طاحنة .

إن غاب كعب بني جُعَيْل عنهم وتنثر الشعراء بعد الأخطل
يتباشرون بموته ووراءهم مني لهم قِطْعُ العذاب المرسل .
فقالوا له : « أنت ابن الفرزدق إذن ؟ » قال : « أنا هو . » فتنادوا :
« يا آل تغلب ، افضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه . »
فجعلوا له مئة فاقة وساقوها إليه فانصرف بها^(١).

٣ - علي بن

شرب 'ظفيم الأسدي بالحيرة ، فأخذه العباس بن معبد المري ، وكان
على شرط يوسف بن عمر ، فحلق رأسه ، فقال :

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط إذا حلف الأيمان بالله برت
لقد حلقوا منا غداً كأنها عناقيد كرم أينعت فاسبطرت^(٢)
يظل العذارى حين تخلق لتي على عجل يلقطنها حين جزت^(٣)

٤ - صمارة وشرطي

كان الأقبشير الشاعر يكتري بغلة أبي المضاء المكارى فيركبها إلى
الختارين بالحيرة ، وكانت لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم : يجعل
درهمين في كرى بغل إلى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهماً للطعام .. فيقال
إنه دفع ثمن البغل في الكراء^(٤) .

(١) الاغاني ١٩ : ١٣ .

(٢) الفدا الفأسود : يعني شعره . واسبطرت : طالت وامتدت .

(٣) الاغاني ٨ : ١٧٩ (دار الكتب) . والمة : الشعر المجاوز شعبة الاذن .

وجز الشعر : قصه .

(٤) الاغاني ١٠ : ٨١ .

شرب يوماً في بيت خمار بالحيرة فجاء شرطي من شرط الامير ليدخل عليه ، فغلقت الباب دونه ، فناداه الشرطي : « اسقني نبيذا وأنت آمن » فقال : « والله ما آمنك ، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده ، وأنا أسقيك منه . » ثم وضع أنبوباً من قَصَب في الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل ، والشرطي يشرب من خارج للباب حتى سكر ، فقال الأفسر :

سألني الشرطي أن نسقيه فسقيناه بأنبوب القصب
لما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب^(١)

٥ - مسج

قد جرت الطير أبا منينا

قالت - وكنت رجلاً فطيناً - :

هذا ورب البيت إسرائئنا^(٢) .

قال أبو بكر في كتاب المتناهي في اللغة : « هذا أعرابي أدخل قرداً

الى سوق الحيرة ليبيعه ، فتظرت اليه امرأة فقالت : « مسخ » فقال هذه الايات .

(١) الاغاني ١٠ : ٨٦ . هذا وقد قال عبد الملك بن مروان للأقبر : « أنشدني

أبياتك في الحيرة . » فأنشده :

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيا في الإناه قطوب

كفيت اذا فئت في الكأس وردة لها في عظام الشارين ديب

فقال : « أحسنت ، ولقد أجدت وصفها ، وأظنك قد شربتها ! » فقال : « والله يأمر

المؤمنين إنه ليربيني منك معرفتك بهذا ١١ » .

والقذى : الوسخ في الشراب . والكفيت : الاشقر .

(٢) الامالي ٢ : ٤٤ وإسرائين : اسرائيل ، وأوردها الثعالي في فصل (ماتعاقب فيه

اللام والنون) .

٦ - وطنية صادقة

أنتم الكلام عن الحيرة بهذا الدرس البليغ الذي ألقاه علينا أحد فتيان الحيرة منذ ثلاثة عشر قرناً في حب الوطن ونصرته . وهو درس عملي يخلق بقيادة الفكر وزعماء العرب أن يستفيدوا منه فيكونوا قدوة في الوطنية العملية الحقيقية .

بلغ العرب في الاعتماد على أنفسهم والاقتصار على صناعاتهم في جميع شؤونهم أمراً عجيباً ، حتى إن بلدة كالحيرة ليست من البلدان الكبرى حينئذ في الأقطار الإسلامية ، استطاع أهلها أن يعتمدوا على محصول بلادهم ويكتفوا به في كل حاجاتهم حتى الكهالية منها . نرى ذلك في هذا الخبر الطريف الذي سنرويهِ لك عن الأغاني ونود لو جرؤنا على تقليد أسلافنا في مكرماتهم تلك ، إذاً لكننا حذقنا درساً في الإخلاص الصادق للوطن ، ولما استعبدتنا أموال الغرب وشركائه ، ولما كنا جميعاً رجالاً ونساء وأطفالاً ، جنوداً لهم - على رغم أنوفنا - نوطد أقدامهم في بلادنا بما نتهافت على استهلاكه من بضائعهم ، وبما يطير من جيوبنا إلى خزائهم ومصانع أسلحتهم من أموال باهظة ، لا داعي إلى تبذيرها إلا التقليد الأعمى وقشور التمدن السفيف والتوف الكاذب ، واليك هذه الطريقة الثمينة :

« كان بعض ولاية الكوفة يذم الحيرة أيام بني أمية ، فقال له رجل من أهلها وكان عاقلاً ظريفاً : « أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟ » .

قال : « وبماذا تمدح ؟ » قال : « بصحة هوائها وطيب ماؤها ونزعة ظاهرها : تصالح الخف والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبر

وبحر . محل الملوكة ومزارعهم ومسكنهم ومشوام ، وقد قدمتها أصلحك الله 'خفياً فرجعت متقبلاً وزرتها مقلاً' فأحارتك كثيراً . قال : « فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ » قال : « بأن تصير إلي » ، ثم ادع ما شئت من لذائذ العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه ! ، .

قال : « فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك » قال : « أفعل . » فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها ، وما صيد من وحشها : من طياء ونعام وأرانب وحبارى . وسقام ماءها في قلالها ، وخرها في آينتها ، وأجلسهم على رقبها (وكان يتخذ بها من القروش أشياء ظريفة) . ولم يستخدم لهم حراً ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها من خدم ووحائف كأنهم اللؤلؤ ، لغنم لغة أهلها . ثم غنام حنين (الحيري) وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى ممدان ، لم يتجاوزهما ، وحيام برياحينها ، ونقلهم على خمرها ، وقد شربوا بفواكهها . ثم قال له : « هل رأيتني استعنت على شيء بما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسممت بغير ما في الحيرة ؟ » .

قال : « لا والله » ولقد أحسنت صفة بلدك ونصرتك فأحسنت نصرته والخروج بما تضمنته ، فبارك الله لكم في بلدكم^(١) .

(١) الاغاني ٢ : ٣٥٩ (دار الكتب)

الظلف : لغير كالحف لغير وكالحافر للفرس . والحبارى : طائر طويل المنق ومادي اللون في منقاره بعض طول . والرقم : ضرب يحط من الوشي أو الخز . والوحائف جمع وصيفة : وهي الجارية البالغة حد الخدمة وكذلك الوشيف . وتقليم : أطعمهم النقل ، والنقل : ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفاع وغيرها .

أسواق العرب

ب — في الاسلام

الأسواق في الإسلام

لم يعد - وقد تحضر العرب - من حاجة إلى مواسم وأسواق على ما كان عليه الحال في الجاهلية ، لأن العرب سكنت المدن الكبار من بلاد الشام والعراق ومصر وفارس والروم، ومصرت هي لأنفسها أمصاراً عظم شأنها مع الزمن كالكوكة والبصرة وبغداد والقيروان ...

فصارت تستغني كل مدينة بأسواقها الدائمة عن أسواق المواسم، وكفى الله العرب مؤونة الترحال بين أسواق الجزيرة ، بما فتح عليهم وسهل من تجارات تأتيهم إلى مدنها ، بحيث يجدون في كل بلد عروضاً كثيرة من البلدان . وعدل الذين يعانون التجارة منهم عن أسفار البوادي إلى أسفار البحار . وأصبح من المنتظر تضاؤل الأسواق الجاهلية بتضاؤل آثار البداوة من حياة العرب ، وانتقلوا إلى حضارة وارقة الظلال ريادة الجنبات يأتيهم فيها رزقهم رغداً من كل مكان ، فامحّت أسواق الجاهلية قبل انقضاء القرن الثاني للهجرة ورسخت أقدام التجارة في المدن والثغور .

ولكن سوقاً واحدة نشأت في الإسلام احتفظت بكثير من
خصائص أسواق الجاهلية ، وزادت عليها بميزات واسعة أسبغتها
الحضارة الجديدة واقتضتها حاجات الرقي الحديث : تلك هي سوق
المرْبَد في البصرة ، السوق التي استطاعت أن تكون مرآة تعكس
حياة العرب في الجاهلية كما تصور حضارتهم في الإسلام . وسنرى
كيف استطاعت هذه السوق أن تصر الحياتين معاً في بوتقة واحدة ،
لتصوغ منها هذه الحلية العجيبة التي نعرضها عليك الآن :

البصرة - المربد

يتقاضانا الكلام على المربد أن نصف البصرة ، المدينة التي كان المربد سوقها العامة ، نظراً لمكاتها التجارية ، إذ أنها ثغر العراق في الإسلام . وليس من المستطاع أن نفهم المربد على حقه إذا لم نعرف أحوال بلده البصرة ، وسيفغينا هذا التميد عن شروح وحواشٍ كثيرة عند كلامنا على المربد نفسه .

مصرّت البصرة سنة (١٧) أيام عمر بن الخطاب « في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم كما أمر الخليفة عمر رحمه الله » ، وكانت في الجاهلية من ثغور العراق ، فيها خليط من أمم شتى ، فرس ويونان أحلّهم فيها الاسكندر ، وهنود انتشروا في بطائعها ، وقد نزلها العرب منذ القديم ، كما فيها أنباط غير قليلين . وكانت هي والأُبُلّة مركزين للتجارة الداخلية والخارجية ، وكان يرتادها تجار العرب ، وتردد عليها أبو بكر الصديق في الجاهلية مرات .

ولم تكن على عهد الراشدين بالمدينة الكبيرة ، لحدائث نشأتها العربية ، وكانت مستوخة رديئة الهواء والماء ، ليست بالخصبة ولا الغنية ،

حتى اضطر عمر إلى أن ينظر إلى أهلها نظر رحمة ، حينما شكوا إليه أمرهم ، فقد جاء في فتوح البلدان^(١) :

« قدم الأحنف بن قيس على عمر في أهل البصرة فجعل يسألهم رجلاً رجلاً والأحنف في ناحية البيت ، في بَت^(٢) لا يتكلم فقال له عمر : « أما لك حاجة ؟ » قال :

« بلى يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير بيد الله ، إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وإنا نزلنا سَبْنَخَ بِشَاشَةَ لا يحف نداها ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، يأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء العامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك قتربق^(٣) ولدها كما تربق العنز يخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فإذا ترفع خسيستنا وتجير فاقتنا نكن كقوم هلكوا . »

(١) ص ٣٥٦

(٢) البت : طيلسان من خز .

(٣) ربقه : ربطه بالربق وهو حبل فيه عدة عرى .

فألقى عمر ذراري أهل البصرة في العطاء . وكتب إلى أبي موسى
بأمره أن يحتفر لهم نهراً .

هذه بداية أمر البصرة وقد ظلت على حالها ، لم تترق منها إلى
خير منها ، حتى صدرأ من أيام الأمويين ، ومضت خلافة معاوية
ولم يفرج ضيق أهلها تمام الانقراج فقد قدم الأحنف أيضاً على معاوية
وافداً لأهل البصرة يستعطفه لهم ، وكانت فيها وصف به أهلها
قوله : « أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تابع من المحول
واتصال من الذحول ، فالكثر فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق ،
وبلغ منه المختق^(١) . »

وبانقضاء عهد الفتن فيها واستقرار الأمر بمثل زياد وابنه
والحجاج ، انصرف أهلها لشؤونهم فعكفوا على الزراعة والتجارة
واتعشوا واستفاض لهم زرع ونخيل وتجاراات ، فمن ثم عدت
البصرة من أكبر ثغور الإسلام قاطبة .

أما الهواء فيها فرديء وكذلك الماء فهو غير عذب ، حتى إنهم

(١) زهر الآداب ١ : ٨٧ (الطبعة الثانية - مبارك) المحول جمع محل :

وهو القحط . والذحول جمع ذحل : وهو النار : يعني أنهم تقانوا لكثرة
الحروب والفتن بينهم . وأطرق : غص بصره حياء لأنه لا يجد ما يعطي .
وأملق : افتقر .

ليجلبونه من المسافات البعيدة . وقد حفرت فيها أقنية وجداول كثيرة تشعب عن النهر الأعظم ، ووصف الأقدمون كثرتها وصفاً تكاد لانصدقه . جاء في مسالك الممالك للإصطخري :

« البصرة مدينة عظيمة لم تكن في أيام العجم ، وإنما اختطها المسلمون أيام عمر ، ومصرها عتبة بن غزوان وهي خطط وقبائل كلها . ويحيط بغربها البادية ، وليس فيها إلا أنهار . وذكر بعض أهل الأخبار أن أنهار البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على (١٢٠٠٠٠) نهر « كذا » ، تجري فيها الزوارق . وقد كنت أنكر ما ذكر من عدد هذه الأنهار في أيام بلال . حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع ، فربما رأيت في مقدار رمية سهم ، عدداً من الأنهار صفاراً تجري في كلها زواريق صفار ، ولكل نهر اسم ينسب إلى صاحبه الذي احتفره أو إلى الناحية التي يصب فيها وأشبه ذلك من الأسامي ، فجوّزت أن يكون ذلك في طول هذه المسافة وعرضها . وأكثر أبنيتها بالآجر (هذا على عهد الإصطخري في القرن الرابع الهجري) وهي من بين سائر العراق مدينة عشيرة ، ولها نخيل متصلة من عبّدس إلى عبادان نيفاً وخمسين فرسخاً متصلاً لا يكون الإنسان منه في مكان إلا

بحيث نهر ونخيل أو يكون بحيث يراها ، وهي في مستوى لا جبال فيه ولا بحيث يقع البصر على جبال ٠٠٠ وبها نهر يعرف بنهر الأبلّة طوله أربعة فراسخ ما بين البصرة والأبلّة^(١) ، وعلى حافتي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط واحد . ويتشعب هذا النهر إلى أنهار كثيرة ، فمنها ما يقارب هذا النهر في الكبر ... وهذه الأنهار كلها محترة بعضها إلى بعض وكذلك عامة أنهار البصرة حتى إذا جاءهم مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير تكلف ، فإذا جزر الماء انحط حتى تخلو منه البساتين والنخيل ويبقى في الأنهار ، إلا أن الغالب على ما نهم الملوحة وإنما يستقون إذا جزر الماء إلى حد نهر معقل ثم يعذب فلا يضره ماء البحر .

ونحن معنيون بأن نعرف عن البصرة ميناء العراق الأكبر ، تفاصيل مُسببة لأنها سوق العراق العامة يومئذ ، فلا غنى لنا عن شاهدها ونعتها لنقف على مكاتها وسعة غناها . ولولا هذه الصفات

(١) قال في القاموس : الأبلّة : موضع بالبصرة ، أحد جنان الدنيا

التي وصلتنا عن الاقدمين في مختلف حالاتها ، لما استطعنا أن نعلم التدرج الذي ترقّت فيه البصرة من الاملاق إلى الثروة . ثم صار لهذه الأرض السبخة القفرة على عهد عمر ، الشأن العظيم والمكانة البعيدة في قوس الكبار حتى قال زياد : « لو أضللت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلي عليها ^(١) » .

والذين نعتوها متفقون على رداة هوائها مع سعة عيشها ، فقد روى ابن عبد ربه عن أبي العباس أنه قال : « إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن ، يأتيها الماء يبرده وعذوبته ، ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد . » وقال الحجاج : « الكوفة

(١) العقد الفريد ٤ : ٢٦٥ . هذا وقد ألف العلماء في البصرة وخططها وأسواقها وأخبارها تواليف مستقلة لم نطلع عليها . وحسبك أن ابن حزم الظاهري وهو أندلسي في أقصى المغرب يقول في رسالته في فضل الأندلس : « ... ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة ، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها ، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزي النسب ، وصفها وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها . » - نفع الطيب ١٢٩/٢

فاذا كان ما اطلع عليه ابن حزم في أقصى المغرب أربعة كتب فقط ، فمن المحتمل أن تزخر مكاتب الشرق بالكتب عن البصرة .

بكر حسناء والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلي وزينة^(١) .

وسماها الناس ، لتقلب هوائها بالرّعاء قال الفرزدق :

لولا أبو مالك المرجو نأله ما كانت البصرة الرعاء ليوطنا

والرعاة اللحق والاسترخاء .

إلا أن وخامتها لم تمنع أن يتكاثف فيها السكان ويطردها النمو ،
حتى أصبحت كما وصفها جعفر بن سليمان بقوله : « العراق عين الدنيا
وبصرة عين العراق . »

انقضى القرن الهجري الأول والبصرة قد قطعت شوطاً بعيداً
في الازدهار ، ولم تستقرّ الأمور لبني العباس في عهد المهدي ومن
بعده حتى صارت البصرة « باب^(٢) بغداد الكبير ومدخل دجلتها
المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ،
نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسة ، أو جنوة لإيطالية ، أو
ليفربول لبلاد الانكليز . بل امتازت البصرة على تلك المراسي
بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من
كل حذب وصوب ، ومحط رجال الشرق والغرب ، من مجاهل

(١) المصدر نفسه . وانظر أيضاً ما جاء في أحسن التقاسيم وفي رحلة ابن
بطوطة من تقلب هوائها وعفنها . الهاء : الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم .
والبَخَر : نتن ريح الفم .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب (مجلة المجمع العلمي العربي) ١٢ : ٣٢١

الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران
و كثرت فيها المصانع والصناعات ، وصارت واسطة العرب والعجم
وحق لها أن تتلقب « بقبة الإسلام » كما سماها عمر بن الخطاب . ناهيك
ببلد جمع لحسن الموقع أصدقاء الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف
المكاسب والمطالب ...

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والترامي على
الأسفار البعيدة والضرب في مناكب الأرض طلباً للرزق والتماساً
للثراء (اشتهاراً) جعل الجاحظ يصرح : « بأنه ليس في الأرض بلدة
واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا إلا وأنت
واجد به البصري والمدني » ، وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب
الرحلات على بعد همة البصريين في الترحال وغورهم في الاغتراب
حتى قال أبو بكر الهمداني - وناهيك به من خير - : « وأبعد الناس
نجعة في الكسب بصري وحميري ، ومن دخل فرغانة القصوى [شرقاً]
والسوس الأقصى [غرباً] فلا بد أن يرى فيها بصرياً أو
حميرياً »^(١) . اهـ ملخصاً .

(١) التبغلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٢) البلدان للهمداني (إيدن) ص ٥١

و كثر الأصناف المجلوبة إلى البصرة من عامة الأقطار حتى
لقت بحق ب (خزائن العرب ^(١)) واستطاع أحد أبنائها وهو الجاحظ،
أن يؤلف في بضائع البصرة كتاباً مستقلاً يذكر فيه الأحجار الثمينة
كالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد . . الخ والطيب والعطر
والروائح الطيبة والوشى والفرش وما يجلب من البلدان من طرائف
السلع والأمتعة والجواري وما يختار من البزاة والشواهين والبواشق
والصقور يتبدى بصفة النوع وما يستجد منه ومن أين يجلب
وأين أحسنه . والجاحظ كما نعلم لم يرحل إلى الهند ولا إلى فارس
ولكنّ عنده في بلده تجارات تلك الأمم كلها . ولا نكون
إلى الغلوّ إذا قلنا إن البصرة في عصر العباسيين الذهبي كانت سوق
العالم قاطبة .

ولم يقصر البصريون في الزراعة بل عكفوا عليها وجودوها
حتى اقتصوا بمعرفة النخيل وضروبه وأصول غراسه اختصاصاً
فاقوا به كل أحد . قال الهمداني في كتابه البلدان : « ولأهل
البصرة من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كُور
النخيل، وذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخيل البصرة دون
نخل المدينة ودون مصر واليامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان

ودون الكوفة وسوادها وخير وذواتها والأهواز وما بها ، أيام
المعتصم ، وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مُغَلٍّ معروف وخارجي
موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب .

وهذا افتنان غير قليل في إجادة الزراعة يدل على حذق بها ورقى
بالغ . وذلك عدا ما شهرت به من الأسماك وأنواع اللحوم والألبان
والأقطان وسائر التجارات .

ولها إلى ذلك شهرة أخرى تعيننا هنا في بحثنا كثيراً ، وهي ما استفاض
فيها من علوم ولغة وأدب وشعر حتى صارت تقصد لذلك دون سائر
البلاد ، وكثر فيها العلماء والشعراء والادباء والكتاب والفقهاء
والقراء ... كثرة تستعصي على الإحصاء ، وسنلمّ بذلك في كلامنا
على سوقها الكبرى : المريد .

ولم تخل إبان ازدهارها من أن تكون متعة للناظرين ومنازه
للمفرجين ، واشتهر فيها وادي القصر الذي قال فيه الجاحظ :
« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكاפור ، ورأى
ضباباً تُحْتَرَش ، وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في
سفينته ، وحُداء جمال خلف بعيره . »

وكانت هذه الجملة الموجزة ثمر ما كان الخليل بن أحمد قاله قبله :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر إن شئت أوبادي

تري به السفن والظلمان حاضرة والضرب والنون والملاح والحادي .
وليس في أيدينا نعت للبصرة أبلغ ولا أكثر إحاطة ولا أصدق .
ولا أدق مما قاله خالد بن صفوان لعبد الملك بن مروان ، فقد جمع لنا
فيه من صفات البصرة وخصائصها ما لم نجده عند غيره ، ولا ريب فهو
ابن البصرة وأحد بلغاء الناس ، وكل من أراد معرفة البصرة في القرن
الاول الهجري فهو عيال على صفة خالد هذه ، قال :

« يغدو قانصنا فيجيء هذا بالشبوط والشم ويحيى هذا بالظبي والظليم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً ، وبرفوناً هملجاً ،
وخريدة مغناجاً ، يوتنا الذهب ، ونهرنا العجب ، أوله الرطب ،
وأوسطه العنب ، وآخره القصب :

فأما الرطب عندنا فمن النخل في مباركه ، كالزيتون عندكم في
منابته ، هذا على أفنائه ، كذاك على أغصانه ، هذا في زمانه ،
كذاك في إبانه ، من الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ،
الملقحات بالفحل ، يخرجن أسفاطاً عظاماً ، وأوساطاً ضخماً كأنها
ملئت رباطاً . ثم ينقلن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ
الايض ، ثم تبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الاخضر ،
ثم تصير ياقوتاً أحمر وأصفر ، ثم تصير عسلأ في شنة من سحاء .

ليست بقربة ولا إناء ، حولها المذاب ، ودونها الحراب ، لا يقربها
المذاب ، مرفوعة عن التراب . ثم تصير ذهباً في كيسة الرجال ،
يستعان به على العيال^(١) .

وأما نهرنا العجب فإن الماء يقبل عنقاً ، فيفيض مندققاً ، فيغسل
غثها ، وييدي مبثها ، يأتينا في أوان عطشنا ، ويذهب في زمان ريتنا ،
فنأخذ منه حاجتنا ، ونحن نيام على فرشنا ، فيقبل الماء وله عباب
وازدیاد ، ولا يحجبنا عنه حجاب ، ولا تغلق دونه الابواب ، ولا
يتنافس فيه من قلة ، ولا يحبس عنا من علة^(٢) .

وأما بيوتنا الذهب ، فإن لنا عليهم خرجاً في السنين والشهور ، نأخذه
في أوقاته ، ويسلمه الله تعالى من آفاته ، وننفقه في مرضاته .
هذا ولم تحظ - فيما نعلم - بلدة من بلاد الإسلام ، بمثل ما حظيت
به البصرة ، فقد تشارك في صفتها ثلاثة من فرسان البلاغة والعبقرية:
خالد بن صفوان ، والخليل بن أحمد ، والجاحظ .

(١) الشبوط والشيم : نوعان من السمك . والساج : خشب يجلب من الهند .
والهملاج : الحسن السير . والأسقاط مفرد ما سقط : وعاء يجعل فيه الطيب
ونحوه . والرباط جمع ربطة : وهي الملاة والشنة : القربة البالية . والسحاء :
القشر . والمذاب جمع مذبة : وهي من شعر ذنب الفرس يدفع بها المذاب .
والكيسة جمع كيس . (٢) العنق : سیر فسیح سریع والغث : الرديء .
والعباب : موج أو ارتفاع الماء .

سوق المربد

نتقل من أسواق العرب في الجاهلية إلى أسواقها في الإسلام .
ونلاحظ أننا لا نرى في هذه الأسواق الشأن الكبير الذي كان لأسواق
الجاهلية ، لأن العرب - كما تقدم - تحضرت وسكنت الأمصار
وكثرت فيها الأسواق الدائمة تحوي كل نوع من أنواع البضائع
المعروفة لهم . فلم تستجد في الإسلام سوق لم تكن في الجاهلية ،
إلا ما كان من أمر المربد^(١) الذي ورث عكاظ ، وقضى على ما كانت
تتمتع به من ميزات ، منذ عصر الراشدين ، وأخذ أمر المربد (عكاظ
الإسلام) بالازدياد حين بدأ شأن عكاظ (الجاهلية) بالتحول
فالاتقاص فالموت .

نزلت العرب البصرة سنة أربع عشرة ومصرتها سنة سبع عشرة
على تخطيط وضعه عمر وأرسل من يقف على تنفيذه . وكان المربد على
الجهة الغربية من البصرة إلى البادية ، ليكون أول ما ينزلون إذا قصدوا
البصرة ، وآخر ما يتركون إذا رحلوا عنها . ليقضوا فيه متاعاً لهم
ومرافق يتبلغون بها في ظعنهم وإقامتهم .

(١) المربد على وزن منبر هذا هو المشهور . وكان الأخفش يقول المربد
كمسجد - انظر شرح مقصورة ابن دريد ص ٤١ الطبعة الثانية (مصر ١٣٢٨هـ) -
هذا والكوفة سوق تعرف بـ (الكفاة) ليس لها ذلك الشأن .

معنى المربد : محبس الابل ومربطها . والمربد أيضاً يدر التمر
لانه يربد فيه فيشمس . والرُبدة لون إلى الغبرة .

ومربد البصرة هذا متسع للإبل تُربد فيه للبيع . وكانت في
الاصل سوقاً للابل ، حتى إذا كان عهد الامويين صار سوقاً عامة
تتخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم ، كل إلى فريقه وحلقته
وشاعره ، وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز ويؤمها
الاشراف وسائر الناس يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون
ويتشاورون وقد وجدوا فيه مستجماً لأبدانهم وأرواحهم التي نهكتها
الفتوحات ، وحنّت إلى سابق عهدها في عكاظ فجذدت منه ما سمح
به الدين الجديد . بل غضت النظر فتسامحت أحياناً وأحيت ما أمات
الاسلام من حمة جاهلية وإحن وثرات وأثارت عداوات ، كان
يعيشها الناس من تلقاء أنفسهم ، أو بتشجيع خفي من بعض خلفاء
الامويين ، ليشغلوا الناس بعضهم ببعض عن الخلافة وما يأتي
الخلفاء من هتوات .

فالمربد معرض لكل قبيلة تعرض فيه شعرها ومفاخرها كما تعرض
عروضها . وهو مجتمع العرب ومتحدثهم ومتنزه البصريين ، يؤمه
منهم من عاف رخاوة المدن . وما زال يعلو شأنه وتستجيب له أسباب
الكمال ، حتى اشتد ولوع الناس به وارتياحهم له . ويظهر أن الأمر

زاد على ما نعرف للنازه اليوم من خطر ، فقد بنيت فيه الدور الجميلة وتفاقم أمره حتى صار من الضروري لكل أحد في عصر العباسيين ، أن يغشى المربد ، إن لم يكن لحاجة فلترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن ، وحتى قال جعفر بن سليمان الهاشمي جملة المشهورة :

« العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وداري عين المربد »^(١) . وما زال في مجده هذا حتى خرب وخربت البصرة وتقلص العمران بينها إلى أن صار بين المربد والبصرة ثلاثة أميال خراب على عهد ياقوت^(٢) الذي ذكره في معجمه فقال :

« مربد البصرة من أشهر محالها . وكان يكون سوق الابل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء والخطباء . وهو الآن بائن عن البصرة نحو ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب فصار المربد كالبلدة المنفردة في وسط البرية . »

نقلت قول ياقوت هذا في البصرة ومربدها ، لأقول إن الذي طرأ عليها من الخراب والتأخر ، طرأ على العراق كله فمن يقرأ وصف العراق وبلدانه وجنانه ونعيمه وسكانه وعمرانه وخيراته .. في كتب

الأدب ، وخاصة في المئة الثانية والثالثة والرابعة للهجرة ، ثم يرحل إليه أول هذا القرن ، لا يجد وصفاً للعراق أصدق من قول ياقوت في تلك الأميال الثلاثة التي كانت عمرانا متصلاً بين البصرة ومربدها وأصبحت على عهده خراباً يباباً أفرد المربد من أمه وكان سوقاً من أسواقها ، وجعله قرية بائنة لا خطر لها .

والئن كان لعكاظ ذلك الأثر في اللغة العربية : ألفاظها وأساليبها ، إن المربد كان له أيضاً في اللغة أثر بعيد يختلف بعض الاختلاف عن أثر عكاظ ، لما بين الزمانين والمكانين من التباين ، فعكاظ في قلب الجزيرة العربية يحج إليها أشراف العرب وفصحاؤها ، لا عجمة فيها ولا أثر لأعجميين البتة . والأمر في المربد على العكس : هو في طرف الجزيرة على الخليج الفارسي وبينه وبين الفرس قرب قريب . وزاد الاسلام والفتوح اختلاط العرب بالعجم فطرق إلى اللغة الفساد والعجمة واللحن وغشي هذا الضعف مجالس الخاصة من العرب ، وأزرى بلهجات الفصحاء حتى صرت تسمع الأمير على المبر في المواسم يلحن على ملأ من الأعراب والبلغاء والأشراف ، فغيب على الحجاج لحن وأثر عن عبيد الله بن زياد مثله ، وكذلك نقلت لحنات

عن أشرف العرب^(١). فكان المربد يعج بأعلام اللغة والأدب والشعر والنحو، معهم محابرهم ودفاترهم يكتبون عن فصحاء الأعراب فيه، وهذه الظاهرة لم تكن في عكاظ قط، فهذا أبو عمرو بن العلاء يسأل الأصمعي: «من أين أقبلت؟»، فيجيبه: «جئت من المربد». فيقول: «هات ما معك»، فيقرأ عليه الأصمعي ما كتب في ألواح، فإذا ستة أحرف (كلمات) لم يعرفها أبو عمرو، فيخرج يعدو في الدرجة ويقول للأصمعي: «شئت في الغريب». أي غلبتني^(٢).

ويشبه المربد عكاظ في أمر الشعر وحلقاته، بل يزيد عليه، فلكل شاعر حلقة، ولكل متهاجين مجلس، ولكل قبيلة ناد وشاعر يذود عنها ويرد عدوان قريعه من القبيلة الثانية: فللعجاج ولرؤبة حلقة، ولأبي النجم العجلي حلقة، ولجربير والفرزدق وراعي الابل وذو الرمة، لكل منهم حلقة. وكثر هذا المحصول من الرجز والشعر والنكات الادبية كثرة ملأت أمهات كتب الأدب بأخبارها، ولا شك في أن المربد في هذا فاق عكاظ مراحل واسعة وفاته بعدد الشعراء والرجاز وكثرة الرواد وطلاب الادب. وفي المربد أطفئت ثلاثة

(١) انظر كتابنا في أصول النحو ص ٨ - ١٤ (مطبعة الجامعة السورية)

سنة ١٩٥٧

(٢) النوادر للقيلي ص ١٨٢

جمرات العرب ، أطفأها جرير بقصيدته المماغة . كان لكل من الشعراء رواة ينقلون له ما قاله خصمه وينشرون في الناس جواب شاعرهم عليه ، وكان اهتمام الناس بالشعر والادب من أقوى الاسباب العاملة في غزارته وكثرة المقبلين على تعلمه وروايته .

ويتفرد المربد بأمر علمي محض لم يكن له في عكاظ من أثر ، وهو أنه أرفد اللغة بمادة كثيرة ، عليها أسس النحاة قواعدهم وأصلحوها ، وذلك بما كانوا يقصدون له فصحاء الاعراب يسألونهم فيها فيه يختلفون ، يأخذون عنهم مستفيدين ومتعلمين . وحسبك أن تقرأ أيا شئت من كتب الادب الاصول كالأغاني والأمالى والبيان والتبيين والكامل و ... لتجد أن أكثر مادتها فيما يتعلق بالعصر الاول والثاني للهجرة ، كان المربد ميدانه وينبوعه . وخذ إن أردت كتب التاريخ الكبرى كالطبري مثلاً ثم ابلغ في فهرس أماكنه إلى المربد ، يأخذك العجب من كثرة المواطن التي ورد ذكر المربد فيها مع أن الكتاب كتاب سياسة وأخبار ملوك لا كتاب عامة وأدب .

فن المربد وعلى هامشه غذي الادب بقصص وأساطير كما غذي التاريخ بالأخبار الواقعة ، ووضع من وضع من الرواة والأخباريين أحاديث حاكوا بها ما وقع . وفي حلقاته اضطرعت الأهواء المتباينة

والنزعات المتضاربة ، استغلها الشعوبيون والمنافحون عن الحقائق على السواء ، وشهدت هجوماً من أولئك ودفاعاً من هؤلاء .

والغريب أن هذا المربد لم يكتف بأن يستأثر بكل ميزة كانت لعكاظ ، بل جمعها وضم إليها ميزات جديدة أفادها من خصائص عصره وطبيعة اجتماعه ، فإن كانت في عكاظ حروب موضعية بين قبيلتين فإن المربد كان ميداناً لأكبر فتنة وأشد حرب داخلية وقف فيها المسلم أمام المسلم يكافحه بسيفه ويشرع إليه رحمه . كان المربد ميداناً لإحدى مواقع الجمل ، أول حرب فرقت كلمة هذه الامة المخيفة وجعلت بأسها بينها ، وكانت حلقة أولى في هذه السلسلة الطويلة التي نخرت الجسم الاسلامي ومكنت عدوه منه وكانت أفكك به من كل حرب صليبية وغارة تترية ووحشية أوروبية .

فلأعرض على القارئ مشهداً صغيراً مما جرى في المربد من هذه الحرب ليحمل باقي المشاهد عليه :

خرجت السيدة عائشة مطالبة بدم عثمان ، نائمة على خلاقة علي ، ومعها مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين وأنصاراً ، منهم الزبير وابنه ، وطلحة وابنه ، ونقر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم ، وآخرون غير هؤلاء ، فقصدت البصرة لأن لها فيها نفراً على رأيها .

وكان على البصرة عثمان بن حنيف والياً لعلي ، وقد مهدت لأمرها
بكتب أرسلتها إلى رؤساء البصرة وساداتها فأجابها قليل ورد عليها
قوم وحديد قوم . بعد هذا التمهيد القصير أنقل وصف هذا المشهد
معتمداً على ما جاء في تاريخ الطبري :

« أقبلت عائشة فيمن معها حتى إذا انتهوا إلى المربد ودخلوا من
أعلاه ، أمسكوا ووقفوا وتلقاهم الناس حتى لو رموا بحجر ما وقع
إلا على رأس إنسان . وخرج عثمان أمير البصرة لعلبي فيمن معه ، ولحق
بعائشة من أهل البصرة من شاء حتى غص المربد بالناس واحتل طلحة
والزبير وجموعهما ميمنة المربد واحتل عثمان بمن معه ميسرته . فوقف
طلحة يتكلم فأنصتوا له :

فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد
وما استحل منه بقتل عثمان الخليفة ، وعظم ما أتى إليه . ودعا إلى
الطلب بدمه وقال : إن في ذلك إعزازاً لدين الله عز وجل وسلطانه ،
وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه من حدود الله ، وإنكم إن
فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن
لكم نظام . وتكلم الزبير بمثل ذلك ، فقال من بميمنة المربد وكانوا
يحطبون في جبل الخارجين على علي : « صدقا وبراً وقالوا الحق وأمرنا

بالحق . ، وقال من في ميسرته : « فجرا وغدرا وقالوا الباطل وأمرنا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان . ، وتحاثي الفريقان وتحاصبوا وأرهبوا »^(١) .

فتكلمت عائشة وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة فحمدت الله وأثنت عليه وقالت : « كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويؤزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقياً وفيما ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يظهرون . فلما قووا على المكاثرة كاثروا ، فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر . ألا إن مما ينبغي - ولا ينبغي لكم غيره - أخذ قتلة عثمان رضي الله عنه وإقامة كتاب الله عز وجل وتلت : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ »^(٢) .

(١) تحاثي : ترامى ، والحثي : التراب . تحاصبوا : تراموا بالخصبة :

وهي الحجارة . وأرهبوا : أثاروا الرهيب وهو الغبار .

(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ٢٣ .

فماج الناس واقترق أصحاب عثمان بن حنيف بعد سماعهم ما تقدم
فرقتين: فقالت فرقة: « صدقت والله وبرت وجاءت والله بالمعروف. »
وقال الآخرون: « كذبت والله ما نعرف ما تقولون. » فتحاثوا
وتحاصبوا وأرهبوا ..

أوقعت هذه الخطب الانقسام في جماعة عثمان نفسه ، ولما رأت
عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا
من المربد في موضع الدبائغين . وبقي أصحاب عثمان على حالهم
يتدافعون حتى تحاجزوا ومال بعضهم إلى عائشة وبقي بعضهم مع
عثمان . وأتى عثمان فيمن معه حتى إذا كانوا على فم السكة سكة
المسجد عن يمين الدبائغين استقبلوا الناس فأخذ عليهم بضمها .

كاد الأمر يقف عنده هذا ، فإن أصحاب عائشة ما أرادوا
حينئذ قتالاً ، ولكن جماعة في أصحاب عثمان - ولعل أكثرهم ممن
اشترك في دم الخليفة الشهيد - تعجلوا الحوادث وأرادوا بدء القتال ،
وكان حكيم بن جبلة على الخيل وهو أول من أقبل ينشب القتال ،
وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم ، وأمسكوا ليمسك
أصحاب عثمان ، فلم ينته حكيم ولم يثن ، وقاتلهم ، وأصحاب
عائشة كافؤوا ، إلا ما دفعوا عن أنفسهم ، وحكيم

يُذَمَّرُ^(١) خيله ويركبهم بها ويقول : « إنها قریش ، ليردینہا جنبہا والطیش . » واقتلوا علی فم السکة . وأشرف أهل الدور - والموقعة بجوارهم والمربد يومئذ سوق داخلة فی البلد حولها البیوت - من كان له فی واحد من الفريقین هوی ، فرموا الآخرین بالحجارة . وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتی انتهوا إلى مقبرة بني مازن فوقفوا بها طويلاً وثار إليهم الناس حتی حجز الليل بينهم^(٢) . »

هذا حادث من حوادث كثيرة وقعت فی الربد واستمرت حتی انتهت حرب الجمل باندحار أصحاب عائشة . ذكرته ليقف القارىء علی صورة من هذه المأساة الفادحة التي كانت وما بعدها سبباً فی فرقة المسلمین وحدث طوائف ونحل يلعن بعضها بعضاً ويحمل بعضها علی بعض ، تتناكر وتتقاذف وترى كل منها أن غیر المسلم أقرب إليها من أهل الطائفة الثانية ، وكثيراً ما استعان بعضها علی بعض بالأجنبي عدوهما معاً ، بل كثيراً ما عمل الدخيل علی توسيع الشقة بينهما وقوى بعضاً علی بعض وأمدّ الفريقین من وراء وراء ، بالسلاح والمال ليفنيا جميعاً .

(١) التذمیر : الحث والخص .

(٢) ارجع فی تفاصيل هذه الموقعة ومعرفة أسبابها ومسببها الحقیقین إلى کتابي (عائشة والسياسة) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ هـ

وتمضي عشرات السنين ويصلى العراق بسطوة الحجاج وإرهابه ،
وتشتد الوطأة فلا يكون المتنفس إلا في المربد ، حيث ينخطب الناس
الزعيم الثائر عبد الرحمن بن الأشعث قائلاً :

« أيها الناس ! إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة
تضرب به يميناً وشمالاً فلا تلبث أن تموت . » فتقوى بهذا الكلام
نفوس الثائرين إلا رجلاً من بني قشير لا يعجبه كلام ابن الأشعث
فيقول :

« قبح الله هذا ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدم
الغرور^(١) ، فيكون أشد على الحجاج من ابن الأشعث إذ أراد التي
هي أحزم .

كان في المربد إذن أدب وتجارة وحرب^(٢) وسياسة كما كانت في
عكاظ . وأستطيع أن أقسم الكلام على المربد أقساماً ثلاثة كان

(١) الكامل للمربد ١/١٥٩ .

(٢) ثم كان مسرحاً لفتن قبلية يذكر إحداها الفرزدق مفتخراً :

عشية سال المربدان كلاهما عجاوبة موت بالسيوف الصوارم

والمربد واحد لا اثنان وإنما أراد الفرزدق: المربد وما يليه بما جرى مجراه

والعرب تفعل هذا في الشيثين جرياً في باب مجرى واحداً . - الكامل للمربد

ص ٨٢ طبعة ليدن .

شأنه في كل منها مختلفاً . أما الأول فعلى عهد الراشدين إذ كان يقتصر أمره على التجارة غالباً وإن لم يعدم يوماً أن كان ساحة حرب ومسرح مأس . وقد عرفنا مما ذكر الطبري أن به موضعاً للديباغين . فالمربد إذن سوق البصرة أيام الراشدين وأغلب ما يتاجر فيه التمر وما إليه والإبل والسلاح والغنائم مما كان يقسم على المحاربين ، فيبيعه هؤلاء في المربد .

ثم يأتي العهد الثاني أيام الأمويين وقد اتسعت السوق وكثر قاصدوها من الأطراف وازدهت بالشعراء والأدباء والعلماء ووفود القبائل ، مما لم يكن في العهد الأول ، لانشغال الناس آنذاك بالجهاد والفتوح ، وعدم فراغ لهذه الألوان من الأدب التي لاتغزر وتنبأ إلا بعد استتباب حال الدولة ، ولم نعهد حركة أدبية نشأت إبان الفتوح حين تتأسس الدول .

وازدان هذا العهد بأفحل رجّاز وشعراء أخرجهم العهد الأموي وأخص بالذكر جريراً والفرزدق والأخطل والبعيث ، وراعي الإبل وذا الرمة ، ومن الرجّاز رؤبة وأباه العجاج وأبا النجم العجلي وهذا الفريق .

أما في العهد الثالث أي بين آخر العصر الأموي والقرن الثاني

للهجرة ، فقد نضجت حركة المربد الأدبية والعلمية نضجاً يتسق
هو وما وصلت إليه الدولة من حسن الحال وسعة الأفق ومرافق
الحضارة وبسطة العلم وسعة السلطان . وكان من أبطال المربد أكابر
النحاة ورواة الشعر والأدب والشعراء . والذي كان جديداً في
هذا العهد ولم يكن قبل ، الناحية العلمية وأعني بها ما كان يصنعه
أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وقيلهما من غشيان لفصحاء^(١)

(١) كان المربد مدرسة عملية تعلم الفصاحة ويهرع إليه طلابها من كل وجه
ونبع منهم عدد غير قليل ، والنظام والجاحظ من مشهورهم فقد ذكر المؤرخون
أن الثاني تلقف الفصاحة شفاهاً بالمربد . وأهل البصرة في الجملة من أفصح أهل
الأمصار ، بل إن الجاحظ ليذهب أبعد من ذلك فيزعم أنهم أفصح أهل الأمصار
عامة ، ولنا نستطيع أن ننسب هذا منه إلى عصبية لبلده . جاء في كتابه البيان
والتبين (١ : ٣٣ السندوبي) :

[قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : « ليست لكم معاشر أهل البصرة
لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة . » فقال ابن مناذر : « أما ألقاينا
فأحكى الألفاظ للقرآت ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا
حيث شئتم :

أنتم تسمون القدر : بُرمة ، وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول :
قدر وتجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل « وجِفَانٍ كَالنَّجْوَابِ وَقَدُورٍ
رَاسِيَاتٍ . » سورة سبأ . الآية ١٣

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليه ، وتجمعون هذا الاسم على =

الأعراب وصبر على لوّتهم وجفائهم ، وتلقّف لما ينطقون به وإثبات له في الصحف ، يروونه ليبي عليه الاساس في وضع القواعد العربية .

قال صاحب ضحى الإسلام (٢ : ٨٠) وفي قوله إجمال ما قدمت : كان المربد في عصر الخلفاء الراشدين والامويين مركزاً سياسياً وأدياً ، نزلت فيه عائشة أم المؤمنين بعد مقتل عثمان تطالب بدمه وتؤلّب الناس على علي ، وكانت المربد مركزاً للمهاجاة بين جرير والاخلطل والفرزدق ، وأنتج ذلك نوعاً من أقوى الشعر الهجائي كالذي نقرؤه في النقائض ، وكان لكل من هؤلاء الشعراء حلقة ينشد فيها شعره ، وحوله الناس يسمعون . جاء في الاغانى « وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائها حلقة بأعلى المربد في البصرة . »

واستمر المربد في العصر العباسي ، ولكنه كان يؤدي غرضاً

= علالي ونحن نسيه غرفة ونجمها على غرفات وغرف ، وقال الله تبارك وتعالى : « غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ » الزمر ، الآية ٢٠ وقال : « وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » مباء ، الآية ٣٧

وانتم تسمون الطلع : الكافور والاغريض ، ونحن نسيه الطلع وقال

الله عز وجل : « وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ » الشعراء ، الآية ١٤٨
فعدة عشر كلمات ولم أحفظ أنا منها إلا هذا . [

آخر غير الذي كان يؤديه في العهد الاموي ، ذلك أن العصية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب ، وأحس العرب بما هم فيه جميعاً من خطر من حيث هم أمة لا فرق بين عدائهم وقحطانهم ، ولكنهم لم يستطيعوا المقاومة ، فقوي نفوذ الفرس وغلّبوا العرب على أمرهم ، وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب إلى حياة الفرس منها إلى حياة العرب ، وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والاختل ، وظهرت العلوم تزاحم الادب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الإسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدي غرضاً يتفق (هو) وهذه الحياة الجديدة .

أصبح المربد عرضاً يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية يحتذونهم ويسرون على منوالهم ، فيخرج إلى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج إلى المربد اللغويون يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون . روى القالي في الامالي عن الاصمعي قال : « جئت إلى أبي عمرو ابن العلاء فقال لي : من أين أقبلت يا أصمعي ؟ » قلت : « جئت من المربد » ، قال : « هات ما معك » ، فقرأت عليه

ما كتبت في الواحي ، فرب به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في الدرجة وقال : « شمرت في الغريب ، أي غلبتني .

والنحويون يخرجون إلى المربد يسمعون من أهله ما يصح قواعدهم ويؤيد مذاهبيهم ، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد^(١) ، وفي تراجم النحاة نجد كثيراً منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الادباء إلى المربد يأخذون الادب ، من جمل بليغة وشعر رصين وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ : إن الجاحظ أخذ النحو عن الاخفش ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة من الاعراب شفاهاً بالمربد ، اهـ

وكما كانت عكاظ يؤمها كل من أراد أن يفتخر أو يعلن أمراً تفرد به أو يشيع في الناس ماثرة أو خبراً ، كان المربد كذلك

(١) قلت : أقام الكوفيون «سوق كُناسة» بالكوفة لتقوم لهم بما يقوم المربد للبصريين فلم يفلحوا ولم تذكر سوقهم قط ولا قصدها مثل من يقصد البصرة من فصحاء العرب وخطبائهم وشعرائهم ورجازهم ، بل كانت إلى إفساد اللغة أقرب . انظر كتابي « في أصول النحو » ص ١٩٠ (طبعة ثانية) .

منشرة للمحامد والمساوىء ، مسرة الصديق وغيظ العدو ، فكل من أراد أن يكتب خصماً أو يحقر قبيلة أو يشهر محمداً طلب لها المربد يجعلها فيه ، لتكون أشيع وأسير وأبلغ في الإرضاء والاغظة . وقد كان المربد مسرحاً لدعوات سياسية ودينية واستغاثات وشكوى وورثاء وفخر كما كانت عكاظ . وأحفل ما كان المربد ، في النصف الثاني لعهد الأمويين والثالث الأول لعهد العباسيين . فلأشروع في عرض مناظر تكمل الصورة التي وصفت ليكون القارىء ملماً بجميع ما يعرض ويجري في المربد على اختلاف المناحي والغايات ، وقد تقدمت صورة على عهد الراشدين وهي حرب الجمل . ولا ريب في أن المربد لم يستفحل أمره وتعدّد مقاصده إلا فيما بعد ، في الزمن الذي ذكرت لك من أيام بني أمية وبني العباس .

* * *

١ - عوز بقبر

عبد مكاتب لبني منقّر ، ضاقت حاله ولم يقدر على حيلة يجمع بها المال لسيّده حتى يعتقه ، فلما عي بالأمراةى قبر غالب أبي الفرزدق ، فضرب قبة عليه علامة الاستعادة والاستغاثة ، فقدم الناس فأخبروا الفرزدق أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه .

فصد المكاتب المربد وتقصّى الحلقات حلقة حلقة ، حتى وقف على حلقة الفرزدق حيث يجلس فقال :

بقبر ابن أبي غالب عذت بعدما خشيت الردي أو أن أرفق علي قسّر
فخاطبني قبر ابن أبي وقال لي: فكاكك أنت تلقى الفرزدق بالمصر
فقال له الفرزدق: « صدق أبي ، أنزع أنزع . » ثم طاف على الناس حتى
جمع له كتابته وفضلاً فضل المكاتب ، فانصرف وقد أنجع مسعاه .

٢ - مجنون في حب

كان بالبصرة مجنون قاعد على ظهر الطريق بالمربد ، فكلما مر به ركب قال:
ألا أيها الركب اليانون عرجوا علينا فقد أمسى هوائاً يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدكم وحبّ إلينا بطن نعمان واديا
فسألت عنه ، فقيل : هذا رجل من البصرة ، كانت له ابنة عم يحبها
فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها ، فاستوله عليها^(١).

٣ - إنزهاب مال

كان زياد قد نهى أن ينهب أحد مال نفسه ، وكان الفرزدق أنهب ماله
بالمربد . وذلك أن أباه بعث معه إبلاً ليبيعه فباعها وأخذ ثمنها . فعقد عليه
مُطَرَف خنزراً كان عليه ، فقال قائل : « لشدّ ما عقدت على دراهمك هذه ،
أما والله لو كان غالب ، ما فعل هذا الفعل ! » .

فعلها الفرزدق ثم أنهبها وقال : « من أخذ شيئاً فهو له . »
وبلغ ذلك زياداً فبالغ في طلبه فهرب ، فلم يزل زياد في طلبه ، قد بلغ
منه كل مبلغ ليعاقبه على ما صنع ، وقد نهى زياد في ذلك ألا يفعله أحد .

(١) الأمازي ٢ : ١٢٦ . والوله : ذهب العقل من حزن ، والحيرة والحواف

وكان زياد إذا قال شيئاً وفى به . فلم يزل في هربه ذلك يطوف في القبائل
والبلاد حتى مات زياد^(١) .

٤ - غرور نجل الفرزدق

كان الفرزدق ينشد شعره بالمربد والناس يجتمعون حوله إذ مر به الكُتَيْب
وهو غلام فوقف ، فقال له الفرزدق : « ليسرك أني أبوك ؟ » فقال الغلام :
« أما أبي فلا أريد به بديلاً ، ولكن يسرني لو كنت أمي ليدوق أبي
عُسَيْتَكَ ! » فقال الفرزدق : « اكتبها على عمك يا بن أخي فما مرّ
في مثلها^(٢) ! » .

٥ - تهريب دور الراهبات

كان للبصرة وال متنسك يروى عنه الفقه ، اسمه الحارث بن عبد الله
الخزومي ولقبه القُبَاع^(٣) بلغه ما يكون في المربد من الشر بين جرير والفرزدق
وبين حبيتهما بسببهما ، ولما رأى أنها غير منتهيتين عن ذلك ، أراد أن يخطو
الخطوة الحاسمة بحزم ، فأمر بالدار التي ينزلها جرير في المربد والدار التي ينزلها
الفرزدق في المقبرة فهدمتا .

وكان القُبَاع قد أراد هدم دار الفرزدق قبل هذه المرة أيضاً في شيء بلغه ،
ثم إنه كلّم فيه وهرب الفرزدق .

(١) النفاض ص ٦٠٧

(٢) الاستجداد من فملات الاحواد ص ٢٤٦ . العيلة : ماء الرجل ، أو حلاوة الجماع .

(٣) القُبَاع : المكيال الضخم . ولقب الحارث بن عبد الله والي البصرة بالقُبَاع لانه اتخذ

ذلك المكيال لهم ، أو لانهم اتوه بمكيال لهم حين وليهم فقال : « إن مكياكم هذا
اقباع » - القاموس .

ويظهر أن هذا الجزاء كان شديداً قد بلغ من نفسي الشاعرين مبلغاً ، حتى
إن الفرزدق بعدها خنع وتلقى فقال :

أحارثُ داري مرتين هدمتها و كنت ابن أخت لا تخاف غوائله
وأنت امرؤ : بطحاء مكة لم يزل بها منكم معطي الجزيل و فاعله
فقلنا له : لا تشمتنَّ عدونا ولا تنس من أصحابنا من نواصله
فقبلك ما أعيتُ كامر عينه زياداً فلم تقدر عليَّ حبائله
فأقسمت لا آتيه سبعين حجة ولو نشرت عين القباع وكاهله
وقال جرير في ذلك :

أحارثُ خذ من شئت منا ومنهم ودعنا نفسٌ مجدداً تعد فواضله
فما في كتاب الله تهديم دورنا بتهديم ما خور خيث مداخله

٥ - هجاء ابليس

كان الفرزدق قد أكثر من هجاء « باهلة » حتى عيت هذه القبيلة بأمرها
وكان بما قال فيهم :

أباهلُ لو أن الأنام تنافروا علي : أبشهم شرّاً قديماً والأُمُ
لفاز لكم سها لثيم عليهم ولو كانت العجلان فيهم وجرم
وقال أيضاً :

ألا كيف البقاء لباهلي هو بين الفرزدق والجحيم
أست إذا نسبت لباهلي بالأم من تركض في المشيم^(١)
وهل بسطيع أبكم باهلي زحام الهاديات من القروم^(٢)
فلا يأت المساجد باهلي وكيف صلاة مرجوس رجيم . الخ

(١) المشيم : محل الولد في الرحم .

(٢) الهادي : المتقدم ، والهادي من الإبل أول رعييل يطلق منها . والقروم : الفحول

إلا أن الله أراد أن يرحمهم ، فساق الفرزدق يوماً إلى المربد ، فلقى رجلاً يقال له رحام من موالي باهلة ، ومعه نحيبي من سمن يبيعه .
فسامه الفرزدق إياه فقال له : « أدفعه إليك وتهب لي أعراض قومي ! »
فقبل وقال يجب له أعراض قومه ويهبو إبليس :

ولا بشرًا من كان لا يملك استه	ومن قومه بالليل غير نيام
يخافون مني أن يصك أنوفهم	وأقفاءهم إحدى بنات صام ^(١)
لعبري لنعم النحبي كان لقومه	عشية عبّ البيع فخي حمام ^(٢)
أطعتك يا إبليس سبعين حجة	فلما انتهى شبي وتم غمامي
فررت إلى ربي وأيقنت أنني	مُلاق لأيام المنون حمامي
ألا طالما قد بت بوضع فاقني	أبو الجن إبليس بغير خطام
يظل يمني علي الرّحل واركا ^(٣)	يكون ورائي مرة وأمامي...
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي	رضاء ولا يقتادني بزمام
سأجزيك من سوءات ما كنت ستقتني	إليه جروحاً فيك ذات كلام ^(٤)
وإن ابن إبليس وإبليس ألينا	لهم يعذاب الناس كل غلام ^(٥)
هما تفلأ في في من فويها	على التابع العاوي أشد رجام ^(٦)

(١) الصام الداهية الشديدة . يقال صم أي زيدي ياداهية .

(٢) النحي : الزق وقيل ما كان للسمن حاصة . والعب : الكرع وتتابع الثوب

(٣) الوارك : المعتمد على وركه . والورك : ما فوق الفخذ .

(٤) الكلام : الجروح .

(٥) لبن القوم : مقام اللب ، والن القوم : كثر عندم اللب ، ومن المجاز

لبنه بالعصا والحجر : ضربه .

(٦) الرحام . الحجارة .

٦ - جرير يهجو قبيلة

بنو العم قبيلة ليست من صميم العرب « نزلوا ببني تميم في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال الناس : « أنتم وإث لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والآخران وبنو العم . » فلُقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب . إلا أن الاسم الذي سُموا به يحمل في تضاعفه سمة قوم لصقاء ، فكان فيه بعض الغضب منهم وكانوا يُضربون مثلاً في رقة النسب وضعف الوشيجة حتى قال كعب بن معدان يهجو بني فاجية ويعرض بنسبهم في قريش :

وجدنا آل سامة في قريش كمثل « العم » بين بني تميم

حضرت هذه القبيلة المربد وقد تواقف للهباء جرير والفرزدق ، يرد هذا على ذلك ووراء كل قبيلته وحزبه ، فهاج الشر واقتلت القبيلتان : بنو يربوع قوم جرير ، وبنو مجاشع قوم الفرزدق ، فأمدت بنو العم بني مجاشع وجاؤهم وفي أيديهم الحشب فطردوا بني يربوع « فقال جرير : « من هؤلاء ؟ » قالوا : « بنو العم . » فقال جرير يهجوهم ويعرض بالفرزدق وأنصاره الوضيعين هؤلاء :

ما للفرزدق من عزّ يلوذ به إلا بني العم في أيديهم الحشب
سيروا بني العم فالأهواز داركم ونهر تيرى ولم تعرفكم العرب^(١)

٧ - والفرزدق لعبة

جرير والفرزدق ملأا المربد بأشعارهما ونقائضهما وظلّا حديث أهلها ما عاشا . لا يالو أحدهما جهداً في خلق ما يعير صاحبه به ، فهما أبدأ

(١) الاغاني ٣ : ٢٥٧ (دار الكتب) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس

لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز . ونهر تيرى من نواحي الأهواز .

دائبان في أن يجدا من كل شيء موضوعاً للهجاء ، ألف منها ذلك أهل المريد عامة . وكانت لكل حلقه يلاً فيها ما ضيغته فخرأ بقييله وهجاء لقيل خصه ، وكانت عبقريتها البعيدة الغور تفتق لها من الشعر ألواناً تشغل بها السامعين من البدو والحضر .

هذا جرير ، وقف بالمريد وقد لبس درعاً وسلاحاً قاماً وركب فرساً أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين الحبطي . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسواراً وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير ، والناس يسعون فيها بينها بأشعارهما . فقال الفرزدق وقد وجد في لباس جرير السلاح والدرع ، مادة لهجائه :

وإن كليباً إذ أتني بعبداه	كمن غره حتى رأى الموت باطله
رجوا أن يردوا عن جرير بدرعه	نوافذ ما أرمي وما أنا قائله
عجبت لراعي الضأن في حطيمه	وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
وهل تلبس الحلبى السلاح وبطنها	إذا انتطقت عبء عليها تعادله
أفاخ وألقى الدرع عنه ولم أكن	لألقي درعي من كمي أقاتله
تركنا جريراً أوهو في السوق حابس	عطية : هل يلتقى به من يبادله
فقالوا له رُدّ الحمار فإنه	أبوك لثيم رأسه وجحافله
وأنت حريص أن يكون مجامع	أباك ولكن ابنه عنك شاغله ^(١)
وما ألبسوه الدرع حتى تزيلت	من الحزني دون الجلد منه مفاصله

ولما بلغ جريراً أن الفرزدق في ثياب وشي اعتبلها فرصة فقال :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحاً كُرج وجلاجله^(٢)

(١) النقااض صفحة ٦٢٣ . الحطمية : الدرع . أفاخ . تفاج وقع فخذه وفسا

وعطية : أبو جرير . والجحافل الخيل والبغال والحمير : بمنزلة الشفة .

(٢) الكرج : المهر . (معرب).

فعرف كيف يصوب السهم ويحكم الضربة ويفوز بإضحاك الناس من
الفرزدق : اللعبة .

٨ - ضربة بين فحلين

هاجى جرير ثمانين شاعراً ، وكان عمر بن لجأ أحدهم ، وكان جرير قد
هجاه بقوله :

يَا تَيْمُ تَيْمَ غَدِيَّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يَنْقَذِفْتَكُمْ فِي سَوَاءِ مَرٍ
أَحِينَ صَرْتُ مِمَاماً يَا بَنِي لَجَأٍ وَخَاطَرْتُ بِي عَنْ أَحْسَابِهَا مَضَرٌ ..

فبينما جرير واقف بالمربد وقد ركبته الناس وعمر بن لجأ موافقه بتهياً
للردة عليه بيئته ، هدأت الضجة فقال عمر هذين البيتين وكان قد رده
بها الفرزدق :

لَقَدْ كَذَبْتَ وَشَرَّ الْقَوْلِ أَكْذَبُهُ مَا خَاطَرْتُ بِكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مَضَرُ
أَلْبَسْتَ فِرْوَةً خَوَّارَ عَلَى لَوْثٍ لَا يَسْبِقُ الْجَلْبَاتِ اللَّوْثُ وَالْخَوَرُ
مِمَّهَا جَرِيرٌ فَفَكَّرَ ثُمَّ فَطِنَ لِلْأَمْرِ فَقَالَ : « قَبِحاً لَكَ يَا بَنِي لَجَأٍ ، أَهَذَا
شَعْرُكَ ؟ كَذَبْتَ وَافَّهَ وَلَوْثٌ ، هَذَا شَعْرُ حَنْظَلِي ، هَذَا شَعْرُ الْعَزِيزِ (يعني
الفرزدق) . » فَأَبْلَسَ عَمْرُ وَمَا رَدَّ جَوَاباً .

وكان في الحلقة غنيم بن أبي الرقراق قطار حتى أتى الفرزدق فضحك له
وأخبره الخبر ، فاستلقى الفرزدق يضحك حتى فحس الأرض برجائه ، وقال
في ساعته يريد عمر بن لجأ ، هذا الذي دخل بين فحلين فسقط مطروحاً
بين أقدامها :

وما أنت إن قرّما تميم تساميا أنا التميم إلا كالوشيفة في الغرم^(١)
فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه ظلمت ولكن لا يدي لك في الظلم

ويرجع الخبر بذلك إلى جرير فتنبسط أساوره ويعلوه البشر إذ سمع هذين
البيتين ، ورأى لأول مرة كلمة إنصاف من ذلك الذي ملأ عليه الأرض
هجاءً وشرّاً فيقول :

« ما أنصفي في شعر قط قبل هذا . » يعني قوله (إن قرما تميم تساميا).

٩ - الحكم في تنافر شاعرين

[لما دخل رسول الله ﷺ مكة قتلت بنو سليم وهم من قيس ، مقتلة من
بني فهر وبني كنانة .

فلما وجه معاوية في خلافته بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي ، نهضت
وجوه قيس إلى معاوية وقالوا :

« نسألك بالله والرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطاناً فيقتل قيساً بمن قتلت
بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم فتح مكة . » فقال معاوية : « يا بسر ليس
لك سلطان على قيس . »

سار بسر حتى أتى الطائف فقالت له ثقيف : « مالك علينا سلطان ، نحن
من قيس . » فسار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام ، فتحصنت
فيه همدان ثم نادوا : « يا بسر نحن همدان وهذا شبام . » فلم يلتفت إليهم ،
حتى إذا اغتروا وتزلوا إلى قراهم أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم فكان أول
مسلمات سبين في الاسلام . ومر بجي من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة

(١) الوشيفة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم ، وهم وشيفة في قومهم : حشو
فيهم ، والدعي لا يدخلونه عادة في الغرم .

بالفليج (موضع لبني جعدة بنبجد) فأغار بسر على الحمي السعديين فقتل منهم وأمر فقال أوس بن مغراء في ذلك :

مَشِيرَتِن تَرَعُونَ النَجِيلَ وَقَدْ غَدَت بِأَوْحَالِ قَتْلَاكُمْ كَلَابِ مَزَاحِمٍ^(١)
فَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي بِحَبِيبِهِ :

مَنْ أَكَلَتْ لَحْمَكُمْ كَلَابِي أَكَلَتْ يَدَيْكَ مِنْ جَرَبِ نَهَامٍ
وَهَاجَ الشَّرَّ بَيْنَ الشَّاعِرِينَ لَمَّا كَانَ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ ذُحُولٍ وَعِدَاوَةٍ . وَلَمْ
يَكُنْ أَوْسٌ مِثْلَ النَّابِغَةِ وَلَا قَرِيباً مِنْهُ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ النَّابِغَةُ : « إِنِّي وَإِيَّاهُ
لَنَبْتَدِرَ بَيْتاً أَيْنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبُ صَاحِبِهِ . » فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ أَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا تَبْلَى مِرَايِيلَ عَامِرٍ مِنْ اللَّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قَالَ النَّابِغَةُ : « هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُ إِلَيْهِ . » فَغُلِبَ أَوْسٌ عَلَيْهِ .
كَانَ مَفْهُوماً أَنْ يَنَاضِلَ كُلُّ شَاعِرٍ عَنْ حَيَاتِهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَا يُلْصِقُهُ خَصْمُهُ
بِهِ ، فَتَارَتْ الْمَجَادَّةُ بَيْنَ النَّابِغَةِ وَأَوْسٍ ، وَاسْتَطَالَ أَوْسٌ بِنَسَبِهِ إِلَى مَعْدَةَ ،
ثُمَّ كَانَتْ الْحُكُومَةُ بَيْنَ الشَّاعِرِينَ فِي الْمَرْبِدِ : سَوَقَ الْعَرَبُ فِي الْإِسْلَامِ . وَهَذِهِ
رَوَايَةُ الْأَغَانِي فِي الْقَضَاءِ بَيْنَهُمَا :

اجْتَمَعَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي وَأَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ فِي الْمَرْبِدِ ، فَتَنَافَرَا وَتَهَاجَيَا ،
وَحَضَرَهُمَا الْعَبَّاجُ وَالْأَخْطَلُ وَكَعْبُ بْنُ جَعِيلٍ ، فَقَالَ أَوْسٌ .

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةُ مِنْهَا وَرِدَا وَلِتَوَا نَعَاماً فِي الْبِلَادِ رُبْدَا^(٢)
إِن لَنَا عَلَيْكُمْ مَعْدَةً كَاهِلَهَا وَرُكْنَهَا الْأَشْدَا
فَقَالَ الْعَبَّاجُ :

كُلُّ أَمْرٍ يَعْدُو بِمَا اسْتَعْدَا

(١) المشر : الباسط ثوبه في الشمس ، والنجيل : جنس من الحمض .

(٢) الورد : الجيش . والمربد : جمع ربداء وهي القمامة المختلطة السواد .

وقال الأخطل يعين أوس بن مغراء ويحكم له :

وإني لقاض بين جعدة عامر وسعد قضاء بيتن الحق فيصلا
أبو جعدة الذئب الحيث طعامه وعوف بن كعب أكرم الناس أولا
وقال كعب بن جعيل :

إني لقاض قضاء سوف يتبعه من أم قصداً ولم يعدل إلى أود^(١)
فصلاً من القول تأتم القضاء به ولا أجور ولا أبغي على أحد
(ثالث) بنو عامر سعداً وشاعرها كما (تنال) بنو عيس بني أسد^(٢)
وهكذا ماء النابغة على فعولته بشر ما يبيء امرؤ إلى أهله ، وفاز أوس
بمحكمة هؤلاء القضاة غير العادلين .

١٠ - نقر سقف

تكوّف جماعة بمربد البصرة على الشاعر ذي الرمة ، وهو قائم وعليه برد
قيمه مثنا دينار . فاجتمعوا إليه وهو ينشد ودموعه تجري على لحية حزناً
وأسفاً على عهد صاحبه خرقاء .

ما بال عينك منها الدمع ينسكب ... الخ

* * *

بيننا ذو الرمة بالمربد والناس مجتمعون إليه ، إذا هو بخياط يقف ويقول:
« يا غيلان ، (اسم ذي الرمة) :

أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً من الجهل : « هل كانت بكنّ حلولاً ؟
فقام ذو الرمة وفكر زماناً ثم عاد فقعده في المربد ينشد فإذا بالخياط قد

(١) أم : قصد ، الاود : الموج والميل .

(٢) الاغاني ١٣١/٤ وفيها كلمة قبيلة مكان (ثالث) ، (تنال) .

وقف عليه ، وكان ذو الرمة قد قال في خرقاء صاحبه هذين البيتين .
المشهورين :

أياظية الوعساء بين جُلّاجل وبين النقا أنت أمّ أمّ سالم
هي الشبه ، لولا مِدْرِيَاها وأذنها سواء وإلا مَشَقَّةٌ في القوائم^(١)
فقال الحياط بعرض بهذين البيتين وبسخر من تشبيهه هذا :

« أنت الذي شبت عتراً بقفرة لها ذنب فوق استها أمّ سالم
وقرنان لما يلزقانك يتوكا بجنبك يا غيلان مثل المواسم
جعلت لها قرنين فوق شواتها^(٢) ورابك منها مشقة في القوائم ،
فجعل ذو الرمة ويهت ، وقام فذهب . ولم ينشد بعدها في المربد حتى
مات الحياط^(٣) .

١١ - إعرام قبيلة

كان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائها حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون
فيها ، وكان الراعي قد ضخم أمره ، وكان من شعراء الناس ، فدخل في
المنافرة بين جرير والفرزدق وقضى على الأول لثاني وكان فيما قاله :

يا صاحبي دنا المسير فسيروا غلب الفرزدق في الهجاء جريراً
وقال :

رأيت الجحش جحش بني كليب نيسم حوض دجلة ثم هابا
(يعني جريراً) .

(١) الوعساء : رابية من رمل لينة تثبت أحرار البقول . والنقا من الرمل : القطعة
تتعد محدودبة . المشقة : التفريغ في قوائم ذات الخافر . المدري : القرن ، والمشط .

(٢) الشوى : صف الرأس .

(٣) الاغاني ١٦ : ١١٤

فلما أكثر الراعي من ذلك قال جرير لرجال من قومه : « هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يحب قومه وأنا أمدحهم . »

(١)

ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابة لئلا يعلم به أحد ، فتعرض للراعي يريد أن يلقاه من حيال حيث كان يمر إذا انصرف من مجلسه بالمربد .
فمر الراعي على بغلته وابنه جندل يسير وراده على مهر له أحوى ، وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض الأمر . فلما استقبل جرير الراعي قال له : « مرحباً بك يا أبا جندل . » ، وضرب بشماله على معرفة بغلته ، ثم قل يا أبا جندل : « إنك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً وهو ابن عمي دونك ، فإن كان لابد من تفضيل فأنا أحق به لمدحي قومك وذكرى إياهم . ويكفيك من ذاك إذا ذكرنا أنت تقول :
كلاما شاعر كريم ولا نحتل مني ولا منه لائمة . » فبينا جرير كذلك أقبل ابن الراعي جندل ، حتى ضرب عجز دابة جرير حق كاد يقطع إصبع رجله وقال لأبيه : « لا أدراك واقفاً على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً . » وضرب البغلة ضربة فرحت جريراً رحة وقعت منها قلنسوته ، قال جرير : « فوالله لو عرتج عليّ الراعي لقلت سفية غويّ (يعني جندلاً ابنه) ولكن لا والله ما عاج ، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي . »

فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء بنزله في عليّة له قال : « ارفعوا لي باطية من نبيذ وأسرجوا لي . » ففعلوا . فجعل يمدحهم ، فسمعت صوته عجوز في الدار ، فاطلعت في الدرج حتى نظرت إليه فإذا هو : يجبو في الفراش عرياناً ، لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : « ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا . » فقالوا لها : « اذهبي لطيتك ، »

فحين أعلم به وبما يارس . « فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو
يكبر : قد قالها ثمانين بيتاً في ثَمِير ، فلما ختمها بقوله :

فَقُضَّ الطرف إنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر ثم قال : « أخزيته ورب الكعبة . »

(٢)

ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ،
وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فاذهن ، وكف رأسه ،
وكانت حسن الشعر ثم قال : « يا غلام أسرج لي . » فأمرج له حصاناً .
ثم قصد مجلسهم ، حتى إذا كان موقع السلام قال : « يا غلام . » ولم يسلم :

« قل لعبيد : أبعتك نسوتك تكسبن المال بالعراق ؟ أما والذي
نفس جرير بيده لترجعن إلى أهلك يمين يسوؤهن ولا يسرهن » ، أمّا أنا
فقد بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد ، فلا يسبهم أحد إلا سببته .
وإن علي نذراً : إن جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك . » ثم اندفع
جرير في قصيدته :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

فأنشدها فنكتس الفرزدق وراعي الإبل ، وأزمّ القوم ، حتى إذا
بلغ قوله :

بها برص بجانب إسكتيها . . .

وضع الفرزدق يده على فيه ، وغطى عنقه لئلا يظن جرير فيخزيه
في مجلسه ذاك ، فظن لها جرير فاتم البيت هكذا وكأن الفرزدق
لفته آياه :

بها برص بجانب إسكتيها كعنقة الفرزدق حين شاباً^(١)
ولعله في الأصل على غير ذلك . فانصرف الفرزدق وهو يقول : « اللهم
أخزه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكن
طمعت بالسلامة فغطيت وجهي فما أغناني ذلك شيئاً . »
واسترسل جرير في الإنشاد حتى بلغ قوله مخاطباً الراعي :
ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فأسقط في يد الراعي وبني غير عامة . وقال الفرزدق : « غضه والله فلا
يجيبه ولا يفلح بعدها أبداً^(٢) . »
وسرعان ما تناقل هذا البيت أهل المربد ، وانقض المجلس عليه . وسار
الراعي فوجد البيت سبقه إلى أهله وقومه فاستعيا ورحل .
وهكذا انطفت قبة غير آخر جمرات العرب في المربد ، أمام هذا
المحل الحاشد ، على يد جرير الشاعر .

١٢ - رد عروان

قدم معن بن أوس المزني (البصرة) فقعده ينشد في المربد . فوقف عليه
الفرزدق وأراد العبث به فقال : « يا معن ، من الذي يقول :
لعورك ما مزينة رهط معن بأجفان تطاق ولا سنام^(٣) »

(١) الإسكة : جانب فرج المرأة ، وهما إسكتان والعنقة : شعرات بين
الشفة السفلى والفقن .

(٢) الاغاني ٧/٧٤

(٣) من معاني الجفن : الشجر الطيب الريح .

فقال معن : « أنعرف يا فرزدق من الذي يقول :
لعمرك ما نعيم أهل قلنج بأرداف الملوك ولا كرام^(١) ،
فراء الفرزدق صلباً فتصل وقال له : « حسبك إنما جرتبتك . » فأجابه
معن بلمحة الحازم : « قد جرتبت وأنت أعلم . » فانصرف وتركه

١٣ - سرطنة

كان المريد إلى ذلك يفسح مجالاً لمتعصبة الشعوية وأراذلهم ، فينالون من
الحسب الزاكي والأصل الكريم ويتطاولون ، وكانوا يدسون سمومهم في
أفكار الموالي والعييد قال الاصفهاني :

« وقف رجل من بني زيد شريف ، لا أحب أن أسمىه ، على بشار
فقال له : « يا بشار ، قد أفسدت علينا موالينا ، ندعوم إلى الانتفاء منا
وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكي الفرع ولا
معروف الأصل . » فقال له بشار :

« والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولفرمي أذكى من عمل الأبرار ،
وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه . ولو شئت أن أجعل جواب
كلامك شعراً لفعلت ، ولكن موعدك غداً بالمريد . » فرجع الرجل إلى
منزله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المريد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد
المريد فإذا رجل ينشد :

شهدت على الزيدي أن نساء

(وأفحش بشار في تنمة البيت) فارتاع الشريف وسأل عن قال هذا

(١) الردف : الرديف وكل ما تبع شيئاً فهو رده .

البيت فقبل له : « هذا لبشار فيك . » فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل
المربد حتى مات .
فانظر في بضاعة المربد هذه ، واعجب كيف يتقبض فيه الاخيار
وينسلط الاشرار !

١٤ - معركة الرجاء

تترك حلبة الشعراء إلى حلبة أخرى أطرف وأظرف ، لاث أصحابها
ذوو أصول بدوية مقيسون في الحضر . تلك هي حلبة الرجاء أبي النجم العجلي
ورؤية وأبيه ، فننظر كيف يتنافس هؤلاء ، حتى إذا سكنت الريح بينهم
أنت قبائهم فاثارتها وكدرت ما بينهم حتى يعود الشر جذعة كما كان بدا ،
واعل المنظر الذي سنعرضه بعد قليل أروع منظر شهد المربد .

« قال فتیان من عجل لأبي النجم : هذا رؤية بالمربد يجلس فيسمع الناس
شعره ، وينشد الناس ويجمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ »
فقال : « أوتحبون هذا ؟ » قالوا : « نعم » قال فأتوني بعش^(٢) من نبيذ
فأتوه به فشرب ثم خض وقال :

إذا اصطبحت أربعا عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني

وأقبل إلى المجلس بالمربد فلما رآه رؤية أعظمه وقام له عن مكانه وقال :
« هذا رجاء العرب ، وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم أرجوزته التي أولها :

الحمد لله الوهوب المجزل .

(١) أصل الجذع : ولد الشاة في السنة الثانية والأنثى جذعة وطعنت حرب بين قوم
فقال أحدهم : إن شئت أعدناها جذعة : يريد من أول .
(٢) العش فالضم : القدر الكبير .

وكان إذا أنشد أزبد ووحش^(١) بشيابه وكان من أحسن الناس إنشاداً ،
فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أمّ الرجز .

إلا أن هذا الصفاء بين الرجازين واعتراف رؤبة وإقراره بفضل أبي النجم
ورضى هذا عن رؤبة لم يدم طويلاً ، فسُرعات ما أهاج الشرّ بينها
غواة الرجز ، فما لبثا أن فسد ما بينها واشتدت المنافسة إلى الغاية . وأنت
إذا أردت أن تستمتع وتنتسلي وتستفيد ، فأثر خصومة أو منافسة ،
أو هج شراً بين أدبيين أو شاعرين أو عالّمين ، تجد متعة وطرافة
تنعم بها من حيث شقي الرجال . هذا ما صنع قوم أبي النجم لما
رأوا المعجاج (أبا رؤبة وقريع أبي النجم) خرج محتفلاً عليه جبة خز وعمامة
خزّ ، على ناقة له قد أجاد راحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم
قوله : « قد جبر الدين الإله فجير ،

فذكر فيها ربيعة قوم أبي النجم وهجهم . فانطلق رجل من الناس من
بكر بن وائل يشتدّ عدواً إلى أبي النجم في بيته ، فقال له يستعشه وهو
يلهث : « أنت جالس وهذا المعجاج يهجوننا بالمربد ، قد اجتمع عليه
الناس ! ؟ » فتعرك أبو النجم وقال : « صف لي حاله وزيّته الذي هو فيه . »
فوصف له ، فقال : « ابغني جملاً طعناً قد أكثر عليه من الهناء^(٢) »
فجاء إليه بجمل كله قروح وقطرات ، فأخذ أبو النجم سراويله فجعل
إحدى رجله فيها واتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من
يقوده . فانطلق حتى أتى المربد وقد لحقه ما لا يحصى لما رأوا من الهيئة
الغريبة ، حتى دنا من المعجاج في حلقته فقال إنؤد جملة : اخلع خطامه ، فخلعه

(١) أي رمى بها .

(٢) هنا الإبل : طلاماً بالهناء وهو القطران يضمنونه منها مواضع الجروح .

واخذ أبو النجم ينشد أوجوزته :

« تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

والعجاج على ناقته يسمع ، ونفسه تحدثه بشر يصيبه . وجعل جل أبي

النجم يدنو من ناقة العجاج يتشتمها ، والعجاج يتباعد عنه لئلا يفسد ثيابه

الحزب ورحله الثمين الثقيل ، بالفطران . وما زال الجمل يتقرب من الناقة

والعجاج يتقهقر حتى وصل أبو النجم في إنشاده إلى قوله :

« شيطانه أتى وشيطاني ذكر »

فثارت عاصفة من الضحك والاستعسان من كل صوب وضع بها المربد ،

وتعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

١٥ - صحابي بكتاب نبوي

وهذا رجل من ضرب آخر قديم ، أفلت منذ قرن ، ليكون في المربد

كما تكون العاديات في المعارض أو دور الآثار والمصانع :

روى الأصمعي عن يزيد بن عبد الله قال : « بينما نحن بهذا المربد جلوس ،

إذا أتى علينا أعرابي أشمت الرأس فوقف علينا فقلنا : « والله لكأن هذا

الرجل ليس من أهل البلد . » قال الأعرابي : « أجل والله . » وإذا معه

قطعة من جراب أو أديم فقال : « هذا كتاب كتب لي محمد رسول الله ﷺ . »

فأخذناه فقرأناه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبني زهير (حي من عكل) :

إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم

المشركين وأعطيتهم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصفي فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ، لكم ما للمسلمين وعليكم بما عليهم .

فقال القوم وقد تكاثروا حوله : « حدثنا أصلحك الله بما سمعت من رسول الله . » قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة من كل شهر ، يذهبن وحرّ الصدر . »

فقال له القوم : « أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ » فأثارة منهم هذا وأغضبه فقال : « أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله ﷺ ، لا حدثتكم حديثاً . » ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع^(١) مديراً .

قال المحدث : فقبل لي لما تولّى : هذا النمر بن تولب العكلي^(٢) الشاعر

١٦ - من محن السياسة

أترك معركة الرجّاز تلك ، وأترك أبا النجم في زهو ظفروه ونشوة

(١) انصاع : انقتل راجعاً مسرعاً .

(٢) كان النمر يسمى الكيس لحسن شعره . وهو جاهلي أدرك الإسلام وهو القاتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا أتيناك وقد طال السفر تقود خيلاً ضميراً فيها عسر
نطعمها الشحم إذا قل الشجر والحيل في إطعامها اللحم ضرر
عاش إلى أن خرف وأهتر وكان هجيراً أن يقول : « أصبحوا الركب ، أغبقوا
الركب » كمادته التي كان عليها . ومن شعره قوله :

لا تعضين على امرئ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فاغضب
وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يطعي الرغائب فارغب
وقوله :

وأعلم أن ستدركني المنايا فلا أتبعها تبمني
أهتر : خرف . وهجيراً : دأبه وعادته . - انظر طبقات الشعراء لابن حلام ،

انتصاره وقد سرته أن يولتي العجاج مدحوراً مقهوراً ، وأن يسري خبر ما صنع واخترع في أسواق البصرة كلها مريان الكهرياء ، وأجوز مشهد النمر بن تولب الأعرابي الغريب الزي ، وأقف بالقارىء على مشهد آخر يبعث العبرة ، ويهيج من النفس مكان الثورة فيها والمقت للسياسة وما تجرته من ريلات :

أوقع الخليفة أبو جعفر المنصور بأخرامانية إذ قتل يعسوبها أبا مسلم ، وخلص من عمه الذي قاواه ، وبقي عليه أن يستأصل شأفة العلويين الذين لهم في النفوس المكانة البعيدة والتجلة والاحترام ، فشدد عليهم وقيدهم وحبس منهم وقتل .

ونحن الذين رأينا بالمربد ، صورة من كل ما يجري فيه حينئذ من دين وأدب ، ومعرضاً لعادات اجتماعية وأساليب تجارية ، سنرى فيه أيضاً مدى لما يتردد في أمصار الاسلام إذ ذاك من شدة على العلويين وتضييق وأخذ بالحناق .

في مربد البصرة سليمان بن علي من رؤوس بني العباس الذين أوقعوا بالعلويين ، وحوله جماعة من أشرف الناس . فإنه لجالس مجلسه ، وإذ بكبير العلويين إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . شيخ عليه أمارات الحزن والمهابة والوقار معاً ، وإلى جنبه المفضل الضبي ، ويمشي مع الشيخ صبيان من ولده قد ضمتهم إليه .

لمح إبراهيم مكان سليمان بن علي فوقف على رأسه وأمامه أطفاله ، وقال بصوت متهدج تحتقه العبرة وأشار إلى سليمان :

« هؤلاء منا ونحن منهم ، ألا أنهم فعلوا بنا وصنعوا ... » (وذكر كلاماً يعتد عليهم فيه بالإساءة) . قال هذا فتحركت الرحمة في نفوس السامعين جميعاً لما آل إليه أمر بني علي ، وحدثتهم أنفسهم بشيء على نبي العباس وقسوتهم ،

على أبناء عمومهم . ثم توجه الرجل لوجهه وتمثل بهذه الأبيات :

مهلاً بني عننا ظلامتنا	إنت بنا سورة من القلق
لملككم تحمل السيوف ولا	تغز أحسابنا من الرقق
إني لأنى إذا انتهيت إلى	عزّ عزيز ومعشر صدق
بيض سباط كان أعينهم	تكمل يوم الهياج بالعلق ^(١)

فقال له المفضل وهو يتبعه : ما أفعل هذه الأبيات فلمن هي ؟ قال :

« لضرار بن الخطاب الفهري قالها يوم الحندق وتمثل بها علي بن أبي طالب يوم صفين والحسين بن علي يوم قتل » وزيد بن علي .

ثم لحق القوم فلم يمس قليل حتى أقامه نعي أخيه محمد قتله رجال أبي جعفر ، فتمثل إبراهيم :

نبئت أن بني ربيعة أجمعوا	أمرأ خلاهم لتقتل خالدا
إن يقتلوني لا تصب أرماعهم	ثأري ويسعى القوم سعياً جاهدا
أرمي الطريق وإن صددت بضعة	وأنازل البطل الكمي الجاحدا

فسأله المفضل لمن هذه الأبيات ؟ فقال : للأحوص بن جعفر بن كلاب

تمثل بها يوم شعب جيلة . ثم لم يلبث أن أقبلت عساكر أبي جعفر واقتلت مع أصحاب إبراهيم هذا . وقتل من الفريقين من قتل وكاد يكون الظفر لإبراهيم^(٢) .

(١) سورة النضب : وثوبه وحده . والغز : العيب . السباط : الحسان اللد والاستواء . والعلق : الدم .

(٢) الاغانى ج ١٧ صفحة ١٠٩ :

وتمة رواية المفضل هذه : [فلما رأى البياض يقتل والسواد يكثر قال لي : « يا مفضل

حركني بشيء يهون علي بعض ما أرى . » فأشده :

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت بسير إنما أنت حالم =

١٧ - حل سلمى

قتل بعض بني تميم مسعود بن عمرو العتكي فنهض أخوه زياد بن عمرو لناره ،
فحشد الحشود في المربد وجعل في الميمنة بني بكر بن وائل وفي الميسرة بني
عبد القيس وبقي هو في القلب .

بلغ ذلك الأحنف بن قيس سيد بني تميم فقال : « هذا غلام حدث شأنه
الشهرة ، وليس يبالي أين قذف بنفسه » ثم ندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر
الغداني وقد اجتمعت بنو تميم فجعلوا سعداً والرباب في القلب ورئيسهم عيس بن
طلق الطم - إن المعروف بأخي كهس فجعل في القلب مجذاء الأزدي ، وجعل
حارثة بن بدر في بني حنظلة مجذاء بكر بن وائل ، وجعلت عمرو بن تميم

= أبي كل حر أن يبيت بوتره ويمنع منه النوم إذ أتت قائم
أقول لفتيان المشي تروحوا على الجرد في أفواههم الشكائم
قفوا وقفة : من يحيى لم يخز بعدها ومن يخترم لا تبسه اللوائم
وهل أنت - إن باعدت نفسك منهم لنسلم - فيما بعد ذلك سالم ؟

فقال لي : « أعد » فتبتهت وندمت ، فقلت : « أو غير ذلك ؟ » فقال : « لا ، أعدها »
فأعدتها ، فطال على سرجه ، وتخطى في ركابه حتى خلته قد قطمها ، ثم حل فطمن رجلاً
وطمنه آخر ، فقلت : « أتباشر الحرب بنفسك والمسكر منوط بك ؟ » فقال : « أليك عمو
يا أخا بني ضبة ، كأن عويلاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول :

ألت خضاس وإلامها أحاديث نفس وأسقامها
يأبى من بني مالك تطاول في المجد أعمامها
وإن لنا أصل حرثومة ترد الحوادث إلامها
يرد المكتيبة معلولة بها أفها وبها ذامها

ثم حل حلة جاءه فيها سهم عائر ، فشغلني وكان آخر العهد به . [اه
ويخترم : يت شاباً . والافن : ضف العنق . والذام : القم .

بجذاء عبد القيس ، فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف :
 سيكفيك عبس أخو كهس .
 مقارعة الأزد بالربد .. الخ
 وكان المجتمعون من نيم وباديتهما وحلفائهما من الاساورة والزط والسباجية
 وغيرهم زهاء سبعين ألفاً ، وفي ذلك يقول جرير :

سائل ذوي يمن ورهط محرق والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا
 فأتاهم سبعون ألف مدجج متسربلين بلامقاً^(١) وحديدا
 فلما توافقوا بعث إليهم الأحنف :

« يا معشر الأزد وربعة من أهل البصرة ! أنتم والله أحب إلينا من
 نيم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العـدو ، وأنتم بدأتمونا
 بالامس ووطئتم حرمينا وحرقتم علينا فدفعننا عن أنفسنا ، ولا حاجة لنا في
 الشر ما أصبنا في الخير مسلكتاً ، فنبسوا بنا طريقة قاصدة . »
 فوجه إليه زياد بن عمرو :

« تخير خلة من ثلاث : إن شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا ،
 وإن شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك إلى حيث شئتم ، وإلا
 فدوا قتلاتنا واهدروا دماءكم ، وليؤد مسعود أخى دية المشعرة . » أي :
 عشر ديات ، كما يردى أبناء الملوك في الجاهلية .

فبعث إليه الأحنف : « سنختار فأنصرفوا في يومكم . »
 فجز القوم وأياتهم وأنصرفوا . فلما كانت تغد بعث إليهم :
 « إنكم خيرتمونا خلافاً ليس فيها خيار : أما النزول على حكمكم فكيف
 يكون والكلم يقطر دماً ؟ ! وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل ، قال الله
 عز وجل : « ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من دياركم

ما فعلوه إلا قليل منهم ، وإن كن الثائفة إنما هي حمل على المال فمنه نبتل
دماءنا وندي قتلاكم ، وإنما مسعود رجل من المسلمين ، وقد أذهب الله
أمر الجاهلية .

فاجتمع القوم على أن يقتلوا أمر مسعود ، ويغيب السيف ، ويؤدى
سائر القتلى من الأزد وريضة . فتضمن ذلك الأحنف ودفع إلياس بن قتادة
المجاشمي رهينة حتى يؤدى هذا المال ، فرضي به القوم .

فخر الفرزدق بهذا وعرض بقوم جرير فقال :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة	لغاربي معدّ يوم ضرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما	عجاجة موت بالسيف الصوارم
هنالك لو تبغي كليباً رأيتها	أذل من القردان تحت المناسم ^(١)

(١) الكامل للبرد ٨١/١-٨٣ الفاران : القيلتان العظيمتان ، وأراد بالمربدين
المربد وما حوله .

وتتمة الخبر طريقة حقاً بما فيها من نبل ومروءة خالصين ، يرويا بطل السلام نفسه
الأحنف قال :

« فكثرت علي الديات فلم أجدها في حاضرة عيم ، فخرجت نحو (يبرين) فأتت عن
المقصود هناك فأرشدت إلى قبة ، فإذا شبيخ جالس بقناتها مؤترر بشملة محتب بجبل ، فسلمت
عليه وانتسبت له ، فقال : « ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقلت : « توفي
صلوات الله عليه » قال : « فافعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويجوئها . »
فقلت له : « مات رحمه الله تعالى . » قال : « فأني خير في حاضرتمك بعدها ؟ »
فذكرت له الديات التي لومتنا الأزد وريضة فقال لي : « أفم » فإذا راع قد أراح ألف
بمير ، فقال لي « خذها » ، ثم أراح عليه آخر مثلها فقال : « خذها » فقلت :
« لا أحتاج إليها » .

فانصرفت بالآلف عنه ووالله ما أدري من هو ؟ إلى الساعة ! !

١٨ - عرض الأُمم

إذا كانت المعارض اليوم تزخر بالناس من مختلف الأمم فإن المريد اقتصر على العرب والفرس فقط . وكانت مضي على هذين الجنسين أكثر من قرن وهما يتازجان دماً وطبائع وعادات ، حتى تعلم كثير من الفرس النازلين في بقاع أغلب أهلها عرب ، اللغة العربية وتقفوها وأحسنوا التكلم بها نظماً ونثراً. ولم يخل المريد من هذه الطبقة المولدة الجديدة، فقد كانت تغشاء وتضيف إلى ما به من الوان ، لوناً حديثاً لا عهد للناس بمثله .

وقد روي أن أديب العرب وفارس : عبد الله بن المقفع ، دعا جماعة بالمريد ناحية وطرح عليهم هذا السؤال : « أي الأمم أعقل ؟ » فكانت الأجوبة مختلفة ، وعرض المجيبون أحوال من يعرفون من الأمم ؛ فلا علينا وقد شهدنا مشاهد النضال في المريد من حروب وهجاء ، أن نشهد مجلساً علمياً هادئاً يضم نخبة من ذوي العقول الراجحة والآراء الحصيفة :

قال شبيب بن شيبه أحد بلغاء العرب وجليس الملوك :

« كنا وقوفاً بالمريد ، وكان المريد مآلف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع فتبششنا به وبدأناه بالسلام ، فردّ علينا السلام ثم قال : « لو ملتم إلى دار نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها المعجيب ، فموّدتكم أبدانكم تمهد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه . »
فقبلنا وملنا . ولما استقرّ بنا المكان قال لنا :

« أي الأمم أعقل ؟ ! »

فنظر بعضنا إلى بعض ! فقلنا له أراده أصله من فارس فقلنا : « فارس » .

فقال : « ليسوا بذلك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا
عظيماً من الملك وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الأمر ، فما
استنبطوا شيئاً يعقولهم ولا ابتدعوا باقي حكم في نفوسهم . »

قلنا : « فالروم . »

قال : « أصحاب صنعة . . . »

قلنا : « فالصين . »

قال : « أصحاب طرفة . »

قلنا : « فالهند . »

قال : « أصحاب فلسفة . »

قلنا : « فالسودات . »

قال : « شر خلق الله . »

قلنا : « فالترك . »

قال : « كلاب مختلصة . »

قلنا : « فالخزر . »

قال : « بقر سائمة . »

قلنا : « قتل . »

قال : « العرب . . . فضحكنا . . . »

فقال : « أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتني حظي من
النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل
لها ولا آثار أثوت ، أصحاب إبل وغنم وسكان شعر وأدم . يجود أحدهم
بقوته ، ويتفضل بجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف
الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ،
ويقبض ما شاء فيقبض . أدبتهم أنفسهم ورفعتهم همهم . وأعلنتهم قلوبهم
والسننهم . فلم يزل حياء الله فيهم ، وحباًؤهم في أنفسهم حتى رفع لهم الفخر ،
وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه

وخلافته بهم إلى الحشر ، الخير فيهم ولهم . قال سبحانه :
« إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ » (١) .
فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خُصم ، ودفع الحق باللسان
أكبت الجنان .

١٩ - اعزل مجمل

وإليك بعد أن استمتعت بعلم ابن المقفع وأدبه ، صراعاً مجتلياً إليك إذ
تقرؤه أنه كان في الأولمبياد ، لأحد أبطال يونان ، أو أنه جرى على غرار
ما يجري في بلاد الإسبان ، على يد مصارعى الثيران ، بطله فارس عربي
شجاع شاعر شديد البأس والبطش ، على خلاف ما تعهد في الشعراء . هو هلال بن
الأسعر أحد الجبّارين العمالة الضخام ، كأنه من قوم عاد . كان هلال هذا
أعظم الناس غناء في حرب ، يرد مع الإبل فيأكل كل ما وجد عند أهله ثم
يرجع لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً . عُمر طويلاً ومات بعد بلابا
عظام مرت على رأسه .

« كان يوماً في إبل له وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ،
مخدم المهاجرة ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت
كساءه من الشمس ، فبينما هو كذلك إذ مرّ به رجلان : أحدهما من بني
نهمشل والثاني من بني فقيّم ، كانا أشدّ غميّتين في ذلك الزمان بطشاً ، يقال
لأحدهما الهبّاج ، وقد أقبلتا من البحرين ومعهما أنواط » (٢) من تمر هجر ،
وكان هلال بناحية الصعاب ، فلما انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه

(١) سورة الاعراف ١٢٧/٧

(٢) النوط : الجلة الصغيرة فيها تمر والجمع أنواط .

يولا يعرفان أن الإبل له ناديا : « يا راعي أعندك شراب تسقيننا؟ » وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فتاداهما هلال ورأسه تحت كسائه : « عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنبيخاها فإن عليا وطيبين من لبن ، فاشربا منها ما بدا لكما ، . فقال أحدهما : « ويحك ، انض يا غلام فأت بذلك اللبن . » فقال لها : « إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطين فتشربان ، فقال أحدهما : « إنك يا بن اللعناء لغلظ الكلام ، قم فاسقنا . » ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . فقال لها هلال : « أراكما والله ستلقيان هواناً وصغاراً » فسمعا ذلك منه فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة ، فتنادى صاحبه : « ويحك أغثني قد قتلتني . » فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى . ثم أخذ بوقايهما فجعل يصكّ برؤوسهما بعضاً ببعض ، لا يستطيعان أن يمتنعا منه . فقال أحدهما : « كن هلالاً ولا نبالي ما صنعت . » فقال لها : « أنا والله هلال ، ولا الله لا تفلتان مني حتى تعطيانني عهداً وميثاقاً لا تخيان به : لستأتين المربد إذا قدمنا البصرة ثم لستأديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما . » فعاهداه وأعطياه زطاً من التمر الذي معهما ، وقدا للبصرة فأتيا المربد فتاديا بما كلف منه ومنهما . وكان إعلان طنان دوتى في فضاء المربد .

وهكذا جمع المربد بطولة القوة والصراع والجبروت البدني ، إلى جانب بطولة الشعر والأدب والخطابة ، فكان معرضاً تام الأداة وفي الفروع . وتمّ لأسواق العرب به خاتمة المزايا والكمال ، وأصبح في وسع من شاء الاستمتاع بأكثر عادات العرب وأخلاقهم ودينهم وسياساتهم وحروبهم وأدبهم وسباقهم وصراعمهم ، أن يفوز بأمنيته من أقصر طريق ، إذا استذكر ما كانت عليه أسواقهم في الجاهلية والإسلام .

(١)

استدراك

قرأ فريق من أهل الفضل ، مقدمة الكتاب عقب طبعها ، فأوا من الحق
الواجب علينا ، وقد عرضنا لذكر « معرض دمشق وسوقها » وأثينا على ما فيه من كل
نفس معجب ، أن ثبت ما يلي :

أسامت إدارة هذا المعرض إلى الأمة وكرامتها كل الإساءة : في إباحتها القمار
والخمر ، وفي غضاها الطرف عن مفاصد كثيرة نشأت عن اختلاط الرجال بالنساء ، وفي
إحيائها الليالي الساهرة تقيم فيهن الحفلات الراقصة ، يتصدرها أشخاص رسيون ،
بينما كان العرب في فلسطين يخوضون الدماء ويسلط على رؤوسهم شواظ وقذائف وحرم ،
وم يكافحون ويمجالدون ويصابرون ، عدوين الدين ، الانكليز واليهود ، ويتعرضون
لنار جيشين قويين . فليتنا إذ لم نقم بحق فجدة اخواننا ، راعينا المرومة والذوق على
الاقل ، فنزهننا معرضنا عن المظاهر المزرية .

ولئن كان المعرض قد مثل الشام بمصنوعاته ونفائسه التي كانت بحق مفخرة من اعظم
مفاخر هذه الأمة المجيدة ، إن إدارته لم تكن - فيما أباحت - تمثل البلاد بشيء ،
فقد شذت عن كل إدارات المارض التي سبقتها ، إذ خصصت هذه أياماً للنساء وأياماً
للرجال ، ولم تندفع في سبيل التقليد السخيف اندفاع المعرض الاخير ، فكانت بذلك
اصدق خبراً عن البلاد التي أقامتها .

ولكل أمة تقاليد كريمة وأخلاق وشعور ، لا تقوم لها قائمة ولا يحترم لها مكانة ،
إلا إذا تمسكت بها تمسك الفريق بجمال النجاة ، وأيا امرئ خرج على شيء منها فقد
خرج على أمته وبلاده .

تقول هذا ونحن لا ينقضي عجبنا من ان تصدر تلك الكبائر عن معرض دمشق ، بينما

(١) هذا استدراك صدر في الطبعة الاولى لتاسية خاصة ، يصف شعور الشاميين إزاء

بعض ما كان جرى في معرضهم العام سنة ١٩٣٦ م أثبتناه هنا لتاريخ فقط .

مديره الذي أطلقت يده في إدارته وموظفيه ، رجل معروف بمتانة الخلق وصحة البدأ ،
والصلابة في تطبيقه .

ولكن يظهر أن الشأن ليس - دائماً - في إحسان اختيار الرأس .

ان الناس كانوا اذا قرؤوا في الصحف اخبار فلسطين وما يدوي في اجوائها من
رصاص وبارود . . . قطع عليهم قراءتهم اصوات الاسهم النارية تطلق في جو المعرض
ابتهاجاً بغير شيء ، فكان الالم يرسم علامه على وجوه اكثر الشاميين . وكان على
الصحف التي تمثل الرأي العام ، وعلى الطبقات المثقفة واهل الحل والعقد ان ينكروا ما يثلم
كرامة البلد ويمس مروءته ، لكنه لم يرتفع في استنكار ذلك - مع الاسف - صوت ،
إلا صوت بعض الجمعيات الدينية ، التي احتجبت لدمشق بلد الفضيلة ان تؤذى في سميتها .

هذه كلمة نقولها للحق والتاريخ وقد مضى على انفضاض المعرض ثمانية اشهر (١)

مسارد الكتاب

- ١ - سرود اوديات الكريمة
- ٢ - » اوديات النبوية
- ٣ - » اودياتهم
- ٤ - » الجماعات
- ٥ - » اودياتهم
- ٦ - » اودياتهم
- ٧ - » الكتب
- ٨ - » الموضوعات

١ - سرر الويات الكريمة^(*)

ص	الآية
٢٨	نحن قسمنا بينهم معيشتهم .. سورة الزخرف ٣٢/٤٣
٢٨	وقدر فيها أقواتها .. د السجدة ١٠/٤١
٢٨	قل لا أملك لنفسي نقماً ولا خيراً .. د الاعراف ١٨٨/٧
٣٠، ٤٠	وإذا رأوا تجارة أو لهواً .. د الجمعة ١١/٦٢
٣٠	إنما المشركون نجس .. د التوبة ٢٩/٩
٣٣	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله .. د الفتح ١٠/٤٨
٣٤	.. إذا جاءك المؤمنات يبايعنك .. د المتحنة ١٢/٦٠
٣٩	.. يرجون تجارة لن تبور .. د فاطر ٢٩/٣٥
٣٩	أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى .. د البقرة ١٦/٢
٣٩	.. الحياة الدنيا بالآخرة .. د .. د ٨٦/٢
٣٩	بشبا اشتروا به أنفسهم .. د .. د ٩٠/٢
٣٩	ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله .. د .. د ٢١٧/٢
٣٩	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم .. د التوبة ١٢٢/٩
٤٠	رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع .. د النور ٣٧/٢٤
٤٠	.. هل أدلكم على تجارة تنجيكم .. د الصف ١٠/٦١
٤٢	.. إذا تدانيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .. د البقرة ٢٨٢/٢
٤٣	غلبت الروم في أدنى الأرض .. د الروم ٢/٣٠
٥٩	.. ولا تكررهما فتياكم على البغاء .. د النور ٣٣/٢٤
٦١، ٦٣، ٦٧	.. اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا .. د البقرة ٢٧٨/٢
٦٤	فيظلم من الذين هادوا .. د النساء ١٥٨/٤
٦٥	الذين يأكلون الربا .. د البقرة ٢٧٥/٢

(*) على ترتيب ورودها في الكتاب ، رقم السورة إزاءها وبعد الخط المائل رقم الآية فيها .

ص	الآية
٦٧	.. لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة .. سورة آل عمران ١٣٠/٣
٧٢	يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .. البقرة ٢١٧/٢
٧٨	ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس .. البقرة ١٩٩/٢
٧٨	.. وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. البقرة ١٨٩/٢
١٤٠	.. يتفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله .. الانفال ٣٦/٨
١٤٣	ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً .. النور ٢٨/٢٤
١٤٧	لإيلاف قريش إيلافهم .. قريش ١/١٠٦
١٤٩	.. أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع .. إبراهيم ٢٧/١٤
١٥١	.. يخافون أن يتخطفكم الناس .. الانفال ٢٦/٨
١٥١	وإذ جعلنا البيت مثابة للناس .. البقرة ١٢٥/٢
١٥١	.. ومن دخله كان آمناً .. آل عمران ٩٧/٣
٢٠٢، ١٥١	.. جعلنا حرماً آمناً ويتخطف .. العنكبوت ٦٧/٢٩
٢٠١	.. ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .. الفرقان ٧/٢٥
٢٠١	ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق .. الفرقان ٢٥/٢٥
٢٠٢	.. أولم نمكن لهم حرماً آمناً .. القصص ٥٧/٢٨
٢٠٤	ليس عليكم جناح أن تبتغوا .. البقرة ١٩٨/٢
٢٥٤	.. وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .. الحج ٢٧/٢٢
٢٧٥	.. وإن منكم إلا واردها .. مريم ٧١/١٩
٣٥٥	.. لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون .. يوسف ٨٧/١٢
٤١٥	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب .. آل عمران ٢٣/٣
٤٢٠	.. وجفان كالجواب وقدور واسيات .. صبا ١٣/٢٤
٤٢١	.. غرف من فوقها غرف .. الزمر ٢٠/٣٩
٤٢١	.. وهم في الغرفات آمنون .. صبا ٣٧/٣٩
٤٢١	.. ونخل طلعا مضج .. الشعراء ١٤٨/٢٦٥
٤٤٧	ولو أنا كتبنا عليهم .. النساء ٦٥/٤
٤٥١	إن الأرض لله يورثها من يشاء .. الأعراف ١٢٧/٧

٢ - مسرود الحديث النبوي^(*)

ص	الحديث
٢٩	يا معشر التجار إن هذا البيع بحضرة الحلف ..
٥٨، ٥٢، ٤٩	نهي رسول الله عن بيع كانت في الجاهلية
٥٣	لا تصروا الإبل والغنم ..
٥٧	لا تلتفتوا الركبان ، ولا يبيع بعضكم ..
٥٧	من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى ..
٥٧	البيعات بالخيار ..
٦١	مصالحة رسول الله قبيصة ثقيف على إبطال الربا
٦٢	ومن أكل منهم ربا ..
٦٧	إن رضوا وإلا فآذنتهم بحرب ..
٦٩	ألا وإنا كل ربا الجاهلية موضوع كله ..
٧١	ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ..
٧٧	إني رجل أحسي ..
٨٠	لا ضرورة في الإسلام ..
١٤١	أولم ولو بشاة ..
١٦٤	كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار ..
١٨٤	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ..

(*) على ترتيب ورودها في الكتاب

ص	الحديث
٢٠٤	لك حج ..
٢٣٣	خذه يا بن عوف ... فتزوج بنت ملكهم
٢٣٤	كتاب النبي ﷺ لا كيدو وأهل دومة الجندل
٢٥٣	إني لأعلم أرضاً من أرض العرب ..
٢٥٨	ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ..
٣١٤	كأني أنظر إليه (إلى قس بن ساعدة) يسوق عكاظ
٣٢٦	يا أيها الناس قولوا : (لا إله إلا الله) تفلحوا .
٣٢٦	لا أكره منكم أحداً على شيء ..
٣٢٨	إني رسول الله فإن أنيتكم تمنعوني؟ .. هم أول من كذبني وطردني
٣٢٩	اللهم بارك على هؤلاء ..
٣٣٣	يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني ..
٤٤٢	كتاب النبي ﷺ لبني زهير (حمي من عكل)
٤٤٣	صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة من كل شهر بذهبن وحر الصدر

٣ - مسرد اللفظ (٤)

الأحنف بن قيس ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٤٦ -	آدم (عليه السلام) ١٥٠
٤٤٨	إبراهيم د ١٤٩، ٧٦، ٧٥
الأحوص بن جعفر بن كلاب ٤٤٥	د بن طلحة ١٢٢
أحيحة بن الجلاح ١٠٥، ٦٢	د عبد الله بن حسن ٤٤٤ - ٤٤٦
الأخطل ٣٨٦	د د عدي ٣٦١
الأخفش ٤٠٧	د الموصل ٣٨١
الأزرق (صاحب أخبار مكة) ٧٩،	أبرهة ١٠٧ - ١٠٩، ١٦٠
١٢٤، ٢٠٤، ٢٥٩، ٢٩١، ٣٤٤، ٣٤٦	إبليس ٤٢٧، ٤٢٨
الأزهري ٢٧١	ابن إبليس ٤٢٨
أبو الأثير الدومي ٣٤٩	أين ٢٦٨
إساف (صم) ٨٥	أبي (القاري - الصحابي) ١٥٢، ٢٠٤
د بن يعلى ٨٥	د بن خلف الجمحي ١٨٥، ١٨٦
ابن إسحاق (صاحب السيرة) ١٦٤	٣٤٩، ٣٤٨
أسد بن جابر ٢٥٩	ابن الأثير (صاحب النهاية) ٥٢، ٥٤
د د هاشم بن عبد مناف ١٥٠	أحمد = رسول الله
إسرائيل ولفنون ١٨	د أمين ٣٤٣
إسرائيلين = إسرائيل ٣٨٧	د بن موسى ٢٧٢

(*) ١ - أسقط في بحثك عن الاعلام الكلمات الآتية مراعيًا الترتيب الابداعي فيها بعدما:

ال ، ان ، ابن ابي ، ابو ، ام ، بنو ، آل

٢ - لا تحذف الألفات ولا الواوات من مثل الكلمات الآتية : إبراهيم ، إسحاق ،

إسماعيل ، الخارث ، هارون ، داوود . .

٣ - اذا اشتهر العلم باسم آخر وجدته بعد إشارة = التي تعني (هو) فابحث عن الاسم

الذي بعد الإشارة لانه الأشهر غالباً .

الاقشير (الشاعر) ٣٨٧، ٣٨٦
 اكيدر بن عبد الملك (صاحب دومة)
 ١١٤، ١٩٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢
 ٢٣٢-٢٣٨، ٢٧٠
 الالوسي (صاحب بلوغ الأرب)
 ٢١، ٤٦، ٥٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٧
 ٢٥٦، ٢٨٥، ٣٤٢، ٣٤٣
 أبو أمامة التيمي ٢٠٤
 امرؤ القيس ٢٤١، ٢٩٣، ٣٢٥، ٣٧٢
 أمية بن أسكر الكتاني ١٧٥، ٢٩٣
 ٢٩٤
 د الاصغر (ابن عبد شمس) ٣٣١
 د بن خلف ١٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠
 د د عبد شمس ١٠٢، ٢٨٤
 أبو أمية بن المغيرة ١٢٥
 ابن الأنباري ١٩٧
 أنيس (سائس فيل أبرهة) ١٠٨
 أوس بن مفرأ ٤٣٣، ٤٣٤
 إلياس بن قبيصة الطائي ٣٨٣، ٣٨٤
 أيوب (عليه السلام) ٣٦٣
 بإذان ٢٤٢، ٢٤٣
 بئينة ٢٤٦
 بجرة بن قيس الشيري ٣٢٨، ٣٢٩

إسطرابون ١٧
 أسعد أبو كرب ٤١
 الإسكندر ١٦ ٣٩٥
 الاسكندري (الشيخ أحمد) ٣٤٢
 أسلم (مولى عمر بن الخطاب) ٣٥٢
 أسماء المرية ٣٩٥
 إسماعيل (عليه السلام) ٧٤، ٢٣٩
 د بن علي بن العباس ١٢٢
 الاشر ٣٢
 الاشعث بن قيس ١٩٩، ٢٧٥
 الأصبع بن عمرو السكبي ٢٣٤
 الإصطخري (صاحب مسالك الممالك)
 ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٦، ٣٩٨
 الأصفهاني = أبو الفرج الأصفهاني
 الأصمعي ٢٦، ٢٤٨، ٣٢١، ٤١١
 ابن الأعرابي ٥٢
 الأعشى ٢٦، ١٩٨، ٢٤١، ٣١٥-
 - ٣١٩، ٣٧٤، ٣٧٩
 أعشى مهدات ٣٨٩
 الأعظمي (صاحب تاريخ ملوك الحيرة)
 ٤٤، ٣٨٠
 الأقرع بن حابس ٢٠٥، ٣٨٠، ٢٩١

- مجيدي الراهب ٣٦٧
البخاري (صاحب الصحيح) ١٣١ ٥٣
٢٠٤، ٢٠١، ٢٠٠
مختصر ٣٧٧، ٣٧٦، ٤١
بدر بن معشر الغفاري ٣١١، ٣٠٠
أبو براء (عامر بن مالك) ١٧٠، ٦٩
البراص بن قيس الضري ١٦٦-١٧٠
١٨٩
برة بنت مر ٩٤
بسر بن أرطاة ٤٣٣، ٤٣٢
بسطام بن قيس ٣٣٧
بشار بن برد ٤٢٢، ٤٣٩، ٤٤٠
بشر (أخو أكيدر) ١١٤
أبو بصير = الأعشى
ابن بطرطة ٤٠١
البغدادى (صاحب خزائن الأدب)
٢٢٧، ٢٢٣، ٢١٠
بكر (ابن أبي الورد) ٣٦٣
بكر بن خازجة ٣٨١
أبو بكر (صاحب المتناهي في اللغة)
٣٨٧
أبو بكر الصديق ٢٦، ٣١، ٧٢،
١١٠، ١١٦، ١٣١، ١٣٢، ١٤١،
١٤٣، ٢٣٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨،
٣٩٥
أبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن
هشام ١٧٧
أبو بكر بن العربي ١٤٢
» » » نصر ١٧٤
» » » الهمداني = الهمداني
البكري (صاحب معجم ما استعجم)
٢٨٧
البلاذري (صاحب فتوح البلدان)
٦٢، ٦١
بلال بن أبي بردة ٣٩٨
بلال (الحبشي الصحابي) ٣٤٤
بلقيس (ملكة سبأ) ١٨
ابن بلجد ٢٨٨
بندلي جوزي ٣٨
بورتر ٤٦٥
بويج ٥٤
ابن بيدرة = عبد الله بن بيدرة
ابن بيض ١٠١
بيع ٣٧٧
تأخر بنت الأصغر ٢٣٤
أبو تميم ١٢٠
تميم بن مر ٧٨
التوحيدي ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦

جندل (ابن راعي الابل) ٤٣٦ -

٤٣٨

أبو جندل = راعي الابل

ابن جني ٣٤٤

أبو جهضم = عباد بن حصين الحبلي

ابن الجوزي ٢٨١

أبو حاتم ٢٤٨

حاتم بن عبد الله الطائي ٣٨٣-٣٨٥

حاجب بن زرارة ٢٠٥

الحارث بن أمية ٧٩

» » حازة ٣٤٨، ٩٥

» » حنش السلمي ١٥٠

» » ظالم ٣٠٤

» » عامر ١١٠

» » عبد الله المخزومي

(القباع) ٤٢٦، ٤٢٧

» » عمير ٣٦٨

» » قيس ١١١

» » كدة الثقفي ١٧٨

» المري ٣٠٧

حارثة بن بدر ٤٤٦، ٤٤٧

» » شراحيل ٣٣٣، ٣٣٢

حاطب بن أبي بلتعة ٣٦

البحالي (صاحب ثمار القلوب) ٢٦،

١٤٦، ١٤٨ ٣٢٣، ٢٦٧

جابر (الصحابي) ٥٧

الجاحظ ١٦٣، ١٤٤، ٩٥، ٨٣

١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ٢٨٠، ٣١٥

٤٠٢-٤٠٦، ٤٢٠، ٤٢٣

جارية بن سليط ٣٢٣

جبة بن حارثة ٣٣٢

ابن جدعان = عبد الله بن جدعان

جذل الطعان ١٥٧

جرير بن الخطفي ٣٥٩، ٩٤-٣٦١

٤١١، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢

٤٢٦-٤٣٢، ٤٣٥-٤٣٨، ٤٤٧

٤٤٨

جرير بن عبد الله البجلي ٣٤٤

جعفر بن سليمان الهاشمي ٤٠١، ٤٠٩

أبو جعفر المنصور ٤٤٤، ٤٤٥

الجلندي بن المستكبر ٢١٧، ٢١٨

٢٢١، ٢٦٣، ٣٦٥، ٢٧٠

الجل (جل عائشة) ٤١٣، ٤١٧

٤٢٤

جميل بن معمر (الشاعر) ٢٤٦، ٣١٩

الحصين بن الحمام الموي ٣٧١، ٣٠٧
ابن الحضرمي = العلاء بن الحضرمي
الحكم بن أبي العاص ٣٨٣، ٣٧٤
حكيم بن جبلة ٤١٦

د د حزام ١٤٥ ، ١٤٦
٢٧٩ ، ٣٣١

ابن حلة = الحارث بن حلة

حمام (مولى بائلة) ٤٢٨

حمد الجاسر ٢٨٧

حنين الحيري ٣٨٩

حوثة = ربيعة بن عمرو

ابن حوقل ١٣١

أبو حبة النسيوي ٣٨١

الحازن (المفسر) ٢٨ ، ٦٦ ، ٢٠٤

خالد ؟ ٤٤٥

د بن أرطاة السكبي ٦٦ ، ٢٨

د د جعفر بن كلاب ٣٠١

٣٠٤ ، ٣٠٣

د د صفوان ٤٠٥ ، ٤٠٦

د د الوليد ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧

٢٣٦-٢٣٤ ، ١١٠

خداش بن زهير ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤

٣٤٩ ، ١٨٠

خديجة بنت خويلد ١٣٢ ، ١٣٣

٢٥٨ ، ٣٣١

ابن حبيب = محمد بن حبيب

الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٥٩ ، ٣٩٧

٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤١٨

ابن حجر (المحدث) ٦٨

ابن أبي الحديد ٣٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤

١٥٣

حذافة بن غانم العدوي ٩٤

حذيفة بن بدر الفزاري ٣٤٩

حرام بن جابر ٢٥٩

حرب بن أمية ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠

١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

٣١٢

ابن حرب = أبو سفيان بن حرب

أبو حرب بن أمية ٢٨٤

ابن حزم (الأندلسي) ٤٠٠

حسان بن ثابت ١٧٧ ، ٣١٥ ، ٣١٦

٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٧٤

حسان بن جبلة الخير ٣٨٤

أبو الحسن البكري ٢٧٥

حسن حبشي = محمد حسن حبشي

د حسني عبد الوهاب ٤٠١

الحسن بن عادية ٢٥٣

الحسين بن علي بن أبي طالب ١٨٧

١٨٨ ، ٤٤٥

الذهبي (المؤرخ) ١٤١
 ذو الرمة ٣٥٩، ٤١٩، ٤٣٤، ٤٣٥
 ذو يزن ٢٧٩
 راعي الأبل ٤١٩، ٤٢١، ٤٣٥ -
 ٤٣٨
 رؤبة بن العجاج ٤١١، ٤١٩
 ٤٤٠-٤٤٢
 أبو رافع الحيري ٢٣، ٣٥٧
 رباح بن عمرو بن ربيعة ٣٠٦
 ربيب (اسم جمل) ٢٥٠
 الربيع بن زياد ٤٠٠
 أبو ربيعة ٣٠٦
 ربيعة بن حذار ٢٠٥، ١٩٦
 ربيعة بن عمرو (حوثة) ٣٣١
 د د مخاشن ٢٠٥
 أبو ربيعة بن المقيرة ١٢٤، ١٧٦
 ١٧٧، ٢٨٣
 ابن رسته ٢٨٦، ٢٨٧
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٦
 ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٤٩، ٥١-٥٣
 ٥٧-٧٢، ٧٧-٨٠، ٩٨، ١٠٧
 ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١٢٣، ١٢٨
 ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧-١٣٩

خرقاء (صاحبة ذي الرمة) ٤٣٤
 ٤٣٥
 ابن الحس التغلي ٣٠٤
 ابنة الحس ٣٣٩
 خلف الأحمر ٢٤٨
 الخليل بن أحمد ٤٠٤، ٤٠٦
 خناس ؟ ٤٤٨
 الخنساء ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧-٢٩٩
 ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩
 خولة بنت ثعلبة ٢٨٤
 خير بن عبادة ٢٤٤
 خير الدين الزركلي ٢٨٦
 ابن دارة ٣٢٣
 داود (النبي) ٣٧١
 د بن عيسى ٢٥٩
 دحية بن خليفة الكابي ٢٩
 دختوس ٤٤
 ابن دريد ٥٤، ٤٠٧
 دريد بن الصمة ٢٤٥، ٣١١
 دوسو ٣٦٢
 ابن الديان ٢٩٣
 أبو ذؤيب الهذلي ٢٤١، ٣٣٩
 ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٧٠
 ذكوان (مولى عبد الدار) ٩٦

ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زرعة بن عمرو بن خويلد ٢٩٦
زرقاء البجامة ٣٥٨
الزرقاني (شارح المواهب) ٢٢
٢٣٥ ، ١٣٩ ، ١٣٣ ، ٨٦ ، ٢٣
٣٤٩

زكي حسن ٣٨٠
الزخشري ١٥٢ ، ٩٢ ، ٢٩
زمنة بن الأسود ١٢٥
زهير بن جذيمة العبسي ٣٠٤-٣٠١
د د ربيعة (أبو خراش) ١٧٩
د د أبي سلى ٢٨٣
زياد (ابن أبيه) ١١٦ ، ٣٩٧
٤٢٧-٤٢٥ ، ٤٠٠

ابن زياد = عبيد الله بن زياد
زياد بن عمرو العتكي ٤٤٨-٤٤٦
زيد بن حارثة ٣٣٣-٣٣١
أم زيد بن حارثة ٣٣١
زيد بن صوحان ١٤٢
زيد بن علي ٤٤٥
زيدان (جرجي) ١٦٧

السامي (طابع الأغاني) ٢٠٦
أم سالم - خرقاء

١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٩ ، ١٤٥ ، ١٤٣
١٨٧-١٨٤ ، ١٨١ ، ١٧٧ ، ١٧٣
١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١-٢٠٤ ، ٢٣٣-
٢٦٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٣٥
٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥
٣٢٥-٣٣٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
٣٥٢-٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٢
٤٤٣ ، ٤٤٨

رشدي = محمد رشدي
الرشيد ٣٨٢ ، ٣٢١ ، ٢٥٦
رفاعة (صحابي) ٧٧
رملة بنت طلحة ١٢٢
رباح بن الأسفل الغنوي ٣٠٢
ربطة ١٧٦
رينولد نيكلسون ١٠٧

ابن الزبيري = عبد الله بن الزبيري
أبو زيد الطائي ٢٠٦
الزبيدي ؟ (جاهلي) ١٨٥ ، ١٨٤
الزبيدي (شارح القاموس) ٩٣
٣٤٧

الزبير بن عبد المطلب ٨٣
الزبير بن العوام ١٧٣ ، ١٤٢
٤١٤ ، ٤١٣ ، ١٨٤

١٣٩' ١٣٥' ١٣٢' ١٢٨' ١١٩
٢٥٠' ٢١٣' ١٩٨' ١٧٥' ١٧٠
٤٠٠

سفيان بن بجاشع ٢٩١
ابن سلام ١٢٥' ١٧٣' ٤٤٣
سلامة ذوفائش ٢٦
سلكان بن سلامة ٦٣' ٦٤
سلمى بنت عمرو بن زيد ١٠٥
د بن نوفل ٢٠٥
سليمان (ابن داود النبي) ١٨
٢٤٠

د بن علي ٤٤٤
سليبي ٢٥٢
مخير بن سلمة القشيري ٣٠٧' ٣٠٦
سنان المري ٣٠٧
السندوبي ٨٣' ١٥٠' ١٦٣' ١٨٣
١٨٦' ٢٨٠' ٣٥٠' ٤٢٠

النسيلي ٩٣
سواد بن قارب ٣٧٩
سويد بن عدي ١٩٩
د د قيس (صحابي) ٢٥١
ابن سيده ١٩٣
سيف الدولة ١٢٧
د بن ذي يزن ١٠٨

سالم الكرنكوي ٣' ٥٤' ٢١١
٢٧٣

سبرنجبر ١٣٩
ستافسكي ١١٧
سجاح (المتنبئة) ٣٥٨
سدوم ٣٢٣
ابن سعد (وانظر : طبقات ابن
سعد) ٢٢' ٢٦' ١٠١' ١٠٢
١٠٤' ١٣٤' ١٤٠' ١٤١' ١٤٨
١٥٤' ١٥٨' ١٦٤' ١٨٤' ٢١٠
٢٨٠' ٣٦٩

سعد بن حارثة بن لام ٣٨٣' ٣٨٥
د د الربيع الأنصاري ١٤٠
د د زيد مناة ٣٩١' ٣٣٤
٣٣٥
د د عبادة ٧٩
د د أبي وقاص ١٢٦' ١٢٧
١٤٢

أبو سعيد الحذري ٢٠١
سعيد بن سعد بن سهم ١٧٦
أبو سفانة = حاتم بن عبد الله
سفيان بن أمية ٢٨٤
أبو سفيان بن أمية ١٧٥' ١٧٨
٢٨٤
د د حرب ١١٠' ١١٦

- السيوطي ٢٨، ١١٤، ٢٠٠
- شأس بن زهير العبسي ٣٠٢
- شيب بن البرصاء ٣٣٥
- د د شبة ٢١٥، ٤٤٩
- الشمخ ٣٢٤
- الشنفري ٢٥٩
- شبة بن ربيعة ٢٠٠، ٢٩٧-٢٩٩
- د د هاشم = عبد المطلب
- شيخ مهو ٣٦، ٣٢٢، ٣٢٣
- الشيخم بن الحارث الفساني ٣٧٩
- صاحب الرسالة = رسول الله
- ابن صخر ١٧٨
- صاعد (صاحب طبقات الأمم) ١٦
- ١١٥
- صخر بن عمرو بن الشريد ٢٩٥
- ٢٩٧-٢٩٩، ٣١٥، ٣١٩
- للصديق = أبو بكر الصديق
- صعصة بن سعد ٣٣٥
- د د صوحان ٤٠
- صفوان بن أمية ١١١، ١٣٧
- ٢٠٥، ١٩٩
- صلصل بن أوس ٨١
- الصصة بن عبد الله القشيري ٣٦٩
- الصبياء بنت حرب ١١٤
- ضباة بنت عامر بن قرط ٣٢٩
- الضحاك بن قيس الفهري ٩٦
- ضرار بن الخطاب الفهري ٤٤٥
- ضمرة بن ضمرة ٢٠٥
- ضمضم بن عمرو الففاري ١٣٥
- أبو طالب بن عبد المطلب ١٣١-١٣٣
- ٢٠٥
- الطبراني (صاحب المعجم في الحديث) ٢٠٤
- الطبري (المؤرخ المفسر) ٦٥، ٦٦
- ١٢٦، ١٢٧، ١٤٣، ٢١٠، ٢١٥
- ٢٣١، ٢٣٣، ٢٦٣، ٣٧٥، ٣٧٦
- ٣٧٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٩
- طنعيم الأسدي ٣٨٦
- طريف بن تميم العنبري ٥٤، ٣٠٥
- ٣٠٦
- طلعة (الصحابي الجليل) ٢٦، ١٣٢
- ٣٦٧، ٤١٣، ٤١٤
- ابن طلعة (محمد) ٤١٣
- طلعة بن عمرو بن عبد الله ١٢٢
- ظافر القاسمي ١٤٧

عبد الرحمن بن الاشعث ٤١٨
 » » العامري ٤٢٨
 » » بن عباس ١٠٧
 » » عثمان التميمي ١٨٧
 » » عوف ١٣٢، ١٤٠-
 ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٠٠، ١٤٢-
 » » بن ملجم ٢٩٢
 عبد شمس ١٠٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧
 ٣٤٣، ١٦١
 عبد العزيز الكلبي ٣٥٩
 عبد القاهر (الكريزي) ٤٠٠
 عبد الله بن أبي بن سلول ٥٩
 » » » بيدة ٣٢٢
 » » » جعش ٧١، ٧٢، ١٣٥
 » » » جدعان ٢٥، ١٣٠، ١٣١
 ١٧٢، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٢، ١٣٨
 ٢٩٠، ٢٧٨، ٢٠٠، ١٨٣
 عبد الله بن جعدة ٣٠٦، ٣٠٧
 » » » الزبيري ١٠١، ١٧٦
 ١٧٩، ١٧٧
 » » » عباس = ابن عباس
 » » » عمر ٥٧، ١٨٨، ٢٠٤
 ٣٥٢، ٢٥٣
 » » » المقفع = ابن المقفع

عائشة (أم المؤمنين) ١٧٧، ٥٨
 ٤١٣-٤١٧، ٤٢١
 عائكة بنت عبد المطلب ١٨٠
 العاص بن وائل السهبي ١٨٣
 ٢٧٨، ٢٠٥
 عاصم بن عمر ٣٥٢
 عامر بن جوين ٣٢٥، ٣٨٣، ٣٨٥
 » » الطفيل ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٢٤
 ٣٣٧
 » » الظرب ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥
 ٢٩١
 » » مالك = أبو براء
 عباد بن حصين الحيطي ٤٣٠
 أبو العباس = المبرد
 ابن عباس ٩٤، ٩٢، ٥٧، ١٠٧
 ١٤٩، ١٥٤، ١٦٠، ٢٠٤
 للعباس بن عبد المطلب ٦٢، ٦٣
 ٦٦، ٦٧، ٦٩، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠
 ١١٢، ١٢٩، ١٣١، ١٤٠
 للعباس بن محمد ٢٥٦
 » » » معبد المري ٢٨٦
 عبد أمية ٣٣١
 عبد الدار ٩٩
 ابن عبد ربه ١١٠، ١١١، ٢١٠
 ٤٠٠، ٢٧٨

عبد الله بن قيس = أبو موسى
الأشعري

عبد المدان بن الديان ١٣٠

عبد المطلب بن هاشم ١٠٥-١٠٩

٢٠٥، ٢٠٠

عبد الملك بن مروان ٩٣، ١٨٢

١٨٩، ١٩٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٨٧

٤٠٥

عبد مناف بن قصي ٩٩، ١٥٦

أبو عبد مناف = الفاكه بن المغيرة

العبدى ٢٥٢

عيسى بن طلق (أخو كهس) ٤٤٦

٤٤٧

عبلة بنت عبيد ٣٣٠

عبيد (أبو أبي وجزة) ٣٥١، ٣٥٢

أبو عبيد ٢٤٦

عبيد بن حصين = راعي الإل

عبيد بن شربة ٤١

عبيد الله بن زياد ٢٩٧، ٤١٠

عبيد الله بن عباس ١٠٧

عبيد المنان (ابن المتلس) ٣٦٩

أبو عبيدة بن الجراح ٣٦٩، ٣٧٣

عتاب بن أسيد ٦١، ٦٧

ابن عتبة = الوليد بن عتبة

أبو عتبة = أبو لهب

عتبة بن ربيعة ٢٨٠، ٢٩٧-٢٩٩

» » غزوان ٣٩٨

العتبي ١٤٤

عتيبة بن الحارث ٣٢٦

عثمان بن حنيف ٤١٤-٤١٦

» » طلحة ١١٠

» » عبد الله ٧٢، ٧٣

» » عفان ٣١، ٦٣، ٦٦، ٦٧

١١٦، ١٣٢، ١٤١، ٢٠٠

٤١٣-٤١٦، ٤٢١

عثمان بن مظعون ٢٠٠

العجاج ٤١١، ٤١٩، ٤٣٣، ٣٣٤

٤٤٠-٤٤٢، ٤٤٤

عدن بن نقشان بن سبأ ٢٥٢

عدي (جد قيس بن الخطيم) ٣٤٩

عدي بن زيد ٣٨٩

عروة بن حزام ٣٥٨

عروة الرجال ١٦٦-١٧٠

» بن مسعود الثقفي ١٥٩

» » الورد ٢٦

- ابن عساكر ٢٦، ١٤٦، ٢٧٩، ٣٥٢
 ٣٥٣، ٣٦١، ٣٦٧
 عطية (أبو جرير الشاعر) ٤٣٠
 عفيف بن معد يكرب ١٩٩، ٢٠٠
 عقبه بن أبي معيط ١٣٢
 عقيل بن أبي طالب ١١٤
 عكرمة ١٦١
 العلاء بن حارثة ٢٠٥
 د د الحصري ١٣٥، ١٣٦
 علقمة الفحل ١١٦
 علي بن أبي طالب ٣١، ٣٢، ٢٩٢
 ٤١٤، ٤٢١، ٤٣٢، ٤٤٥
 علي بن شفيع ٣٥٩
 أبو علي القالي = القالي
 حمارة بن الوليد ١٣٤
 عمان بن نقشان بن سبأ ٢٥٢
 ابن عمر = عبد الله بن عمر
 عمر بن الخطاب ٣١، ٦٣، ١٠٧
 ١١١، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٤٦
 ١٥٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٤٥، ٢٨٠
 ٢٨٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٣
 ٣٩٥-٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٤٨
 عمر بن أبي ربيعة ١٧٧
 د د شبة ٤٠٠
 د د جأ ٤٣١، ٤٣٢
 عمران (ابن أبي الورد) ٣٦٣
 د بن حطان ٣٥٩
 عمرو = هاشم
 د بن أحيحة ١٠٥
 د د أمية بن عبد شمس ٢٨٤
 أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس
 ٢٨٤
 عمرو بن الأهم ٣٧٨
 د د تميم ٤٤٦
 د د التقي ٦١
 د د الحصري ٧١-٧٣
 د د الشريد ٢٩٧ - ٢٩٩
 ٣١٩-٣٢١
 د د العاص ٩٢، ١١٦، ١٢٧
 ١٣٤، ٢٣٦، ٢٧٨
 أم عمرو بن العاص ٢٧٨
 عمرو بن عتبة ١٤٤
 أبو عمرو بن العلاء ٢٤٨، ٢٤٩
 ٢٥٥، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣
 عمرو بن كلثوم ٢٨٢، ٣٤٠، ٣٤٣
 د د لحي ١١٥
 د د مالك ٢٤٩، ٢٥٠
 د د معد يكرب ٣٠٨، ٣٧٦

الفرزدق ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٨٦

٤٠١ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١

٤٢٢ ، ٤٢٤ - ٤٣٢ ، ٤٣٥ - ٤٣٩

٤٤٨

فريتز كرنكو = سالم الكرنكوي

الفرز ٣٣٤ ، ٣٣٥

الفضل بن عباس ١٠٧

فلي (المستر) ٢٨٧

فهر بن مالك ٩٣ ، ٩٤

الفيروزبادي ٢٠٥

فيصل بن عبد العزيز ٢٨٨

فيليبس (الإمبراطور الروماني)

٣٦٤ ، ٣٦٥

الغالي ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٨٥ ، ١٠٧

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ١٩٩

٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٣٨٧ ، ٤١١

٤٢٢

القباع = الحارث بن عبد الله

قتول الجمحية ١٨٦

ابن قتيبة ١٣٢ ، ١٧٢ ، ٣٣٨

قثم بن العباس ١٠٧

قرة بن هيرة القشيري ٢٨٢

قريش بن بخلة ٩٢

العناني (الشيخ مصطفى) ٣٤٢

عنزة ١٩٧

العوام بن خويلد ١٧٣ ، ١٧٤

ابن عوف (المري) ٣٠٧

عوف الأصم ٣٢٤

عويف (الفراري) ٤٤٦

عيسى الباي الحلبي ١١٤

د بن عمر الثقفي ٢٤٨ ، ٢٤٩

غالب (أبو الفرزدق) ٤٢٤ ، ٤٢٥

غنيم بن أبي الرقراق ٤٣١

غيلان = ذو الرمة

أبو غيلان (ابن سلمة) ١٢٠

غيلان بن سلمة ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٨

٢٠٥

ابن فارس (صاحب المعجم) ٥٤

الفاضل اليمني (صاحب حواشي

الكشاف) ٢٦٨

فاطمة بنت عمرو ١٠٨

د د القاسم ١٢٢

الفاكه بن المغيرة ١٧٦

أبو الفرج الأصفهاني ١٣٤ ، ١٦٤

١٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩

٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٤٣٩

كاهنة البين ٩٥
 كرنكو = سالم الكرنكوي
 كرنز بن ربيعة ١٧٢
 كسرى ٨٧، ١١٤، ١٢٠، ١٢١
 ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٩
 ١٩٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٨١
 كعب بن الأشرف ٦٣
 د د جعيل (كعب بن جعيل)
 ٢٨٦، ٤٣٣، ٤٣٤
 د د شراحيل ٣٣٣
 د د معدان ٤٢٩
 أم كلاب (امرة أمية بن الأسكر)
 ٢٩٣
 كلاب بن ربيعة ١٦٢، ٢٩٠
 ابن السكبي ٨٥، ٩٣، ٢١٦، ٢٤٢
 كليب ٢٤٩
 الكبيت ٩٧، ١٥٣، ٤٢٦
 كنانة بن الربيع ٣٥٧
 ابن كوز ٢٩٦
 اللات ٣٤٩
 لافونتين ٤٣
 لامنس ١١٠

القزويني ٢٧٥
 قس بن ساعدة الإيادي ٢٨٠
 ٣١٣-٣١٥، ٣٣٩
 قصي بن كلاب ٩١-٩٤، ٩٧-٩٩
 ١٢٤
 قطبة بن عامر ٧٧
 القعقع بن عمرو ٣٦٨
 القلقشدي ٢١٠، ٢٢٢، ٢٢٧
 القلمس ٢٣٩
 قناة السكبي ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٨
 قيس بن الخدادية ٢٨٣
 د د الخطيم ٣٤٩
 د د زهير بن جذبة ٣٠٤
 د د عاصم ١٩٩، ٣٠٧-٣٠٩
 ٣٧٨
 د د عبد يغوث المرادي ٣٠٨
 د د أبي غرزة ٢٩
 د (المدحبي ٣٠٨)
 قصر ٨٧، ١١٤، ١٤٦، ١٤٨
 ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧ - ١٥٩
 ٣٢٥
 ابن قيم الجوزية ١٢٤، ٢٨٤
 الكاهن الخزاعي ١٠٢

١٤٨ ، ١٢١ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٥٥

٢١٠ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٢ ، ١٥٠

٢٦٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٧ ، ٢١١

٢٧٠

محمد حسن حبشي ١٩ ، ١٠٧

» حسين هيكل ٢٨٦ ، ٢٨٧

» رشدي ١٢٩ ، ٢٩٠

» بن السائب الكلبي ٤١

» » سفيان بن مجاشع ٢٩١

» صالح نصيف ٢٨٧

» طلعة حرب ٣٣٤

» بن عبد الله بن حسن ٤٤٥

» » الغمر ٢٤٠

» » مناذر ٤٢٠

أبو محمد الهمداني ٤١

ابن محبة الديلي ١٧٩

الحمل ٢٤٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١

الختار بن عوف ٣٤٣

مخرمة العبدى ٢٥١

» بن نوح ١١٤

مرة بن عوف بن ذبيان ٣٠٧

» » معتب الثقفي ١٧٣

المرزباني ٣٣٨

لبطة بن الفرزدق ٣٨٥

ليد ٢٣٦

ابن لجأ = عمر بن لجأ

أبو لهب ٣٢٦ ، ٣٢٧

الليثي (الشاعر) ٣٤٧

ابن ليلي = غالب أبو الفرزدق

المازني ٣٦٧

مالك ؟ ١٨٠

» بن جبار ٣٨٤

أبو مالك ٤٠١

مبارك = زكي مبارك

المبرد ٣٣٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٨ ، ٤٤٨

المتلس ٣٦٩ ، ٣٧٧

المتي ١٠ ، ١٢٧

المثني بن حارثة الشيباني ٣٧٥

مجاهع ٤٣٠

محجن الجشمي ٣٣٠

محرق ٣١٦ ، ٣٧١

المخلق الكلاي ٣١٦ - ٣١٩

محمد صلى الله عليه وسلم = رسول الله

محمد بن جبير بن مطم ١٩٠

» » حبيب ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣

المطرزي ٥٤
 مطرود الخزاعي ١٥٢، ١٠٦
 المطلب بن عبد مناف ١٠٠
 ١٦١، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٣، ١٠٦
 معاذ بن جبل ١٩٤
 معاذة ٥٩
 معاوية (الخليفة) ١٤٢، ١٠٧، ٤٠
 ٣٩٧، ١٨٩-١٨٧، ١٧٨، ١٧٥
 ٤٣٢
 معاوية بن عمرو بن الشريد ٢٩٥
 ٣١٦، ٢٩٩-٢٩٧
 المعتصم ٤٠٤
 معد يكرب (ملك اليمن) ١٠٩
 معقل ٣٩٩
 معمر بن الحارث ٣٢١-٣١٩
 معن بن أوس المزني ٤٣٩، ٤٣٨
 المغيرة بن شعبه ١١٩-١١٦
 » » عبد الله الثقفي ٦١
 » » نوفل بن عبد مناف
 ١٧٦
 المفضل الضبي ٤٤٦، ٤٤٤، ٢٩٣
 ابن مقبل ١٧٤

المرزوقي ٨٢، ٧٣، ٥٣، ٤٨، ٤٧
 ٢٢٥، ٢٢١، ٢١٢، ٢١٠، ١٢١
 ٢٥٤، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٢٧
 ٢٨١، ٢٧٦، ٢٦٩، ٢٦٤، ٢٦٢
 ٣٤٣، ٣٤١، ٣٢٢، ٢٩١، ٢٨٩
 ٣٧٣، ٣٧٠، ٣٥٧، ٣٤٦
 مروان بن الحكم ٤١٣، ١٤٢
 » » محمد (الجمدي) ٣٦٣
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية ١٢٥
 المستوغر بن ربيعة ٣٣٧
 مسعود بن معتب الثقفي ١٧٢
 » » عمرو العتكي ٤٤٦-
 ٤٤٨
 المسعودي ١١٥، ٩٦، ٩٥، ٨٦
 ١٤٨
 مسلم (صاحب الصحيح) ٥٣-٤٦
 أبو مسلم الخراساني ٤٤٤
 أبو مسمع = الملق
 المسود بن مخرمة بن نوفل ١٨٧
 مسيكة ٥٩
 مسيلة (الكذاب) ٣٥٨
 المشرخ بن عمرو الحميري ٩٢
 أبو المضاء المسكاري ٣٨٦

- د المقتع ٤٤٩-٤٥١
 المقتع الكندي ٢٠٦
 المقوقس ١٤٦، ٢٥
 المكشوح = قيس بن عبد يغوث
 ملحان ٣٨٣
 ملكة سبأ = بلقيس
 المنتجع التميمي ٢٤٩، ٢٤٨
 ابن منذر = محمد بن منذر
 المنذر بن ساوى ٢١٧، ١٩٥
 ٢٤٤ ، ٢٢٢ - ٢٢٠ ، ٢١٨
 ٢٥١
 منظور بن سيار ٣٢٥
 المهاجر ٣٦٠
 المهدي (الخليفة) ٤٠١
 أبو المهدي (الأعرابي) ٢٤٩، ٢٤٨
 المهليل ٢٥٠، ٢٤٩
 أبو موسى الأشعري ٢٠١، ٢٠٠
 ٣٧٣
 مولر ٢٨٧، ١٩
 الميداني (صاحب جمع الأمثال)
 ٢٩٣، ٣٦
- فائلة (صنم) ٨٥
 د بنت زيد ٨٥
 أبو فائلة = ملكان
 النابغة الجعدي ٤٣٤، ٤٣٣
 د الديباني ٣١٥، ٢٩٦، ٢٩٢
 ٣٧٤، ٣١٦
 د بنت عبد الله ٢٧٨
 النبي = رسول الله
 نبيه بن الحجاج ١٨٦
 النجاشي ١٥٨، ١٥٤، ١٤٦، ٢٦
 ١٥٩
 أبو النجم العجلي ٤١٩، ٤١١
 ٤٤٣-٤٤٠
 نصوحى البخاري •
 النضر بن الحارث ٣٧٧
 د د كنانة ٩٥-٩٢
 النظام ٤٢٣، ٤٢٠
 النعمان بن المنذر ١٦٦، ١٦٥
 ٣٥٧، ٣٠٢، ٢٧٩، ٢٤٢، ٢١٥
 ٣٨٥-٣٨٢، ٣٧٨
 نعيم (ابن أبي الورد) ٣٦٣

٢١٠، ٢٠١، ١٨٧، ١٨٣، ١٦٥

٢٣٣

هشام بن عبد الملك ٩٤، ٩٧

١٥٣

» » المغيرة ١٧٠-١٧٢

١٧٧، ١٧٦

» » الوليد ٣٥٠

هلال بن الأسعر ٤٥١، ٤٥٢

الهداني ٢٧، ١٦٣، ١٩٤، ٢١١

٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥٢، ٢٥٤

٢٦٦، ٢٧١-٢٧٣، ٢٩٠

الهداني ٢٨، ٤٠٢، ٤٠٣

هند بنت عتبة ٢٩٧-٢٩٩

هود (عليه السلام) ٢٦٧

هودة بن علي الحنفي ٢٤٢ -

٢٤٤

الهياج ٤٥١

الهيثم بن عدي ٤١

واقد بن عبد الله التميمي ٧٢، ٧٣

الواقدي ٢٣٥

وجدي (فريد) ٣٤٢

نعيم بن ثعلبة ٨٥

النسر بن تولب العكلي ٤٤٣، ٤٤٤

أبو نهشل ١٧٧

نهيك بن مالك ٣٣٦

أبو نواس ٤٢٢

نوفل بن عبد شمس ٣٣١

» » مناف ١٠٠، ١٠٦

١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١

النوري ٥١

النيسابوري (المفسر) ٨٦

نيكسون = رينولد نيكسون

هاشم = هاشم بن عبد مناف

هاشم بن حرمة ٢٩٥

» » عبد مناف ٢٢، ٨٧

١٠٠ - ١٠٧، ١٤٨ - ١٥١

١٥٣-١٦١

هاشم المري ٣٠٧

هيوة بن سعد ٣٣٥

هرقل ١٢٨، ١٢٩، ٢٣٤

ابن هشام (صاحب السيرة) ٦٣

٧١، ٧٢، ٧٨، ٨٥، ٩٣-٩٥

٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١٥٢، ١٦٤

٢٧٥، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٨، ٢٦٤

٣٦٢، ٣٤٧، ٣٤٥، ٢٨٩، ٢٨٧

٤٠٩، ٤٠٧، ٣٧٧

يحيى اليزيدي ٢٤٩، ٢٤٨

يزيد بن زمة ١١٠

» » الصق ٢٧١

» » عبد الله ٣٩٤

» » عبد المدان ٢٩٤، ٢٩٣

٣١٠-٣٠٨

» » عمرو الفساني ٣٠٤

» » كعب بن شراحيل ٣٣٢

اليزيدي = يحيى اليزيدي

اليعقوبي (المؤرخ) ٢١٨، ٢١٠

٢٧٤، ٢٢٦

يعمر الشداخ ٢٠٥

يوسف بن عمر ٣٨٦

أبو وجزة (ابن عبيد) ٣٥١

أبو الورد ٣٦٣

ورقة بن نوفل ٢٠٠

وضاح اليمن ٢٠٦

الوليد بن عبد الملك ٣٦١

» » عتبة بن ربيعة ٢٩٧-

٢٩٩

» » » أبي سفيان

١٨٨، ١٨٧

» » المغيرة ١٧٢ - ١٧٠

٣٥٠، ٢٠٠

وهب بن عبد قسي ١٠١

وهم بن عمرو ٣٨٤

يا قوت (صاحب معجم البلدان)

٢١١، ١٩٤، ١٧٤، ١٧١، ١٠٦

٢٦٢-٢٦٠، ٢٥٣، ٢٤٦، ٢٤٥

٤ - سرر الجماعات^(*)

بنو الأروم بن غالب ٩٦	الأراميون ٣٧
آل أذينة ٤١	بنو آكل المراد ٢٧٦
الأزد ٤١ ٢٤٠ ٢٥٣ ٢٥٤	الإباضية ٢٥٦
٢٥٨ ٢٥٩ ٣٠٦ ٣٥٠ ٤٤٦	بنو إبراهيم ٧٥
٤٤٨	الأبناء (فرس اليمن) ٢١٧ ٢١٨
الأساورة ٢٤٢-٢٤٤ ٤٤٧	٢٢١ ٢٧٠ ٢٧٤
الإسبان ٤٥١	أبناء الملوك في الجاهلية ٤٤٧
أسد ٧٤ ٨١ ١١٠ ١٥٣ ٢٥٥	الأتراك ٢٠٢
٤٣٤ ٢٩٦ ٢٣٩	الأحابيش ١٤٠ ١٧٢ ٢٩١
بنو أسد بن عبد العزى ١٨٣	أخبار يهود ١٢٨
» إسرائيل = اليهود	الأحابش ٢١ ٢٥ ١٤٠ ١٩٤
» إسماعيل ١٠٣ ٢٣٩	الأحرار ٢٥٤
أسيد ٢٠٦	الأحلاف (عبد الدار وحلقاؤها) ٩٩
أشراف العرب ١٦٥ ٢٧٩ ٤٠٨	الأحلاف (في الحيوة) ٣٧٧
٤٤٩ ٤١١ ٤١٠	الأخباريون ٤١٢
» مكة ٨٧ ١٨٢ ١٨٣	الأدباء ٤٢٣
أصحاب الحدث ٢٣٢	

(*) أكثر أسماء القبائل وردت هنا باسم جد القبيلة خالية من كلمة (آل) أو (بني)

الأنصار ١٢٦، ١٤٥، ٢٠١، ٣٥٤
٤١٣

الأنباط ٢١-٢٣، ١٠٥، ٣٦٤
٣٩٥، ٣٧٨، ٣٧٧، ٤٦٦

الإنكليز ١٦، ٤٠١، ٤٥٣
أهل البحرين ٢١

د البصرة ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢
٤٢٣، ٤٢٠، ٤٠٣

د تنامة ١٦٦

د الجاهلية ٥٢، ٥٥-٥٨، ٦٥

د الحجاز ٢٠، ٢٤، ٢٠٣، ٢٦٦

د الحرم ٧٦، ١٥١، ١٦٠، ٢٠٧
٣٦٧

د الحل والعقد ١١٧

د الخيرة ١١٥، ٢٣٢، ٣٧٥
٣٧٨، ٣٧٧

د دومة الجندل ٢٣٤، ٢٣٥

د الشام ١٥٦، ٣٦٤، ٣٦٨
٤٥٣

د الطائف ٢٨٦، ٣٧٤، ٤٢٥

أصحاب عائشة ٤١٦، ٤١٧

د الفيل ١٥٢، ١٦٠

د اللغة ٢٣٢

بنو أصغب ٣٦١

الأعاجم ٤١، ١٠٠، ١٥٥، ١٥٨
٢٥٥

الأعراب ١٨٢، ٢٠٩، ٣٨٠
٤٢٣-٤٢١

أحلام الرسول ١٦٤، ٣٤٣

الإفرنج ٢٥، ٢٠٣

الأقنان ٢٠٢

أقيال حير ١١٤

د اليمن ٢٧٢

أمراء العرب ٨٧، ٤٢٢

بنو أمية بن عبد شمس = الأمويون

الأمويون ١٠٢، ١١٠، ١١٦

١٧٧، ١٨٩، ٣٥٠، ٣٧٠، ٣٨٨

٣٩٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢١

٤٢٤

بكر بن وائل ٢٤٩، ٤٤١، ٤٤٦	أهل العراق ٢٣٨
بنات الملق ٣١٧-٣١٩	د عمان ٢١
التابعون ٢٢٣	د الكتاب ٤١، ٤٣
التجار ٤٣، ٢٠٧	د الله = قريش
تجار البحر ٢٦٩	د مكة ٢٥، ٤٣، ١٣٠، ١٦٠
د البر ٢٦٩	٤٢٠
د العرب ١٦، ٣٢، ٥٦، ١١٦	د نجد ٢١، ١٦٦، ١٧٩
١٢٧، ١٥٥، ١٥٩، ٢٦٧	د هجر ٢١
د المدينة ٢٢٣، ٢٣٤	د يثرب ٢٤، ٦٤، ٧٩
التدمريون ١٧	د اليمن = اليمنيون
الترك ٤٥٠	الأوس ٢٤ ٣٤٩
تغلب ٢٤٩، ٣٨٥، ٣٨٦	الأولياء ٢٧٥
نيم ٧٤، ٩٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٣٩	إباد ٣٦، ٤١، ١٨٦، ٣١٤
٢٤٢-٢٤٤، ٢٥١، ٢٩١، ٢٩٢	٣٢٢
٣٠٨-٣١٠، ٣٢٣، ٣٣٦، ٣٧٧	الإيرانيون ٣٨٠
٣٨٥، ٣٢٩، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٤٠	بأمة ٣٦١، ٤٢٧، ٤٢٨
٤٤٦-٤٤٨	بخاريون ٢٠٢
تنوخ ٤١، ٣٧٧	البصريون = أهل البصرة
نيم (ابن مرة) ٩٦، ١١٠، ١١١	بنو بكر ١٦٧، ٢٧٥
نيم عدي ٤٣١، ٤٣٢	بكر بن عبد مناة ٨١

بنو ثعل ٣٨٤	ية الامم ٢٨٢
د ثعلبة بن بكر بن وائل ٣٥٩	الجن ٤٢٨
د د د يربوع ٣٣٦	جيش أبرهة = أصحاب الفيل
كثيف ٦١ ٦٦ ١٧٤ ١٧٥	جيش العسرة ١٤٠
٢٨٨ ٢٨٩ ٤٣٢	الحاج المشرقي ٢٠٣
بنو جدعان ١٣٠	د المغربي ٢٠٣
جديد ٢٥٣	بنو الحارث (في عمان) ٢٥٣
جديس ٤١	د د بن فهر ٩٦
جديفة ٧٥	د د د كعب ٣١٠ ٣٥٣
د طيء ٢٣٦	الحبشة (وانظر الحبشان) ١٥٣
بنو جذية ٢٩٦	٢١٣ ٢٥٤ ٢٦٦
الجرامقة ٤١	الحبشان ١٥ ١١٣
جرم ٤١ ٨٥ ٩٧ ١٨٤ ٤٢٧	الحججاج ٧٨ ٩٩ ١٠٣ ١٠٤
جشم ٣٠٩ ٣٣٠	١١٢ ١٢٣ ٢٠٣
بنو جعدة ٤٣٢-٤٣٤	الحجازيون = أهل الحجاز
بنو جعيل ٣٨٦	حدان ٢٥٣
جمع ٩٦ ١١٠ ١١١ ١٧٧	بنو حصن ٤٣٠
١٨٦	الحضارمة ٣٥٣
جمرات العرب ٤١٢ ٤٣٨	حكام العرب (الحكمون) ٢٠٥
الجهيات الدينية ٤٥٤	٢٠٨

ذؤبان العرب ١٥١
 بنو ذبيان ٣١٥
 الراشدون (الخلفاء) ١٩٤ ٣٩٥
 ٤٢١ ٤١٩ ٤٠٧
 الرباب ٤٤٦
 ربيعة ٧٤ ٧٥ ٢٣٩ ٢٤٢
 ٣٣٧ ٣٧٥ ٤٤١ ٤٤٥ ٤٤٧
 ٤٤٨
 الرجاز ٤٠٨ ٤١٩
 الرواة ٤١٢ ٤٤٠ ٤٤٣
 الروم (وانظر : الرومان) ١٨
 ٢١ ٢٣ ٢٥ ٤١ ٤٢ ٤٤
 ١١٣ ١٢٩ ١٥٣ ١٦٠ ١٨٢
 ٣٧١ ٣٧٣ ٣٧٨ ٤٥٠
 الرومان ٢٠ ٤٣ ٤٤ ٨٧ ١١٥
 ٢١٢ ٣٦٤ ٣٦٦ ٣٧٠
 بنو ربيعة ١٧٦
 زيد ١٨٣
 الزراع ٥
 الزط ٤٤٧
 زهرة ٩٦ ١٨٣
 بنو زهير (من عكل) ٤٤٢

الموردانيون ١٩٦
 حير (الميرون) ٢٠ ٣٧ ٤١
 ٤٢ ١١٤ ٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧١
 ٢٧٤ ٣٧٧
 حنظلة ٤٤٦
 حنيفة ٢٤٣ ٣٥٣ ٣٥٨
 الحياء بن سعد بن عمرو ١٧٢
 بنو حية ٣٨٤ ٣٨٥
 خثعم ٨١ ١٥١ ٣٢٣
 الحراسانية ٤٤٤
 خزاعة ٤١ ٧٥ ٧٩ ٢٩١
 الحزر ٤٥٠
 الحزرج ٢٤ ١٠٥
 خثعم ٣٠٦
 الخلفاء ٣١
 خلفاء الأمويين ٤٠٨
 خمارو الحيرة ٣٨١ ٣٨٦
 خندف ١٧٤
 الخوارج الإباضية ٢٥٦
 » الحورورية ٣٤٣
 بنو دهمان ٣٠٠
 » الديان ١٣٠ ٢٩٣

الشعوييون ٤١٣ ٤٣٩	الزوار ٢٠٧
بنو شيبان ٣٠٥	بنو زيد (من آل أبي طالب)
شعبة علي ٤٣٢	٤٣٩
بنو الحادر ٣٦٧	آل سامة ٤٢٩
الصعابة ٣٣ ٧١ ٩٨ ١٣٥ -	سبا ١٧-١٩ ٣٧
١٣٧ ١٤٦ ١٥٩ ١٨٨ ٢٢٣	السبايكة ٤٤٧
٤١٣ ٣٥٧ ٣٤٨	سغينة = قريش
صعاليك العرب ١٥١	سدوس ٢٤٠
الصناع ٣٢	بنو سعد ٢٤٢ ٢٤٣ ٣٠٩
الصين (الصينيون) ٢٥ ٢٠٢	٣١٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٤٣٢-٤٣٤
٤٥٠ ٢١٣	٤٤٦
الضاظفة (جالو الميرة) ٢٢٣	السكون ٢٣٨
ضبة ٤٤٦	بنو سليم ١٧٦ ٣٢١ ٣٥١ ٣٥٣
طسم ٤١ ٢٤٠	٤٣٢
طيه ٢٢ ٤١ ٧٤ ٨١ ١٥١	الصامرة ٢٩
٢٢٣ ٢٢٦ ٢٣٩ ٢٩٣ ٣٦٧	آل السعيدع ٤١
٣٧٧ ٣٧٩ ٣٨٢ ٣٨٣	السند ٤١
بنو ظفر ٣٥١	سهم ٩٦ ١٠٥ ١١٠ ١١١
عاد ١٩٤ ٤٥١	١٧٦
	السودان ٤٥٠
	الشراة ٤٦١
	الشعراء ٣١٥ ٣٦١ ٣٦٩ ٣٧٢
	٤٠٨ ٤١٩ ٤٣٢ ٤٥١

عتيك بن عامر بن لؤي ٢٥٣، ٩٦

عجل ٤٤٠

العجلان ٤٢٧

العجم = الفرس

بنو العدل ١٢٥

عدي ١١١، ١١٠، ٩٦

عذرة ٣٥٣، ٢٣٣

العرب ٣١، ٢٩، ٢٥-١٥، ١١-٩

٥٨، ٥٣، ٤٦-٤٠، ٣٨، ٣٥، ٣٣

٨٧، ٨٦، ٨٢-٧١، ٧٠، ٦٣، ٦٠

١٠٨، ١٠٣، ١٠٠، ٩٥-٩٣

١٣٨، ١٣٧، ١٣٠، ١٢٧-١١٢

١٤٢، ١٤٣، ١٤٥-١٤٨، ١٥٠-

١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩

١٧١، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٥

١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢-٢٠٥، ٢٠٨-

٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٦-٢٤٥، ٢٤٦

٢٥٠-٢٥٦، ٢٦٢-٢٦٤، ٢٦٩

٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٠-٢٨٥

٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧-

٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦

٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٣٨

٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٥

بنو عامر ٤٣٣، ٣٤٩، ١٧٠، ٧٥

٤٣٤

عامر بن صعصعة ٣١٢، ٣٠١، ٨١

٣٢٨-٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٩

بنو العباس = العباسيون ٤٠١

٤٠٣، ٤٠٩، ٤٢٤، ٤٤٤

العباد (في الحيرة) ٣٧٧

العبالة (ملوك اليمن) ١٤٩

عبد الدار ١٠٠، ٩٩، ٩٦، ٩٥

١١٠

عبد شمس ١٩٠

عبد العزى ٩٦

عبد القيس ٣٢٢، ٢٤٣، ٢٤٠، ٣٦

٤٤٧، ٤٤٦

بنو عبد الله بن دارم ٢٥١

» » » » زيد ٢٤٤، ٢١٧

» » » » غطفان ٢٨٣

» عبد المطلب ٣٣٠، ٣٢٨

» » مناف ١٠٠، ٩٩، ٩٥

١٠٥، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨

١٧٢، ٢٢٨

العيلات ٣٣١

العيد ٤٣٩

بنو عييد ٣٥٨

خفار ١١٣
غني ٣٠٢، ٢٥٩، ١٦٧

فارس (وانظر : فرس) ٢١
٢٤٢، ٢١٣، ١٨٢، ١٥٣، ١٢٨
٤٤٩، ٣٧٨

الفراغة ٤١، ١٩
الفرس ٣٨، ٣٧، ٢٥، ١٨، ١٦
٤١-٤٣، ٨٧، ٩١، ١١٣، ١٢٩
٢٥٥، ٢٥٤، ٢١٣، ٢٠٢، ١٩٤
٢٩٥، ٣٧٨، ٣٧٠، ٢٧٠، ٢٦٦
٤٤٩، ٤٢٢، ٤١٠، ٤٠٢، ٣٩٨

الفرسان ٣٠٥
فرسان العرب ٣٣٦
الفرنجية = إفرنج
فزارة ٤٤٦، ٤٤٥، ٣٥٣، ٣٢٥
بنو فقيم ٤٥١
فهر ٤٣٢، ١٨٣، ٩٤، ٩٣، ٩١

قبائل العرب ١٥١، ١٢٤، ١١٢
٢٠٥، ٢٠٢، ٢٠٠، ١٩٥، ١٥٣
٣٤٢، ٣٣٨، ٢٤٣، ٢٣٦، ٢٠٨
٣٦٦، ٣٠٣، ٣٥٠

٤٤٩، ٤٢٢، ٤١٠، ٤٠٧، ٤٠٢
٤٥٣، ٤٥٢، ٤٥٠
هرب الحيرة ١٩٥
العشرة المبشرون ٣٦٧
عضل ٢٩١
عكل ٤٤٢
العلويون (وانظر : شيعة علي)
٤٤٤

بنو علي = العلويون
بنو العم ٤٢٩
العماليق ٤١
بنو عمرو بن قنم ٨١
د د الثاني ٦٦، ٦١
د د بن مرثد ٢٣٩، ٧٤
العنابس ٢٨٤، ١٧٥
العنبر بن عمرو بن قنم ٣٠٦
بنو العنقاء ٣١٦
عوف بن كعب ٤٣٤

آل غالب ٢٩٩
العرب (المحتل) ٢٨٨
غسان ٢٣٧، ٢١٨، ٢٠٧، ٤١
٣٧١، ٣٦٨، ٣٦٦، ٣٥٣، ٢٥٣
غطفان ٢٩١، ١٦٧، ١٦٦

بنو القين بن جسر ٣٣١
 د فينقاع ٢٥٨، ٢٤
 كتاب الوحي ١١٥
 بنو كعب ٤٣٨، ٤٣٧
 د د بن ربيعة ٧٥ ، ٣٢٨
 ٣٥٣
 د د د لؤي ٩٧
 كلاب ٤٣٨، ٤٣٧، ١٦٧، ٧٥
 كلب ٢٣٢، ٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٨، ٧٤
 ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣٩-٢٣٦، ٢٣٣
 ٣٨٣، ٣٧٧
 كلب ٤٤٨، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٠
 كنانة ١٧٥-١٧١، ١٦٦، ٨٥، ٧٥
 ٣١١، ٣٠٠، ٢٣٣، ٢٠٥، ١٧٨
 ٤٣٢، ٣٤٥، ٣١٢
 كندة ٣٥٣، ٣٢٥، ٢٧٦، ٢١٨
 الكوفيون ٤٢٣
 بنو لام ٣٨٥، ٣٨٣، ٣٨٢
 د لجأ ٤٣١
 لحم ٣٧٧
 لصوص العرب ٢٧٩
 المغويون ٤٢٢

قريش (القرشيون) ٢٩، ٢١، ١١
 ٨٠-٧٨، ٧٥-٧٠، ٦٢، ٤٢
 ١٨١، ١٧٨-٨٩، ٨٧-٨٤
 ٢٠٢، ٢٠٠، ١٩٠، ١٨٥-١٨٣
 ٢٤٤، ٢٣٩، ٢١٥، ٢٠٧-٢٠٥
 ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٧٨، ٢٧٦، ٢٥٨
 ٣٠٣، ٢٩٧، ٢٩٠، ٢٨٨، ٢٨٤
 ٣٣٨، ٣٣٠، ٣٢٨، ٣١٢-٣١٠
 ٣٦٣، ٣٥٧، ٣٥٤، ٣٤٩، ٣٤٦
 ٤١٧، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٤، ٣٦٦
 ٤٢٩

بنو قريظة ٢٤

د قشير ٤١٨

د قصي ١٧٩، ١٢٦، ١٠٢

قضاة ٣٧٥، ١٥١، ٨١

قفقاسيون ٢٠٢

القوافل العربية ١٩، ١٧، ١٦
 ٣٦٦، ١٥٨، ١٣٩، ٥٨، ٣٨
 ٣٧٩

قيس (قيس بن عيلان) ١٢١، ٨٤
 ١٧٥، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٧، ١٦٢
 ٣٣٧، ٣٢٣، ٢٩٠، ٢٨٨، ٢٠٥
 ٤٣٢

قيس بن ثعلبة ٢٣٩، ٧٤

آل مسروق بن وائل الحضرمي

٢٧٦

المسلمون ٤٢، ٢٨، ٢٦، ٢٤، ٩

١٣٨-١٣٤، ٧٢، ٧١، ٦٤، ٥٨

٢١٣، ٢٠٩، ١٨٧، ١٥٩، ١٤٥

٣٩٨، ٣٧٥، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٥٧

٤٤٨، ٤٤٣، ٤٢٩

المشركون ١٤٥، ٣٠، ٢٨، ٢٤

٢٣٣، ٢١٣، ٢٠١، ١٧٥، ١٥٩

٢٦٤، ٢٦٢، ٢٣٦، ٢٣٥

مشركو مكة ١٩٨، ٤٢

بنو المصطلق ٢٩١، ١٧٢

المطيبيوث (اطلاق بني عبد

مناف) ٩٩

معد ٤٤٨، ٤٣٤، ٣٣٣، ٨٦

معن بن طي ٣٣١

المعتيون ١٨، ١٧

مغاربة ٢٠٢

بنو المغيرة ٣٥٠، ١٧٦، ٦٦، ٦١

المفسروث ٦١، ٥٩، ٣٠-٢٨

٢٥٤، ١٦١، ١٥٢

المفلسون ٣٧٣

المكيون = أهل مكة

مازن ٤١٧، ٣٠٦

بنو مالك ٤٤٦، ٢٥٣، ٢٤٩، ٢٥

د مجاشع ٤١٩

المجبرون = بنو عبد مناف

بنو محارب بن خصفة ٢٦٧، ٩٦

٣٥٣، ٣٢٧

المحدثون ٢٦٠

آل محرق ٤٤٧

بنو مخزوم ١١١، ١١٠، ١٠٥، ٩٦

١٧٥، ١٥٠

مدرسة البصرة ٤٢٣

د الكوفة ٤٢٣

بنو مدركة بن خندف ٣٠٠

مذحج ٣٠٩-٣٠٧، ٢٩٤، ٢٩٣

٣٧٧

المرابون ٦٠

بنو مرة بن عوف بن ذبيان ٣٠٧

٣٥٣

مزاحم ٤٣٣

المزون ٣٢٣

مزينة ٤٣٨

المستشرقون ١١، ٣

بنو المستكبر ٢٤٥، ٢٤٤

المجاؤون ٤٢٦
 المهجيم ٣٠٦
 هذيل ٣٤٧
 بنو هصيص بن عامر ٩٦
 همدان ٤٣٢
 الهند ٢١٣، ٢٠٢، ١٩٤، ٤١، ١٨
 ٤٥٠، ٣٩٥، ٢٦٦
 هنود أمريكة ٢٠٨
 هرازن ١٦٦، ١٦٢، ٨٤، ٧٠
 ١٧٨، ١٧٦-١٧٢، ١٧٠، ١٦٩
 ٣٠٠، ٢٩٤، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨
 ٣١١، ٣٠٧، ٣٠٤، ٣٠٣، ٣٠١
 ٣١٢
 الهرون بن خزيمه ١٧٢
 هيئة الأمم المتحدة ٢٨٢
 اليتريون = أهل يثرب
 مجبد ٢٥٣
 بنو يربوع ٤٢٩
 يشكر ٣٤٨
 اليسنيون ٢٤٠، ١٠٨، ٢١، ٢٠
 ٤٤٧، ٢٤١
 يوتان ٤٥١، ٣٩٥، ٤٠، ٢٠، ١٠
 اليهود ٦٤-٦٠، ٤٢، ٤١، ٢٤-٢٢
 ٤٥٣، ٣٦٦، ٣٥٧، ٣٥٦، ١٣٩، ١٢٨

ملوك الحيرة (ملوك العراق) ٣٧٥
 ٣٧٧
 د فارس ٣٧٧
 المناذرة ٣٨٢، ٣٧٧
 بنو منقر ٤٢٤
 المهاجرون ٤١٣، ١٤٥
 مرة ٢٦٧، ٢٦٦، ٢١٨
 مو ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٦
 الموالي ٤٣٩، ٤٢٢، ١٦٧
 بنو قاجية ٤٢٩
 النبط = الأنباط
 النخاعة ٤٢٣، ٤٢٠، ٤١٢
 نزار ٣٤١
 النصاري ٢٨٠
 نصاري نجران ٦٢
 بنو نصر ٢٨٩، ٢٨٨، ١٧٥، ٤١
 ٣٧٧، ٣١٢، ٣٠٠
 بنو مضر (في الحيرة) ٣٧٤، ٢٤٤
 د النصير ٣٥٧، ٢٤
 غير ٤٣٨، ٤٣٧
 بنو نسل ٤٥١
 د نوفل ١٩٠، ١٨٩، ١١٠
 بنو هاشم ١٥٧، ١٤٥، ١١٣، ١١٠
 ١٨٦، ١٨٣

٥ - مصدر الوماعين

آسية ٢٠ ٢٦٨ ٣٥٤	آندرين ٥٨ ١٩٦
الأبطع ١٣٠	الأندلس ٢٧٢ ٤٠٠
الأبطحان ٢٩٩	أنقرة ١٥٤
الأبلة ٢٠٧ ٣٩٥ ٣٩٩	أنهار البصرة ٣٩٨
أبين ٢٦٨	الأهواز ٤٠٤ ٤٢٩
الأثداء ٢٨٨ ٢٨٦	أواردة ١٦٦
أحد ٢١٣	أوروبة ١٧ ١٨ ٢٠ ٤٣ ٣٥٤
الأحفاف ٢٥٧ ٢٥٣	٣٧٦ ٣٧٥ ٣٦٥
أخشا مكة (جبلان) ٩٦ ٢٨٣	إيطالية ٤٠١
أدم ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٦	أيلة (القبة) ١٦ ٢٠ ٢٤ ٢١٢
أديار الحيرة ٣٨٠	باب البريد (بدمشق) ٥
أذرعات ٢٤ ٤٣ ٥٨ ١٩٦	بابل ١٦
٢١٢ ٢٢١ ٢٢٦ ٣٦٢ ٣٦٣	باب المندب ١٩ ٢٦٨
٤٧٥، ٣٧٣-٣٧٢	البادية ١٥
الأسفل (جبل بكة) ٣٤٤	بارق ٢٤٨
الأسقى ٢٢١ ٢٢٥ ٢٢٦	باشان ٣٦٥
إفريقية ٢٠ ١٠٧	بترا ١٩
ألمانية ٣٧	البحر الأحمر ٩١ ٢٦٨
أمريكة ٣٥٤	بحر صين ٢٦١
الأنار ٤٢ ٢٠٧ ٣٧٧	د عدن ١٦

٣٧٣ ٣٧١-٣٦٤ ٣٦٣ ٣٦٢
٣٧٥
البطحاء (بكة ، الأباطح ، البطاح)
٤٢٧ ٩٧

بطن مر ١٧١

بغداد ٦ ٢١٥ ٣٩٣ ٤٠١
البيع ٢٩ ٣٠
بكة ٨٦

بلاد العرب = جزيرة العرب

اللقاء ٣٧٣

البندقية ١٠٩

البيته ٢٨٦

البيت ، بيت الله (وانظر :

المسجد الحرام ، الكعبة)

٧٤ ٧٦ ٨١ ٨٢ ٨٤ ٨٥

٨٧ ٩٩ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٧

١٠٩ ١١٢ ١٢٢ ١٢٣ ١٤٧

١٤٩ ١٥١ ١٦٠ ١٦١ ١٧٦

١٨٤ ٢٠٤ ٢٢٢ ٢٣٣ ٣٨٣

٣٨٧

بيت المقدس ١٢٨

بيروت ٥٤

تزام ٢٦١

بحر عمان ٢٥٦

د فارس ٢٦١

البحر المتوسط ١٨ ١٩

د الهندي ١٥ ٢٦١ ٢٦٦

٢٦٨

بحر اليمن (وانظر : بحر عدن)

٢٥٤ ٢٥٢

البحرين ١٥ ٢١ ٢٨ ٤١ ١٧٧

٢١١ ٢١٢ ٢١٤ ٢٤٠ ٢٤٥

٢٥١ ٢٥٣ ٢٩١ ٣٥٨ ٣٧٥

٤٥١ ٤٠٣ ٣٨٠

بدر ١٣٥ ١٣٦ ١٣٩ ١٤٠

٢١١ ٢١٣ ٢١٦ ٢١٩ ٢٢٥

٢٩٧ ٢٢٦

براديس ١٤٠

بردي ٨

البصرة ٢٠٩ ٢٣٢ ٢٥٢ ٣٥٨

٣٦٠ ٣٦١ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥-

٤٠٦ - ٤١٠ ٤١٩ ٤٢١ -

٤٢٣ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٩ ٤٤٧

٤٥٢

بصري ١٤ ٤٣ ١١٣ ١٩٦

٢١٢ ٢٢١ ٢٢٦ ٢٧٨ ٢٤٥

٢٥٧ ٣٦٦ ٣٧٤ ٢٩٣ ٤١٠
جلاجل ٤٣٥
جمع = مزدلفة
الجند ١٢٤ ١٩٤ ٢١١ ٢١٩
٢٢٦ ٢٢٥
جنوة ٤٠١
الجوف ٢٣٢

حافات الحيرة ٣٨٠
الحاوية (قرب الطائف) ٢٨٨
حباشة ٧٠ ١٣٢ ٢٠٩ ٢٢٤
٢٢٦ ٢٥٨-٢٦٠ ٢٦٢
الحبشة ١٥ ١٦ ١٨ ٢٨ ٤٤
٧١ ٨٧ ٩١ ١٠٣ ١١٣ ١٣٤
١٣٧ ١٤٦ - ١٤٩ ١٥١ ١٥٦
١٥٩ ١٦١ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٦٨
٣٦٤

حبشي (جبل بكة) ١٧٢
الحجاز ١٦ ٢٠-٢٤ ٢٦ ٢٩
٦٠ ١١٣ ١٥٥ ٢٠٣ ٢٠٨
٢٤٥ ٢٥٣ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٦٦
٢٦٨ ٣٦٤ ٣٨٠
الحِجَر (في المسجد الحرام) ١٨٣
٣٢٣

التبت ٢٥٧
تبوك ٢٣ ١٤٠
تدمر ١٦-١٨
تعشار ٢٩٦
تامة ١٦٦ ٢٥٧ ٢٥٨
تيرى (نهر) ٤٢٩
تباء ٢٠

تير ٣٢٠
الثغور الرومانية ١٦
ثبلان ١٤٥

الجامعة السورية (بدمشق) ٦ ٨
د المصرية ٣٧
جامعة ميونيخ ٣٧
جبلاطيء ٤١ ٢٣٣
جدة ٩١

جريب ١٩٤
الجزيرة ، جزيرة العرب ١٥-٢٥
٢٨ ٣٧ ٦٠ ٧٤ ٩١ ١٣٨
١٤٧ ١٥٨ ١٩١ ١٩٤ ١٩٦
٢٠٧ ٢٣٨ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٦٢
٢٦٥ ٢٦٦ ٢٧١ ٢٧٧ ٢٩١
٣١٤ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٨ ٣٥٦

الحجر (الأسود) ١٨٣	حصن ناعم ٣٥٧
حجر الياضة ١٩٣ ١٩٥ ٢١١	» نطاة »
٢١٧ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٦	» الوطيع »
٢٤٧ ٣٥٧ ٣٥٨-٣٦١	حضرموت ١٩ ٧٠ ١٩٤ ٢١٧
الحجون ١٥٦ ١٨٠	٢١٨ ٢٢٠-٢٢٦ ٢٧٥ ٢٧٦
الحديبية ٣٣ ١٢٨ ١٣٧ ١٥٩	الحفير ٣٦٦
حراء ٣٢٠	حلبون ٣٧٠
الحرثان ٢٩٩	حص ١٢٨ ٢٧٢
الحرم ٧٣ ٧٦ ٧٨ ٧٩ ٨٣-	حوران ٣٦٢-٣٦٥ ٣٦٨
٨٦ ٩١ ٩٧ ٩٩ ١١٢ ١٥١	حوزة ٢٩٥ ٢٩٧
١٦٠ ١٦١ ١٧٠ ١٧١ ١٨٢	حيدر آباد ٥٠ ٣١١ ٢٢٥
٢٠٢ ٢٠٧ ٢٨٩ ٣٦٧	الحيرة ٢١ ٣٧ ٤١ ٤٢ ٤٤
الحريزة ١٧٧ ١٧٨ ٢٨٨	٥٨ ٤ ١-١١٨ ١٦٥ ١٩٥
حصن السلام ٣٥٧	٢٠٧ ٢١٢ ٢١٥ ٢٢٥ ٢٣٢
» الشق »	٢٤٤ ٢٧٩ ٣١٤-٣٨٩
» الصعب بن هماذ »	
» القدوص »	خبث ٢٩٦
» الكتيبة »	خزاة العرب = البصرة
» مارد ٢٢٣	الخط ٢١٤ ٢٤١ ٢٥١
» المشقر ٢٢٦	خليج النجم = الخليج ج الفارسي

٣٨٩، ٣٨٦، ٣٧٩، ٣٧٢، ٢١٦
٤٢٩
دار الندوة ٩٨، ١٠٤، ١٢٩، ١٣٠
١٣٩

د نيزوز ٤٤٩

دارين ٢١٤

الدباغين (في البصرة) ٤١٦

دبي ٣، ٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠

٢٢١، ٢٢٦، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٧

دجلة ٢١٥، ٤٠١، ٤٣٥

درعا = أفرعات

الدكن ٢٢٥

الدية ٢٨٦

دمشق ٣-٦، ٨، ١٠٠، ٣٧، ٢٣٢

٢٧١-٢٧٣، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٩

٤٥٣، ٤٥٤

دومة الجندل ٤٦٥، ٤٨، ٧٤

١١٤، ١٩٥، ٢١٦، ٢٢٤-٢٢٦

٢٣٢-٢٣٩، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥١

٢٦٣، ٢٦٧، ٢٧٠

الحلي-ج الفارسي ١٨، ١٩، ٢٣٢

٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٤، ٤١٠

الحذافس (سوق في العراق)

٣٧٥

الحندق ٤٤٥

خوام (نزل بدمشق) ٨

الحورتق ٣٧٧

خير ٥٢، ٦٠، ١١٠، ١٦٧، ١٦٨

٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٣٥٦، ٣٥٧

٣٧٩، ٤٠٤

خيوان ٢٧٣

دار الآثار (بدمشق) ٨

د جعفر بن سليمان ٤٠٩

د عبد الله بن جدعات ١٨٣

١٨٤

د العظم (بدمشق) ٣٦٢

د الكتب الظاهرية ٥٤، ٢٨١

د المصرية ٢٦، ٨٦، ١٥٥

١٢٨، ١٢٩، ١٥٥، ١٨٩، ٢٠٠

ذبيد ٢٦١
 زمزم ١٠٧، ١٠٤
 السدير ٣٧٧
 صلع ٢٠
 السلفية = المطبعة السلفية
 سلمان ١٥٧، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٠
 سمرقند ١٠٧
 السند ٢٦٩، ٢٦٥
 السواد (العراقي) ٣٧٥
 سورية ١٩، ١٨، ١٦، ٦، ٥
 السوس الأقصى ٤٠٢
 سوق النبط ١٠٥، ٢٣
 السيل الصغير (قرب الطائف)
 ٢٨٧، ٢٨٦
 الكبير (قرب الطائف)
 ٢٨٧، ٢٨٦
 السيلحون ٣٧٨
 الشام ٢٤-٢٣، ١٨-١٥، ٨، ٦-٤
 ٨٧، ٨٦، ٤٤، ٤١، ٢٩، ٢٧، ٢٦
 ١٠٧-١٠٤، ١٠٢-١٠٠، ٩٨
 ١٢٧، ١١٨، ١١٧، ١١٥، ١١٣
 ١٤٣، ١٤١، ١٣٧-١٢٩

دومة الحيرة ٢٣٣، ٢٣٢
 دير أيوب ٣٦٣-٣٦٢، ٢٢٦، ٢٢١
 ٣٧٠
 ذات الأثل ٢٩٧، ٢٩٥
 ذو المجاز ٢٠٢، ١٤٩، ٨٠، ٧٥، ٧٠
 ٢٢٦، ٢٢٤-٢١٧، ٢١١، ٢٠٣
 ٣٥٥-٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٢٨٩
 ٣٦٣، ٣٥٧
 ذو المجاز (في العراق) ٣٤٧
 ذو المروة ١٨٧
 الرابية (بجزموت) ٢٢٦، ٢٢٥
 ٢٧٦
 الربذة ١٤٠
 الروم ١٧٧، ١٧٦
 ردمان ١٥٦، ١٠٧، ١٠٦، ١٠١
 ردينة ٢١٤
 الرصافة ٣٦٣
 روضة الأجداد ٢١١
 د دهي ٢١٢، ٢١١
 رومة ١٨
 الروم ١٤٩، ١٤٦، ١٠٢، ١٥
 ٣٩٣، ٢٦٩، ١٥٥

شبكة ١٧٣-١٧١ ٢٨٨	١٦١، ١٥٩-١٥٤، ١٥١-١٤٧
شيخ سعد ٣٦٢	٢٣٣، ٢٣٢، ٢٠٣، ١٩٦، ١٧٦
مصار (البحرين) ٢٦٢	٣٤١، ٢٧٨، ٢٥٧، ٢٥٣، ٢٣٨
د (اليمن) ٢١٧، ٢١٣، ٧٠	٣٦٠، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٤٥، ٣٤٣
٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٨	٣٧٥، ٣٧٣-٣٧٠، ٢٦٨-٣٦٣
٢٢٦ ٢٦٣-٢٦١ ٢٦٤، ٢٧٠	٤٥٣، ٣٩٣، ٣٨٠، ٣٧٩
الصحراء الكبرى ٤٠٢	شامة ٣٤٤
صرخد ٣٧٠	شباب ٤٣٢
الصعاب ٤٥١	شبوت ١٩
الصفا (حصن بالبحرين) ٢٤٠	الشعر (شعر مهرة) ٢١٧، ١٩٣
٢٤١	٢٦٤، ٢٢٦، ٢٢٤-٢٢٠، ٢١٨
صفين ٤٤٥	٢٧٥، ٢٧٣، ٢٦٩ ٢٦٧-٢٦٦
صنعاء (دمشق) ٢٧٢	٢٩١
د (اليمن) ١٩٤، ١٠٩، ٥٥	شرب ٢٨٨، ٢٨٤ ١٧٦-١٧٤
٢٦١، ٢٢٦، ٢٢٤-٢١٧	الشرق ١٧، ٨
٢٧٥ ٢٧٤-٢٧١	شرقي الأردن ١٦
صيدا ٢٥	الشعب ٩٦
صيدون = صيدا	شعب جبلة ٤٤٥
	شماري ٣٨٢

٢٣٨ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢٠٣ ، ١٩٦
 ٢٨٦ ، ٢٧٨ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢٣٩
 ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣١٨ ، ٢٩١
 ٣٦٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٨ ، ٣٤٧
 ٣٩٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤
 ٤١٠ - ٤٠٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠١ ، ٣٩٩
 ٤٣٧ ، ٤١٨
 عرقة (عرفات) ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٦
 ٢٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ١٤٥ ، ١٠٤
 ٣٤٧

عسفان ٣٤٥

العشيرة (قرب الطائف) ٢٨٨

العقبة (الميناء الشامية) ١٦

د (بمكة) ٢٣٢ ، ٧٨

عكاظ ٧٥ ، ٧٠ ، ٥٤ ، ٣٦ ، ٢٥ ، ١٠

١٦٢ ، ١٤٩ ، ١٣٢ ، ٨٤ ، ٨٠

١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ - ١٦٩ ، ١٦٣

٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٣

٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٩ - ٢٠٦

- ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٦٣ ، ٢٢٦ - ٢١٧

٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٣

- ٤٠٧ ، ٣٧٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦١ ، ٣٥٩

٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤١٨ ، ٤١٣

الصين ٤٠٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٥

الضلع (واد بصنعاء) ٢٧٢

الطائف ٧١ ، ٦٢ - ٦٠ ، ٢٨ ، ٢١

١٢٦ ، ١٢١ ، ١١٤ ، ١٠٧ ، ٧٩

٢٨٦ ، ٢١٥ ، ١٦٥ ، ١٣٩ ، ١٣٥

٤٣٢ ، ٤٢٥ ، ٣٧٤ ، ٢٨٧

طفيل ٣٤٤

الظهر (واد بصنعاء) ٢٧٢

الظواهر (بمكة) ٩٧

عبادان ٣٩٨

عبدس ٣٩٨

العلاء ٢٨٨ ١٧٤ - ١٧٣

العجم (وانظر: فارس) ١٢٨

عدن ٢١٣ ، ٢١١ ، ١٩٤ ، ١٦

٢٦٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ - ٢١٧

٣٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٠ - ٢٦٨

المراق ٤٤ ، ٢٤ ، ١٨ - ١٦ ، ١٥

١٠٠ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٧٤ ، ٥٦

١٢٦ ، ١١٩ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ١٠٦

١٨٠ ، ١٥٦ ، ١٤٨ ، ١٤٣ ، ١٢٧

٣٧٧، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٧٠

٤٢٩، ٣٩٣، ٣٨٠، ٣٧٨

فخ ٣٤٤

فدك ١٦٦

الفرات ٣٧٧

فرغاة ٤٠٢

فرنسة ٤٠١

فلج ٤٣٩، ٤٣٣

فلسطين ٤٥٤، ٤٥٣، ١٨

القانس ٢٨٦

قبة الإسلام = البصرة

قبر الأعشى ١٩٨

د غالب (أبي الفزدق) ٤٢٤

٤٢٥

أبو قيس (جبل بكة) ٩٦

١٨٣

القدس ٢٠٧

قرح (من أسواق العرب) ١٩٤

قرطاجة ١٠٩

قرطبة ٦

مات ١٢٦، ٤١، ٢١، ١٩، ١٥

٢٢٤، ٢٢٠، ٢١٢، ١٩٥، ١٩٤

٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٢، ٢٤٠، ٢٢٦

٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦١، ٢٥٧-٢٥٢

٤٠٣، ٣٨٠، ٣٧٩، ٢٩١، ٢٧٥

محواس ١٠٧

العين (نهر في البحرين) ٢٤٠

الغار (محباً النبي وصاحبه) ١٣٤

غدير الحقل ٢٧٣

غزة ١٠٠، ٥٨، ٣١، ٢٤، ١٩

١٢٩، ١٢٧، ١١٣، ١٠٦، ١٠٥

٢٧٨، ٢١٢، ١٩٦، ١٥٦، ١٣١

٣٧١، ٣٤٥

غمدان ٢٧٢

غواتيالا ٢٠٨

فارس ١٢٧، ١١٩، ١٠٣، ٢٥، ١٥

٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٢، ١٦١، ١٢٨

٢٦٩، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٤، ٢٥٠

القليب (بئر في بدر) ١٣٩

قصرين ٢٧٠

قنوة ٢٥٨

القهاوي ٢٨٦

القيروان ٣٩٣

ككب (جبل في عرفات)

٣٤٧

الكرخ ٢١٥

كرمان ٤٠٣

الكعبة ١٠٧، ١٠٣، ٩٩، ٩٨، ٨٥

٣٣٣، ١٢٥-١٢٣، ١١٥، ١٠٨

٤٣٧

كنانة (سوق الكوفة) ٤٠٧

٤٢٣

الكوفة ٣٨١، ٣٧٦، ٣٥٨، ٢١٥

٤٠٧، ٤٠٤، ٤٠٠، ٣٩٣، ٣٨٨

٤٤٧، ٤٢٣

لیدن ١٠١، ٥٨، ٥٧، ٥٣، ٢٨

٤٠٢، ٣٣٧، ٢٠١، ١٣١، ١٢٧

٤١٨

ليغريول ٤٠١

لأرب ٣٦٦، ١٩

لأرد ٢٣٣

لأبيض ٣٠٦

المتحف البريطاني ٢١١

المجمع العلمي (بدمشق) ٦، ٥

١٠، ٨

محنة ٢٠٢، ١٩٦، ٨٠، ٧٥، ٧٠

٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢١، ٢١٩، ٢٠٣

٣٥٢، ٣٤٦-٣٤٤، ٢٩٠، ٢٨٩

٣٦٣

المدائن (مدائن كسرى) ٣٧

٣٧٥، ٢٤٢

مدرسة التجهيز (بدمشق) ٨

المدرسة العادية ٥

المدينة (وانظر : يثرب) ٢٢، ٢٠

٧٩، ٧٢، ٦٤، ٦٣، ٢٩، ٢٦، ٢٤

١٤٠، ١٣٦، ١٣٤، ١٠٧، ١٠٦

١٩٨، ١٨٧، ١٨٢، ١٤٣، ١٤١

المسيل الصغير (قرب الطائف)

٢٨٨، ٢٨٧

» الكبير (قرب الطائف)

٢٨٨، ٢٨٧

المشارف (الشامية) ٤٣، ٢٨، ٢٤

٣٧١

المشاعر (في الحرم) ٣٣٢

المشعر ٢١٨، ٢١٧، ١٩٥، ٥٠

٢٢٦، ٢٢٤ ، ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠

٢٥٤، ٢٥٣ ٢٤٤-٢٤٠ ٢٣٦

٢٦٣

مصر ٢٦، ٢٥، ١٩، ١٨، ١٥، ٦

١٩٧، ١٤٦ ، ١٢٧، ١٢٢، ٤٤

٤٠٢، ٣٩٣، ٣٤١، ٢٦٨، ٢٠٣

٤٠٧، ٤٠٣

المطبعة البهية ١٩٧

مطبعة التقديم العلمية ١٢٢

» الجامعة السورية ٤١١

» الجوائب ٤٤

المطبعة الحسينية ٢١٥

٢٣٤-٢٣٢ ، ٢٢٥، ٢١٣، ٢٠٩

٤٠٣، ٣٤٤، ٣٢٠، ٢٥١، ٢٤٥

٤١٥

مدينة محمد بن النضر ٢٤٠

مرالظهرات ٣٤٤

المربد ٣٤٣، ٢٢٥، ٢١٠، ٢٠٩

٤٥٢-٤٠٤ ٣٩٥، ٣٩٤، ٣٦١

المربدان ٤١٨

مرسيلية ٤٠١

مرو الشاهجان ٢٦٠

المزة ٢٧٢

المزدلفة ٢٠٣، ١٠٤

مسجد الجنند ١٩٤

المسجد الحرام (وانظر: الحرم)

٣٣٣، ١٣٠، ١١٢، ٧٢، ٣٠

مسجد خاتون (قرب دمشق)

٢٧٢

» صغار ٢٦٢

» المدينة ١٨٧، ٥٨، ٢٩

» المشعر ٢٤٠

١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦١ - ١٥٥ ، ١٥٣

١٨٥ ، ١٨٣ - ١٨١ ، ١٧٧ ، ١٧٢

٢١١ ، ٢٠٢ ، ١٩٨ ، ١٩٦ ، ١٨٦

٢٥٥ ، ٢٣٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٩

٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٧٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨

٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢٠ ، ٢٩١

٤٢٧ ، ٣٥٢ ، ٣٤٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣

٤٣٢

ملحان ٢٩٧ ، ٢٩٥

المملكة الأردنية = شرقي الأردن

مملكة حير ٤٢

منميج ٣٠٢

منى ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ١٠٤ ، ٩٩ ، ٨٥

٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٩ ، ٢١٦ ، ٢١١

٣٤٧ ، ٢٨٣

ميونخ ٣٧

نجد ٣١٨ ، ١٦٦ ، ٩٠ ، ٢٢ ، ٢١

٤٣٣ ، ٣٧٢ ، ٣٦٨

نجران ٢١١ ، ١٣١ ، ٣٠ ، ٦٢

٢٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٩ ، ٢١٦

٣١٠ - ٣٠٨

نحلة ١٧١ - ١٦٩ ١٣٥ ، ٧٢ ، ٧١

نقم (جبل) ٢٧٣

مطبعة حيدر آباد ٢١١

المطبعة الرحمانية ١٥٠ ، ١٣٢

د السلفية ٩٣ ، ٩٢ ، ٦٢

١٤٢ ، ١٣١

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

٤١٧ ، ١١٠

معاقر ٢٧٤ ، ٢٦٩

معرض دمشق وسوقها ٤٥٣

٤٥٤

المغرب ٤٠٠

المقبرة (بالبصرة) ٤٢٦

مقبرة بني حصن ٤٣٠

د د فازن ٤١٧

المكتبة الظاهرية = دار الكتب

الظاهرية

مكرية = مكة

مكة ٣٧٠ ، ٣٠ ، ٢٨ - ٢٥ ، ٢١ - ١٩

٧٤ ، ٧١ ، ٦٧ ، ٦٣ - ٦٠ ، ٤٢ ، ٤١

٩٣ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٢ ، ٧٨ ، ٧٥

- ١٠٦ ، ١٠٤ ، ١٠٢ - ٩٧ ، ٩٤

١١٧ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١٠٩

١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٢

١٥١ ، ١٤٩ ، ١٤٣ ، ١٣٩ - ١٣٥

وادي القرى ٦٠ ١٤٠ ١٩٤
 د. القصر ٤٠٤
 د. لية ٢٨٦
 الوحيدة ٣١٩ ٣٢٠
 وقعة (ماء) ٣٦٨
 يبرين ٤٤٨
 يثرب (وانظر : المدينة) ٢٤
 ٦٠ ٦١ ٦٤ ٣١٩ ٣٤٩ ٣٧٢
 اليرموك ٣٦٩
 اليكسوم ١٤٩
 البامة ١٩٣ ١٩٨ ٢١١ ٢١٧
 ٢١٩ ٢٤٣ ٢٩١ ٣٥٨ ٤٠٣
 السين ١٥ ١٦ ١٩ ٢١ ٢٥ ٢٦
 ٣٧ ٤١ ٤٤ ٦١ ٨٥-٨٧
 ٩١ ٩٥ ٩٨ ١٠٠ ١٠٦
 ١٠٨ ١٠٩ ١١٣ ١٢٤ ١٢٥
 ١٢٧-١٢٩ ١٣٦ ١٤٣ ١٤٨-
 ١٥١ ١٥٤ ١٥٦ ١٦١ ١٩٢
 ١٩٤ ٢٠٧ ٢١٥ ٢٤٢ ٢٤٣
 ٢٤٥ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٦-٢٥٨
 ٢٦٢ ٢٦٩-٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٥
 ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٦ ٢٩١ ٣٢١
 ٣٤١ ٣٥٦ ٣٦٤ ٣٧٥ ٣٨٠

نطاة خير ٢١٧ ٢٢١ ٢٢٣
 ٢٢٦ ٣٥٦-٣٥٧
 نطاق ٢٤٣
 نعيان (واد باليمن) ٤٢٥
 النفرات ٣٠١
 نقييل السود ٢٧٢
 نغرة ٧٨
 نهر الأبله ٣٩٩
 د. البصرة ٤٠٥ ٤٠٦
 د. معقل ٣٩٩
 نينوى ١٦
 هجر (البحرين) ٢١ ٢٨ ٥٨
 ١٩٣-١٩٥ ٢١١ ٢١٢ ٢٢٦
 ٢٤٠-٢٤٣ ٢٤٥-٢٥١ ٢٥٤
 ٢٥٦ ٢٧٨
 هجر (المدينة) ٢٤٥
 الهند ١٥-١٩ ١١٣ ١٤٧ ٢٤٥
 ٢٥٠ ٢٥٤ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٦٨
 ٢٦٩ ٣٦٤ ٣٧٥ ٣٧٩ ٣٨٠
 ٤٠٣
 وادي جدر ٣٧٢
 د. عليب ٢٧٣

٦ - سرر الروشمار^(*)

صدر البيت	القافية	ص
واذكروا حلف ذي الجواز وما	الكفلاء	٣٤٨
حي البغيلة إذ نأت	عدوائها	١٨٦
وتوقد ناركم شروراً ويرفع	لواء	٢٨٣
ألا أيذا الذي لم يجب	. .	٣٠٧
إن تبغضونا فإن الروم أصلكم	للعرب	٣٧٨
إني من الثغر المحمر أعينهم	واللوب	١٧٨
أياخذني في بطن مكة ظالماً	صحي	٢٨٦
بها برص بجانب إسكتها	شأبا	٤٣٨
تريك القذى من دونها وهي دونه	قطوب	٣٨٧
تغيبت عن يومي عكاظ كاليها	أتغيب	٣١١
جنان شماری ليس مثلك منظر	طبيب	٣٨٢
وأيت الجحش جحش بني كليب	هايا	٤٣٥
حالي الشرطي أن نسقيه	القص	٣٨٧
ففض الطرف إنك من غير	كلايا	٤٣٨، ٤٣٧

(*) مرتبة على أحرف الروي ثم على أوائل الأبيات . وقد استغنينا عن القافية في الأبيات المربعة كما فعلنا في الرجز .

صدر البيت	القافية	ص
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا	مشطب	٣٧٦
لا تغضبني على امرئ في ماله	فاغضب	٤٤٣
ليالي سعد في عكاظ بسوقها	ومغرب	٢٩١
ما للفرزدق من عز يلوذ به	الحشب	٤٢٩
أربعة كلهم سيد	لدادات	١٠٧
فأقرت قرارها بعمان	الحماة	٢٥٣
فلا والله لا ألقى وشرباً	حيث	١٩٩
فلا ولدت بعد الفرزدق حامل	تبلت	٣٦١
وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط	برت	٣٨٦
ولولا الخمس لم يلبس رجال	يمونوا	٨٣
أبي يابن الأسكر بن مدلج	• •	٢٩٤
ومن بك مثلي ذا عيال ومقتراً	مطرح	٣٧
أبكي أبي عمراً بعين غزيرة	مجردها	٢٩٩
أبكي عييد الأبطحين كليهما	يريدها	٢٩٩
أكتم أرضنا فجردتموها	حصيد	٢٠٣
ألم يبلغكم أنا جدعنا	بالقياد	١٧٤
إن الفساة قبلنا إباد	نكاد	٣٢٢
إني لقاض قضاء سوف يتبعه	أود	٤٣٤

صدر البيت	القافية	ص
أيا رقة من آل بصرى تحملت	رشدا	٣٦٩
تعدون قتلاً في الحرام عظمة	راشد	٧٢
زرو وادي القصر نعم القصر والوادي	. .	٤٠٤
سائل ذوي يمن ورهط محرق	مسعودا	٤٤٧
سيكفيك عبس أخو كهس	بالمربد	٤٤٧
غدا أهل حضني ذي المجاز بسكرة	يفدو	٣٥٠
القدر أهلك عاداً في منازلها	الجند	١٩٤
فأبلغ إن عرضت بنا هشاماً	الوليدا	١٧٢
لعمرك ما تبلى سراويل عامر	جلودها	٤٣٣
لما رأيت جمعة منا وردا	. .	٤٣٣
له داع بمكة مشعل	ينادي	١٣٠
مات الندي بالشام لما أن ثوى	لا يبعد	١٠٦
نبئت أن بني ربيعة أجمعوا	خالدا	٤٤٥
وغسان الذين هم استتبوا	البلاد	٢٥٣
ياخال ذرني ومالي ، ما فعلت به	مودي	٣٣٦
وهيبتني من أذرعات وما أرى	بعدا	٣٧٢
أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً	فهر	٩٤٩١
إذا ذقت فاما قلت طعم مدامة	التجر	٥٨
ألكني إلى قومي ولو كنت ثانياً	المشاعر	٣٣٢
ألم يبلغك ما فعلت قريش	أبيروا	١٧٤
ألهى قصياً عن المجد الأساطير	. .	١٢٦
إنا أتيناك وقد طال السفر	. .	٤٤٣

صدر البيت	القافية	ص
بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع	المنأخر	٣٦٨
بقبر ابن ليلي غلب عدت بعدما	قسر	٤٢٥
بل كيف تكفرني هوازن بعدما	أحرارا	٣٠٤
تذكر القلب وجهلاً ما ذكره	• •	٤٤٢
حلفت لتعقدن حلفاً عليهم	دار	١٨٤
فربني لغني أسعى فلاني	الفقير	٣٧
ما كسب مالاً أو أموت ببلدة	قبري	٣٧
شيطانه أتى وشيطاني ذكر	• •	٤٤٢
شهدت على الزيدي أن نساءه	توحر	٤٣٩
فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم	بشر	١٤٣
فعلت معتلج البطا .. ح	بالظواهر	٩٧
فسر في بلاد الله والنمس الغني	فتعذرا	٣٧
فلما اجتمعنا بالعلالي بيننا	تاجر	٢١٤
فلو شهدتني من قریش عصابة	الظواهر	٩٦
فما إن رحيق سبتها التجا .. و	جدر	٣٧٢
في الداهيين الأول .. ن	بصائر	٣١٤
قد جبر الدين الإله فجبر	• •	٤٤٢
لا تبهجوا نعاء بشر عليكم	أزهرا	١١٤
لئن هجوت بني صخب لقد تركوا	آثارا	٣٦١
لقد كذبت وشر القول أكذبه	مضر	٤٣١

صدر البيت	القافية	ص
لنا الجففات الفر يلحن بالضحي	دما	٣١٦
منا الذي ترك العوام مجندلا	أحجار	١٧٤
نبثت زرعة والسفاهة كاسمها	الأشعار	٢٩٦
فحن كتنا الملوك في آل نجد	الذمار	١٧٩
وأزد لها البحراث والسيف كله	المشقر	٢٥٣
وأعصفن بالدومي من رأس حصنه	المشقر	٢٣٦
وإن صغراً لتأتم الهداة به	قار	٢١٥
وربت غارة أوضعت فيها	قمر	٢٤٥
ولا مرتع للعين أو متقنص	نحقر	١٢٦
ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشجر	• •	٢٦٧
ومرة لبسوا ثافيك ولن ترى	الفرز	٢٣٥
ومن ير صنعاء الجنود وأهلها	حيرا	٢٧١
ومنا رئيس القوم ليلة أدجوا	النحر	٢٤٣
يا آل فهر لمظلوم بضاعته	والنفر	١٨٣
يا قيم تيم عدي لا أبا لكم	عمر	٤٣١
يا من رأى كصفقة ابن بيدره	• •	٣٢٢
بساني الباعة أين ناراها	• •	٢٨٠
• • • ما نجارها	• •	•
يا صاحبي دنا المسير فسيروا	جربوا	٤٣٥

صدر البيت	القافية	ص
ياقيس أرسل أسيراً من بني جشم	جازي	٣٠٩
لم تدر بصرى بما آليت من قسم وقريش هي التي تسكن لا	الكراديس'	٢٦٩
	قريشا	٩٢
تحمل هاشم ما ضاق عنه	ابن بيض'	١٠١
تركت الفارس البذاخ منهم	عبيطا	١٧٨
أتاني عن أمية زور قول	حفاظ	٣٤٠
ألا من مبلغ حسان عني سأنشر ما حييت لهم كلاماً	عكاظ	٣٣٩
فلأنك ضحكك إلى كل صاحب	عكاظ	٤٣٠
	عكاظها	٣٣٩
إذا طلعتنا ثقل السود لاح لنا تنع عن البطحاء ان قديمها	مرتبع'	٢٧٢
حتى كأني للحرادث مروءة	الفوارع'	٩٦
سائل بنا في قومنا	تقرع'	٢٤١
كان الإثم الحاري منها وداهية يمال الناس منها	مباعدة'	١٨١
	الدموع'	٣٧٦
	ضلوعي	١٦٧
إذا بني القباب على عكاظ جاءت هوازن أرسالاً وإخوتها	الألوف'	٣٣٩
	وانصرفوا	١٧٦

صدر البيت	القافية	ص
حبس بين رمة وقف	• •	٢٤٦
زعمت أن إخوتكم قريش	إلاف	١٥٣
عمرو العلاء شمع الثريد لقومه	عجاف	١٠١
غضبت علي لأن شربت بصوف	• •	١٩٧
ما إن عتبت لأن شربت بصوفة	بجروف	١٩٧
نحن بنو دهمان ذي التفطرف	• •	٣٠٠
نحن بنو مدركة بن خندف	• •	٣٠٠
والخالطون غنيم بفقيرهم	كالكافي	١٥٠
ولقد شربت الخمر في حانوتها	بأرض الريف	١٩٧
يا أيها الرجل المحول رحله	مناف	١٥٢
أرقت وما هذا السهاد المورق	• •	٣١٧
فإن تنهروا أنجد خلافاً عليكم	أعرق	٢٥٢
مهلاً بني عمنا ظلامتنا	القلق	٤٤٥
ولو رأي أبو غيلان إذ حسرت	طبق	١٢٠
أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً	حلول	٤٣٤
أحارث خذ ما شئت منا ومنهم	فواضلة	٤٢٧
أحارث داري مرتين هدمتها	غوائله	٤٢٧
أضحى لتغلب من تميم شاعر	الأثقل	٣٨٥
أننى والذي يحج له	تهبلا	١٨٦

صدر البيت	القافية	ص
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل	الأجل	٣٣٢
ألا ليت شعري هل أبين لية	جليل	٣٤٤
الحمد لله الوهوب المجزل	. .	٤٤٠
تنورتها من أذرعها وأهلها	عالي	٣٧٢
دعني أطوف في البلاد لعني	عمل	٣٧
سأله لفتى ما ليس في يده	والمال	١٩٩
سلافة راح ضمنها إداوة	الرحل	٣٧٠، ٣٤٥
شربت براحتي محجن	قاتلي	٣٣٠
فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء	نخيلها	٢٤١
فما فضلة من أذرعها هوت بها	الضعل	٣٧٢
قد كانت الفعلة مني ضلة	. .	١٦٧
قومي الذو بمكاظ طيروا شرواً	بالمصاقل	١٧٦
لعمر كإن الحمر ما دمت شارباً	عقلي	١٩٩
لقد وعدنا قريشاً وهي كارهة	وعايل	١٧٠
نظرت وطرف العين يتبع الهوى	المتناول	٣٦٩
هل إلى سكرة بناحية الحيرة	سبيل	٣٨١
هلك الفرزدق بعدما جدته	قليلا	٣٦٠
وإن كليلاً إذ أتني بعبدها	باطلة	٤٣٠
وإني لقاض بين جعدة عامر	فيحلا	٤٣٤
وراح بها من ذي المجاز عشية	الحبل	٣٤٧

صدر البيت	القافية	ص
ولا من في جنازتها تجار	النعال	١٣٧
أأنت الذي شبهت عنزاً بقفرة	سالم	٤٣٤
أباهل لو أنت الأثام تنافروا	الأم	٤٢٧
أفي كل أسواق العراق إناوة	درهم	٥٦
ألا بشراً من كان لا يملك استه	نيام	٤٣٨
ألا كيف البقاء لباهلي	والجعيم	٤٢٧
ألا لله قوم و . . لدت	سهم	١٧٦
ألا أيها الناهي فزارة بعدما	حالم	٤٤٥
ألسنا الناسئين على معد	حراما	٨٦
ألمت خناس وللمامها	أسقامها	٤٤٦
أو كلما وردت عكاظ قبيلة	يتوسم	٣٠٥
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل	سالم	٤٣٥
توكت الشعر واستبدلت منه	قاما	١٩٩
نلكم قريش لم تكن أباًوفا	تقسم	١٤٣
دعوت سناناً وابن عوف وحارثاً	وهشم	٣٠٧
رأيت الخمر صالحة وفيها	الكريما	١٩٩
عشية مال المربدان كلامها	الصوارم	٤١٨
عليهن فتيان كساها محرق	وأنما	٣٧١
فأئن بنيت لي المشقر في	المصم	٢٤٠

صدر البيت	الغافية	ص
فما الام التي ولدت قريباً	عقيم	٩٤
لعمرك ما مزينة رهط معن	سنام	٤٣٨
لعمرك ما تميم أهل فلج	كرام	٤٣٩
للغانيات بذي الجواز وسوم	.	٣٤٨
لنا الجففات الغري يلمعن بالضحي	دما	٣١٦
متى أكلت لحومكم كلابي	تنام	٤٣٣
مشرين ترعون النجيل وقد غدت	مزاحم	٤٣٣
من حسن لي الاخوين كالا .	واهما	٢٩٨
نحن آل الله في ذمته	قدم	١٠٩
وإن قصياً أهل عز ونجدة	قدعها	١٧٩
ولاني وإن ضربت حبال قيس	تيم	٣٢٣
وجدنا آل سامة في فريش	تيم	٤٢٩
وددت وبيت الله لو أن أنفه	العظم	٣٨٣
ولقد شربت من المدامه بعدما	المعلم	١٩٧
ولو أعطيت من ببلاد بصرى	وعجم	٣٧٠
وما أنت إن قرما تميم تساميا	في الغرم	٤٣٢
وما قصرت من حاضن دون ستورها	ظالم	٣٠٤
ومنا الذي أعطى يديه رهينة	الجاحم	٤٤٨
باشدة ما شدونا غير كاذبة	والحرم	١٧١
أحب عمان من حي سليمى	عمان	٢٥٢

صدر البيت	الغاية	ص
إذا اصطبحت أربعا عرفتني	.	٤٤٠
ألا سائل هو اذن يوم لا قوا	معلمينا	١٧٥
ألا هي بصحتك فاصبحينا	.	٣٤٠
لني رأيت القائلين وفعلهم	الديان	١٣٠
جعلت لعراف اليامة حكمه	شفياني	٣٥٨
ذعرت به القطا ونصبت عنه	العين	٣٢٤
سأعمل نص العيس حتى يكفني	الحدان	٣٧
قالت و كنت رجلا فطينا		٣٨٧
لولا أبو مالك المرجو ناله	وطنا	٤٠١
لولا دفاعي كنتم أعبدا	فالسيلعون	٣٧٨
لو يسمعون بأكلة أو شربة	بعمان	٢٥٤
مئة أتت من بعدها مئتان لي	سنيانا	٣٣٨
وأعلم ان ستدركني المنايا	تبعني	٤٤٣
وغزا تبع في حير حتى	عدن	٣٧٧
وقائه هلم إلى التصابي	تعليمنا	١٩٩
إذا ما المرء صم فلم ينجي	ندايا	٣٣٨
ألا أيها الركب الياون عرجوا	بانيا	٤٢٥
فلا توعدينني بالفجار فإنه	الحجازيا	١٨٠

٧ - مسرد الكتب^(١)

اجتماع الجيوش الاسلامية ٢٨٤	الاسلام والحضارة العربية
أحسن التقاسيم ٤٠١، ٤٦	(لكره على) ١٥٨
الاخبار الطوال (للدينوري)	الاسلام والمرأة (للمؤلف) ٢٨٤
أخبار مكة (للأزرقى) ٨٠ ،	أسواق العرب (هذا) ٢٨٧
١٢٤ ، ٢٠٤ ، ٢٥٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦	أسواق العرب (لابن الكلبي) ٢١٦
أخبار النساء (لابن القيم) ١٢٢	الاصابة ٢٣٦
الادب المفرد (للبخاري) ١٣١	الاصنام (لابن الكلبي) ٢١٦، ٨٥
الازمنة والامكنة (للرزوقي)	الاعلاق النفيسة (لابن رسته) ٢٨٧
٤٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٢١ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ،	الاغاني (لاصفياني) ١١٦، ٢٦
٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩	١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٨ - ١٣٠
٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٦٣	١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠
٣٧٣	١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠
اساس البلاغة (للزنجشيري) ٥٤	٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩

(١) تشير الارقام الى مواطن الاستشهاد بالمصدر او ذكره في هذا الكتاب ، وننبه هنا الى ان بعض المصادر كالمقد الفريد وطبقات الشعراء مثلا صدرت لها طبقات جديدة وثقلنا عنها اضافات كما قلنا عن طبقاتها القديمة ، ومع انا انشرنا غالبا الى الطبقات في الحواشي فالتنا الاشارة اليها احيانا كما صهونا عن العزو في بعض المواضع . فعلى المراجع ان لم يجد الرقم في نسخته ان يبحث عنه في طبعة اخرى .

بلوغ الارب (للالوسي) ٤٧٠٤٦

٢١٠٠ ، ١٧٩ ، ١٦٣ ، ١٥٠ ، ١١٣

٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤

٣٤٢ ، ٣١١ ، ٣٠٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣

٣٤٣

البيان والنبين ٣١٥ ، ٤١٢ ، ٤٢٠

تاج العروس ٣١ ، ٣٤ ، ٤٧ ،

٥٤ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٤٤ ، ٤٠٣

تاريخ الاسلام (للذهبي) ١٤١

تاريخ التمدن الاسلامي (لزبدان)

تاريخ دول العرب والاسلام

(لحرب) ٣٣٤

تاريخ الطبري ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢١٥

٢٣٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٤١٢

٤١٤

تاريخ العرب الادبي (لتكسون)

١٩ ، ١٠٧

تاريخ العرب قبل الاسلام (لزبدان)

١٦٧

٢٥٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٥١

٢٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٥

٣٨٩ ، ٤١٢ ، ٤٣١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣

٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥

الاكليل (للهذاني) ٢٧ ، ١٦٣

١٩٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠

الامالي (للقي) ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠

٨٥ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٩٦

١٩٩ ، ٢٤٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧

٤١٢ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥

الامتناع والمؤانسة (للتوحيدي)

١٧٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦

امثال الضي وامرار الحكماء

التوحيدي ٤٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥

انساب الاشراف (للبلاذري)

انسان للعيون ١٠٨

البخلاء (للجاحظ) ٤٠٢

بلاغات النساء ٢٣٩

البلدان للهذاني (٢٨ ، ٤٠٢

٤٠٢

- تاريخ اللغات السامية (لامرأيل
ولفسون) ١٨
٣٦٧ تهذيب التهذيب ١٤١ ، ١٤٢
٢٧٩ تاريخ ملوك الحيرة (للاعظمي)
٣٨٠ ، ٤٤
للتوراة ١٧ ١٨
تفسير الوصول (لابن الديبع)
٤٩ ٥١ ٦٩ ٧٦ ١١٣
٢٧٤ تاريخ اليعقوبي ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٦
١٤٦ ، ٢٦ (للتعالي)
١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ ، ٣٢٣ ، ٤٠٩
الجامع الصحيح - صحيح البخاري
الجمهرة (لابن دريد) ٥٤
جمهرة أشعار العرب
٣٧
تفسير أبي الحسن البكري ٢٧٥
تفسير الخازن ٢٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ،
٢٠٤
تفسير الطبري ٦٥ ، ٦٦ ، ١٤٣
تفسير النيسابوري ٨٦
التقرير الخامس بأعمال المجمع العلمي
بدمشق ٦
التنبيه والاشراف
تهذيب تاريخ ابن عساكر (لبدوان)
٢٦ ، ١٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦١
حاشية الدسوقي على المغني ١٩٧
الحسن من قریش (لأبي عبيدة) ٧٥
حواشي الكشف ٩٢ ٢٦٨
حياة محمد (لميكل) ١٣٩
خريطة الادريسي ٢٨٧
خزانة الادب ٦٢ ٩٢ ٩٣
١٧٣ ٢١٠ ٢٢٣ ٢٢٧
خطط الشام ٣٦٤
دائرة معارف وجدي ٣٤٢
دلائل النبوة ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٣٠

الشعر والشعراء (لابن قتيبة) ٢٢٨

الصاحي (لابن فارس) ١١٣

صبيح الاعشى (القلقشندي)

٢١٠ ٢٢٢ ٢٢٧

الصباح ٥٤ ٢٣٢ ٢٤٤

صبيح البخاري ٥٣ ١٣١ ٢٠٠

٢٠١ ٢٠٤

صبيح مسلم ٤٩ ٥٧

الصحيحان (صحيح البخاري

وصحيح مسلم) ٥٣

صفة جزيرة العرب ١٩٤ ٢١١

٢١٩ ٢٢٠ ٢٢٦ ٢٥٢ ٢٦٢

٢٦٦ ٢٧٢

صلى الاسلام ٢٤١

طبقات الشعراء (لابن سلام)

١٧١، ١٧٣، ٤٤٣

الطبقات الكبرى (لابن سعد)

٢٢، ٢٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤ - ١٠٦،

١٣٤، ١٤٠ - ١٤٢، ١٤٨، ١٥٤،

١٥٨، ١٨٤، ٢٢٣، ٢٨٠، ٣٦٩

عمران حسان ٣٤٠

و الهذليين ٣٧٢

رحلة ابن بطوطة ٤٠١

وسائل الجاحظ ٨٣ ٩٥ ١٤٦

١٥٠ ١٦٣ ١٨٣ ١٨٦

رياض الصالحين ٢٥١

زهر الآداب ٣٩٧

الزواجر (لابن حجر) ٦٨

سبائك الذهب

سيرة ابن هشام ٢٦ ٦٣ ٧١ ٨٥

٩٣ ٩٤ ٩٨ ٩٩ ١٠٦ ١٥٢

١٨٣ ١٨٧ ٢٠١ ٢٣٣

شرح شواهد الغني ٩٦ ١٩٧

٢٠٠ ٢٤٥

شرح مسلم ٤٦ - ٥٣

شرح مقصورة ابن دريد ٤٠٧

شرح المواهب الزرقاني ٢٢ ٢٣

٨٦ ١٣٣ ٢٣٥ ٣٤٩ ٣٥٣

شرح نهج البلاغة ٣٣ ١٠٤ ١٥٣

١٥٩ ١٨٨

- الطبوغرافية الاثرية لسورية
وفلسطين (لدوسو) ٣٦٢
- عائشة والسياسة (للمؤلف) ٤١٧
- عجائب المخلوقات ٢٧٥
- العقد الثمين ٢٨٣
- العقد الفريد ١٩٠، ١٠٨، ٩٤، ٧٣
- ٢٥١، ١٦٤، ١٦٣، ١٤٤، ١٣٢، ١٢٨
- ٤٠٠، ٣١١، ٣٠٦، ٢٧٨
- العمدة (لابن رشيقي) ١٦، ٧٥
- ١٧٢
- المواصم من القواصم ١٤٢
- عيون الاخبار (لابن قتيبة)
- الفائق للمخشي ٥٤، ٢٩
- فتح الباري (لابن حجر)
- فتوح البلدان (للبلاذري) ٦١
- ٣٩٦، ٦٢
- فجر الاسلام ٢٥
- فضل الاندلس (لابن حزم) ٤٠٠
- الفهرست (لابن النديم) ٧٥
- ١٠٩
- في أصول النحو (للمؤلف) ٤١١
- ٤٢٣
- في منزل الوحي (ليكل) ٢٨٦
- ٣٤٣، ٢٨٧
- القاموس المحيط ٥٤، ٥١، ٤٨، ٢٦
- ١٦١، ١٥٧، ١٤٨، ٨٣، ٧٦، ٧٠، ٥٦
- ٢٨٤، ٢٥٧، ٢٠٥، ١٨٥، ١٧٢، ١٦٤
- ٤٢٦، ٣٩٩، ٣٧٣، ٣٢١
- قبائل العرب (لقلقشندي) ٢٢٣
- القرآن الكريم (وانظر فهرس
- الآيات) ٦٧، ٦٤، ٤٠، ٣٩، ٣٣، ٣٠
- ٤٢٠، ٣٢٨، ٢٠٨، ٢٠٧، ١٩٩، ١٤٨
- الكامل (لابن الاثير)
- د د (للبزد) ٤١٢، ٣٢٧
- ٤٤٨، ٤١٨
- الكشاف ١٥٢، ٩٢
- لباب النقول (لسيوطي) ٧٧، ٢٨
- لسان العرب (لابن منظور) ٣٤
- ٤٧، ٥٤، ٩٧، ١٧٤، ١٩٤
- ٣٥٨، ٢٤٥

المختبر ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٧٧

٩٦، ١٢١، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢

١٥٨، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٦

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٦٣، ٢٦٥

٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٩٢

محيط المحيط ٥٤

مختلف تأويل الحديث ٣٣٨

المخصص (لابن سيده) ٥٦، ٢١٦

مدنية العرب في الجاهلية والاسلام

١٢٩، ٢٩٠

مرآة الاطلاع ٢٥٦، ٢٦٤

٢٨٧، ٢٨٩

مروج الذهب (المسعودي) ٨٦

٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٥، ١٤٨

المزهر (للسيوطي) ١١٣، ١٨٠

١٨٤

مسالك الابصار (للعري)

٢٥٠، ٣٦٧، ٣٨٠

المسالك والممالك (للاصطخري)

٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٦، ٤٩٨

ما رأيت وما سمعت (الزركلي) ٢٨٦

ما يعمل عليه في المضاف اليه ١٢٥

المتاهي (في اللغة) ٣٨٧

مثير العزم الساكن ر لابن

الجوزي (٢٨١)

محنة الرسالة ١٩، ٤٣، ١٠٧، ٣٤٣

د السياسة الاسبوعية ٢٨٧

د المجمع العلمي العراقي ١٧

د د د العربي ١٤٧، ١٩٦

٢٨٧، ٤٠١

محنة مجمع اللغة العربية ٣٨

د المختار ٢٠٨

د المشرق ٢٥، ٢٨، ١٠٩، ٢٨٠

د المقتطف ٣٨٠

مجمع الامثال (الميداقي) ٣٦، ٢٩٣

المجمل (لابن فارس) ٥٤

مجموعة الوثائق السياسية (لخميد

الله) ٢٣٥

المحسن والاضداد للجاحظ

المنتخب من ذيل المذيل (الطبري)

٣٣٣

المتقى من اخبار الاصمعي (الضياء

المقدمي) ٥٤

نفع الطيب (المقرئ) ٤٠٠

النقائض ٤٢٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠

النوادر (لقاوي) ٣٥ ، ١٠٧ ،

٤١١ ، ٣٧٩

النهاية (لابن الاثير) ٥٢ ، ٥٤ ،

٢٣٢

نهاية الأرب (لنويري)

الوسيط (الاسكندري وعناني)

٣٤٢

الممالك والممالك (لابن حوقل)

١٣١

المتجدد من فصول الأجواد

(لتروخي) ٤٢٦

المصباح المنير (الفيومي) ٩٣ ، ٥٤

المعارف (لابن قتيبة) ١٣٢

معجم البلدان (لياقوت) ١٧١

١٧٤ ، ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥

٢٨٧ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩

معجم الشعراء (للمرزباني) ٢٣٨

معجم الطبراني ٢٠٤

معجم ما استعجم (للبكري) ٢٨٧

المغرب في ترتيب المغرب

(المطرزي) ٥٤

٨- فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	بين يدي الكتاب : معارض الشام - سبب تأليف الكتاب

الباب الأول

شؤون العرب التجارية : بين الجاهلية والاسلام

١٥	تمهيد في تجارة العرب
٤٦	بيوع الجاهلية
الرومي بالحصة - ٤٨ : المتابذة - ٤٩ الملامسة - ٥٠ : المعاومة -	
المزابنة - ٥١ المحفلة - المخبرة - ٥٢ : حبل الحبة - ٥٣ : التصرية	
- السراو - ٥٥ الساخر - الجس - موقف الاسلام من هذه البيوع	
٦١	وبا الجملية
٧٠	المحلون والمحرمون والخمس

الباب الثاني

الصفحة	الموضوع
٨٩	أحداث قريش التجارية :
٩١	١ - قريش التجار . اسم قريش - سادة قريش - الوظائف الرسمية لقريش - ١١٢ : عامة قريش .
١٤٦	ب إيلاف قريش
١٦٢	ج - حرب الفجار
١٦٤	منتها - ١٦٥ : سبيها - ١٦٩ : يوم نخعة - ١٧١ : يوم شمطة - ١٧٣ : يوم العباء - ١٧٤ : يوم شرب - ١٧٧ : يوم الحرية
١٨١	د - حلف الفضول

الباب الثالث

اسواق العرب أ - في الجاهلية ب - في الاسلام	
٢٣١	اسواق العرب : أ - في الجاهلية
٢٣٢	سوق دومة الجندل
٢٤٠	سوق المشقر
٢٤٥	سوق هجر

الصفحة	الموضوع
٢٥٢	سوق عمان
٢٥٨	سوق حياشة
٢٦١	سوق صحار
٢٦٤	سوق دبي
٢٦٦	سوق الشحر
٢٦٨	سوق عدن أئين
٢٧١	سوق صنعاء
٢٧٥	سوق حضرموت
٢٧٧	سوق عكاظ

٢٩٣ : مناصرة - ٢٩٥ : في سبيل بغي - ٢٩٦ : خطة غندر
 ٢٩٧ : معاظفة في المصائب - ٣٠٠ : الفجار الاول - ٣٠١ : اثاره - ٣٠٢ : ظفر
 يثار - ٣٠٤ : سيف يثار صاحبه - ٣٠٥ : شريف غير مقنع - ٣٠٦ : تأديب
 سفيه - ٣٠٧ : إغاثة - ٣١٠ : حروب الفجار - ٣١٣ : واءظ - ٣١٥ : تنافس
 شعراء - ٣١٦ : تروبيج بنات - ٣١٩ : منحة محررة - ٣٢٢ : صفقة خامرة -
 ٣٢٣ : فتنة جمال - ٣٢٤ : راية غدر - ٣٢٥ : داعية الإسلام - ٣٣٠ : خسر -
 ٣٣١ : تلقيب - نصاريق القدر - ٣٣٤ : نداء - منهب المعزى - ٣٣٦ : منهب
 الرزق - فرسان العرب - ٣٣٧ : ما رأيت شيئا أكذب - ٣٣٨ : خاتمة .

٣٤٤	سوق مجنة
٣٤٧	سوق ذي المجاز

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٥٦	نظارة خير
٣٥٨	سوق حجر
٣٥٩ : منافرة - ٣٦٠ : جري بيكي الفرزدق - ٣٦١ : شاعر يطاف به مجلدا	
٣٦٢	سوق دير ايوب
٣٦٤	سوق بصرى
٣٧٢	سوق أذرعان
٣٧٤	سوق الحيرة
٣٨٣ : منافرة حامية - ٣٨٥ : حرمة شاعر في ولده - ٣٨٦ : خلق لة - نخارة وشرطي - ٣٨٧ مسخ - ٣٨٨ : وطنية صادقة .	
٣٩١	أسواق العرب : ب - في الاسلام
٣٩٣	الأسواق في الاسلام
٣٩٥	البصرة - المربد
٤٠٧	سوق المربد
٤٢٤ : عوذ بقر - ٤٢٥ : مجنون في حب - لثاب مال - ٤٢٦ : غلام ينجل الفرزدق - تهديم دور المجائين - ٤٢٧ : هجاء ابليس - ٤٢٩ : جري عجو قبيبة - والفرزدق لعبة - ٤٣١ : ضحية بين فحلين - ٤٣٢ : الحسكر في تنافر شاعرين - ٤٣٤ : نقد مخف - ٤٣٥ : إعدام قبيبة - ٤٣٨ : رد عدوان ٤٣٩ : سلاطة - ٤٤٠ : معركة الرجاز - ٤٤٢ : صحابي بكتاب نبوي -	

الصفحة	الموضوع
٤٤٣ :	من محن السياسة - ٤٤٦ : حل سلمي - ٤٤٩ : استعراض الامم - إعلان مجلجل
٤٥٣	استدراك
٤٥٥	مسارد الكتاب
٤٥٧	مسرد الايات
٤٥٩	مسرد الأحاديث
٤٦١	مسرد الأعلام
٤٨٠	• الجماعات
٤٩١	• الأماكن
٥٠٤	• الأشعار
٥١٥	• الكتب
٥٢٢	• الموضوعات
٥٢٧	تصويب أخطاء

تصويب احطاء

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٦	٢	ثنه	فيه	٢٢٠	٩	أدم	أدم ^(١)
١٦	٩	شرقي	سلطنهم شرقي	٢٣٦	٨	أكيدر	أكيدراً
٢٤	٧	المسلمون	المسلمين	٢٣٨	٨	يبيع	يبيع
٢٥	١٧	الشرق	المشرق	٢٥٣	٩	فغان	فغان
٢٧	١٦	الشرق	المشرق	٢٩٢	١٢	مفاخرة	مفاخر
٦٧	١٠	أواخر	وأخر	٢٩٣	١٨	الفضل	المفضل
٧٠	٨	رجب	رجباً	٢٩٤	٢	عمر	عامر
٧٤	٣	تتحفز	تتخفر	٣٠٣	١٣	هوزان	هوازن
١٠٤	٤	حدثه	حدثه	٣٠٣	١٤	هوزان	هوازن
١١٠	٤	تيم	تيم	٣٢٧	١٢	بسمع	بسمع
١١٣	١٥	عدا عن	عدا	٣٣١	٥	في	فيه
١١٧	٩	القضية	القصة	٣٦٧	٤	ملو	ملوا
١٤٧	١٨	إليها	إليها	٣٧٦	١٠	ومن الثاني و	
١٧٦	١٨	أوزان	أوزن	٣٨٧	١٨	في	، وفي
١٨٣	٨	لمن	لم	٤٢٤	١٦	رأو	رأوا
١٨٤	١٦	لنعدن	لنعدن	٤٣٠	٢١	أفاخ: تقاج	أفاخ: تقاج
١٩٩	١٤	عفيف	عفيف بن	٤٣٣	٣	مشرين	مشرين
٢٠٥	٥	لتقضي	لتقضي	٤٣٦	١٣	حق	حق
٢١١	١٤	ولصديقي	ولصديقي	٤٨٠	١٨	ال	آل

آثار المؤلف المطبوعة

المؤلفات	الناشر
١ - أسواق العرب في الجاهلية والإسلام	المكتبة الهاشمية في دمشق ١٩٣٧
أسواق العرب (طبعة ثانية)	دار الفكر بدمشق
٢ - ابن حزم الاندلسي ورسائله (في المفاضلة بين الصعابة)	المكتبة الهاشمية ١٩٤٠
٣ - الإسلام والمرأة	١٩٤٥
٤ - عائشة والسياسة	لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٧
٥ - في أصول الشعر	الجامعة السورية ١٩٥١
٦ - مذكرات في قواعد اللغة العربية	الجامعة السورية ١٩٥٥

ب المخطوطات التي عني بتعقيها ونشرها :

- ١ - الاجابة لإيراد ما استدركه عائشة على الصعابة للإمام الزركشي
المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٩
- ٢ - في المفاضلة بين الصعابة . لابن حزم المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٤٠
(نشرت في كتاب ابن حزم الاندلسي)
- ٣ - سير النبلاء للذهبي (جزء خاص بترجمة ابن حزم) = ١٩٤١
- ٤ - سير النبلاء للذهبي (جزء خاص بترجمة السيدة عائشة) = ١٩٤٥
- ٥ - تاريخ داريا : القاضي عبد الجبار الخولاني المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠
- ٦ - الاغراب في جدل الاعراب } لابن الانباري الجامعة السورية ١٩٥٧
- ٧ - لمع الادلة }
- ٨ - ملخص لإبطال القياس والرأي .. لابن حزم الجامعة السورية ١٩٦٠

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

دمشق : هاتف ١١٠٤١ - ص ب ٩٦٢

وكلاء التوزيع

في القاهرة : مكتبة دار العروبة

في بغداد : مكتبة المثني

SA'ID AL-AFAGANI

AS-SAWAK AL-FARAB
FIL-FATHILAH WAL-ISLAM

۶۰۰ و ۷۰۰ می آید

DAR EL-FIKR
JAN 96 L 7 P O S 762

